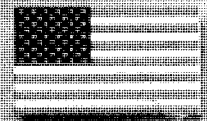
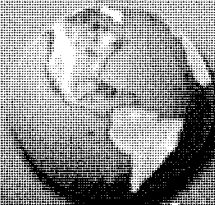
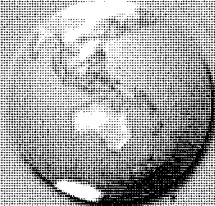
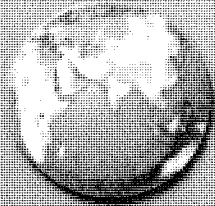
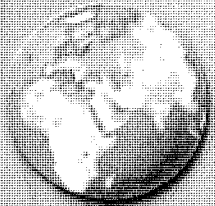


الجغرافيا السياسية المعاصرة

الأستاذ الدكتور
فايز محمد العيسوي
أستاذ ورئيس قسم الجغرافيا
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



دار المعرفة الجامعية

بناية جامعة الإسكندرية - ٤٤٣١٦٣
الاسكندرية - جمهورية مصر العربية

الجغرافيا السياسية المعاصرة

الجغرافيا السياسية المعاصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وفوق كل ذي علم عليم »

صدق الله العظيم

الإهداء

إلي روح أمي

وإلي زوجتي عرفانا وتقديرا لعطاء بلا حدود

تتغير الأوضاع السياسية في العالم بسرعة كبيرة. فهناك دول جديدة تظهر على خريطة العالم السياسية. وهناك إتحاد بين بعض الوحدات السياسية لتكون كياناً سياسياً جديداً يجمع شمل شعب تفتت أوصاله لأسباب ليس له يد فيها.

وتعد الجغرافيا السياسية أحد فروع الجغرافيا البشرية الذي ترعرع وجذب انتباه الساسة في كافة أرجاء العالم. وتتعدد تعريفات هذا العلم وهذا يعني أن ميدانه واسع ويهتم بدراسة الدول وعلاقاتها الخارجية، وتباين أوضاع الدول نظراً لاختلاف مكوناتها سواءً كانت طبيعية أو بشرية. وتهتم الدراسة في الجغرافيا السياسية أيضاً بدراسة الحدود السياسية كونها ظاهرة مؤثرة في كيان الدول.

وقد أطلق اسم الجغرافيا السياسية المعاصرة على هذا الفرع من الجغرافيا البشرية ليميز مجاله الذي يدعو إلى دراسة المشكلات بين الدول ليتجنب إثارة القلاقل والحروب. عكس الجيوبولتيكا التي إنشقت عن الجغرافيا السياسية بعد أن فسرت آراء راتزل (أبو الجغرافيا السياسية ومؤسسها) بصورة سيئة وكانت دافعاً لقيام حروب عانى منها العالم.

ونظراً لتفاوت دول العالم التي تصل إلى ٢٠٠ دولة حالياً في خصائصها السياسية وفقاً للمكان والزمان والعوامل الكامنة التي تؤثر في كيانها وقوتها الاقتصادية والسياسية أصبح الجغرافى السياسى ذا دور مؤثر في تقسيم الوحدات الإدارية داخل الدولة، أو اختيار مواقع العواصم أو تقسيم الدولة إلى دوائر انتخابية، ويتجلى دور الفعّال في ترسيم الحدود الدولية بين القوميات والعشائر والدول. من هنا فإن الظاهرة السياسية هي المجال الحقيقي الذي يستطيع الجغرافى أن يترك فيه بصماته.

وتقع الدراسة في سبعة فصول، نتناول بالشرح الظاهرة السياسية للدولة وتباينها بين قارات العالم. ففي الفصل الأول يهتم المؤلف بدراسة فلسفة الجغرافيا السياسية بمعناها ومغزاها ومناهج دراستها منذ القدم حتى الآن. والفصل الثانى يبحث فى دراسة الدولة كونها ظاهرة فى الجغرافيا السياسية ودراسة رقعتها وامتدادها الجغرافى

وسكانها وتركيبها الاقتصادي أما الفصل الثالث فيعالج بالدراسة العواصم ومناطق النواة التي نمت حولها الدول.

وتتناول الدراسة فى الفصل الرابع الحدود السياسية من وجهة نظر الجغرافيا السياسية، وتهتم بدراسة تصنيف هذه الحدود وإبراز أهمية الحدود باعتبارها عنصراً مؤثراً فى علاقات الدول. بينما يركز الفصل الخامس على دراسة مشكلة تحديد الحد السياسى للدول داخل البحار والمحيطات. ويهتم الفصل السادس بدراسة خريطة العالم المعاصر السياسية والتغيرات التى انتابت خريطة كل قارة من قارات العالم. وتتناول بالدراسة مشكلة من المشكلات السياسية لكل قارة.

أما الفصل السابع والأخير. فيوضح أهمية المكان والموقع الجغرافى فى رسم الاستراتيجيات والنظريات والآراء السياسية فى إبراز قيمة مكان فوق سطح الأرض عن غيره. وسوف يجد القارئ فى نهاية كل فصل ثباتاً بالمراجع التى اشتقت منها دراسة الموضوع، وإن تأثر كثيراً ببعضها.

ولا أدعى بأننى قد وضعت كل الأمور الخاصة بالجغرافيا السياسية فى هذا الكتاب. فالجمال واسع ومتباين بين الجغرافيين. ومن هنا تختلف الكتب فى الجغرافيا السياسية بصورة لا مثيل لها. ولكنى حاولت أن أركز على بعض الحقائق التى أرى أنها تصلح لتكون بداية لمرحلة لاحقة أستطيع أن أضيف فيها بعض الدراسات المكتملة لكى يكتمل العمل. ليستفيد منها القارئ العربى عندما يضاف إلى ذهنه معلومة عن عالمنا المتغير.

وأخيراً أتوجه بجزيل شكرى وتقديرى لكل من ساعدنى على إنجاز هذا العمل المتواضع. وأخص بالذكر أسرتى الصغيرة التى سلبت من وقتهم الكثير لكى أنجز هذا العمل دون كلل. وشكرى لزوجتى ولأبنائى الأحبة لإسلام وعمرو وأحمد على تشجيعهم المستمر لإنجاز هذا العمل المتواضع. كما أتوجه بالشكر للحاج صابر عبد الكريم صاحب ومدير دار المعرفة الجامعية على دعمه لإخراج هذا الكتاب وتشجيعه المستمر لكى انتهى من إخراجه وإعداده.

وختاماً: لا أدعى الكمال فى هذا العمل المتواضع ولكنها محاولة وسوف تتبع بمحاولات وجهد كبير حتى يصل إلى الصورة التى يرضى عنها القارئ. والله أسأل ألا أكون قد حدث عن سبيل الصراط. فكل قصدى سواء السبيل. وأرجو أن يكون عملى لله ومقبولاً عنده جل شأنه. ودائماً أبدأ الكمال لله.

وبالله التوفيق

أ.د. فايز محمد العيسوى

الإسكندرية ٢٥/١/٢٠٠٠

الفصل الأول

الجغرافيا السياسية: معناها وتطور مفهومها

مقدمة عن التعريف

أولاً: تاريخ الجغرافيا السياسية وتطورها

١- الجغرافيا السياسية في العصور اليونانية والرومانية

٢- الجغرافيا السياسية في العصور الوسطى.

٣- الجغرافيا السياسية في عصر النهضة.

٤- الجغرافيا السياسية في القرن التاسع عشر.

- راتزل وإسهاماته

٥- الجغرافيا السياسية في القرن العشرين.

ثانياً: طبيعة الجغرافيا السياسية

١- تدهور الجغرافيا السياسية

٢- تحويل الجغرافيا السياسية إلى الجيوبوليتيكا.

ثالثاً: مجال الدراسة في الجغرافيا السياسية المعاصرة.

رابعاً: مناهج البحث في الجغرافيا السياسية.

مراجع الفصل الأول

الفصل الأول

الجغرافيا السياسية: معناها وتطور مضمونها

مقدمة:

الجغرافيا السياسية أحد فروع الجغرافيا البشرية التي تبحث في دراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة التي نعيش فيها. وهى مثل باقى الفروع الجغرافيا تؤكد على إبراز التباين المكاني. وتهتم الجغرافيا السياسية بدراسة الوحدة «الوحدات» السياسية فوق سطح الأرض، أى دراسة الدول كوحدة لها شخصية مميزة تتأثر بظروفها الداخلية من موارد وسكان ومظاهر سطح، كما تتأثر وتؤثر فيما يحيط بها من جيران فى منظومة متكاملة تهدف إلى سد حاجات السكان. أو المساهمة فى نشر الرفاهية لسكانها وسكان الأقاليم المجاورة.

وينصب اهتمام الدراسة فى الجغرافيا السياسية على دراسة الوحدات السياسية على أنها وحدة ذات شخصية وسمات اقتصادية واجتماعية ولها نظام سياسى مميز. وهذه السمات، وهذه الشخصية تنمو وتنضج داخل إطار محدد معترف به «الحدود». ولما كانت الظاهرة السياسية متغيرة سواء فى صورة تغير فى اختيار عواصمها أو تغير فى حدود وحداتها الداخلية. أو تغير فى اتجاه الدولة السياسى الخارجى. وهى عكس ظواهر الجغرافيا الطبيعية المناخية والتضاريسية. من هنا أصبحت حدود الدولة أو الظاهرة السياسية محددة لشخصية إقليمية متغيرة «دولة». ولاتقوم هذه الدولة إلا إذا توفرت لها جوانب عدة مثل:

- ١- مساحة من الأرض لها موارد تشجع على جذب السكان «وطن».
- ٢- سكان لهم نشاط اقتصادى ويعيشوا فوق الأرض فى ترابط وانسجام اجتماعى «شعب».
- ٣- إدارة مسئولة عن حكم هذا الوطن وهذا الشعب «حكومة».

٤ - إطار خارجي (حدود) يحقق للوطن والشعب والحكومة الأمن وتنفيذ القوانين والسيادة.

٥ - مكان في منتصف هذا الوطن، ويكون بمثابة القلب للجسد يوزع الخدمات والخير على كافة أجزاء هذا الوطن «العاصمة».

٦ - شبكة جيدة من طرق المواصلات والنقل تكون بمثابة شرايين نقل الخدمات وربط أجزاء الجسد بالقلب.

ومهمة الجغرافي لا تنصب فقط على دراسة كل عنصر من العناصر الستة السابقة وإبرازه على حدة، بل أن الجغرافيا السياسية تركز دراستها على إبراز شخصية الدولة كظاهرة متكاملة. وتزيد على ذلك أثر العلاقات الدولية على هذا الكيان السياسي. من هنا فإن الجغرافي السياسي يكون له دور مؤثر في تقسيم الوحدات الإدارية داخل الدولة. أو اختيار مواقع للعواصم الجديدة أو لتقسيم الدولة إلى دوائر انتخابية. أو للمساعدة في حل المشكلات المتعلقة بالحدود السياسية الدولية.

وسوف نحاول فيما يلي إلقاء الضوء على بعض التعريفات التي وضعت لتعريف الجغرافيا السياسية:

- تعريف هارتسهورن Hartshorne:

الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة التباين في الظاهرة السياسية من مكان إلى آخر وتداخلها مع التغيرات التي تحدث في ظواهر سطح الأرض الأخرى، وخاصة في المكان الذي يقيم فيه الإنسان.

- تعريف ويجرت Weigert:

الجغرافيا السياسية أحد فروع الجغرافيا البشرية التي تبحث في دراسة العلاقة بين الإنسان والأرض، ومع تأكيد واضح على إيضاح العلاقة بين العوامل الجغرافيا والمتغيرات السياسية.

- تعريف الكسندر: Alexander :

تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة الأقاليم السياسية ومظاهرها فوق سطح الأرض .

- تعريف باوندز Pounds :

الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة ملامح وسياستها وقوتها .

- تعريف جاكسون: Jackson :

مجال الدراسة في الجغرافيا السياسية ينحصر عند دراسة الظاهرة السياسية في إطارها الأرضي .

- تعريف كاسبرسون Kasperson :

هي دراسة التحليل المكاني للظاهرة السياسية .

- تعريف كوهين روزنثال Cohen & Reosenthal :

الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة دور المتغيرات المكانية «الجغرافيا» في العمليات السياسية .

- تعريف باشيون: Pacione :

تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة دور أى عامل جغرافى مؤثر فى القرارات والتغيرات السياسية .

- وكما يتضح من هذه التعريفات التى أوردها جلاسنر Glassner فى كتابه الجغرافيا السياسية، الذى نشر عام ١٩٩٣ . فإنها توضح عدم الاتفاق على تعريف محدد لهذا العلم . وهذا يرجع إلى الغموض الذى انتاب هذا العلم والمجال الذى يدرسه فعدم وجود حدود واضحة لمجال دراسته كان أحد أسباب هذا الغموض . ولكن المهم هنا أن تكون الدراسات الجغرافيا للظاهرة السياسية مهتمة بدراسة المكان أو الأرض "Territory" التى تقوم عليها الدولة، وهذا ما يجعل كل من يكتب فى السياسة من علماء السياسة وعلماء الاجتماع السياسى وباقى العلوم الأخرى المهتمة

بالقضايا السياسية لا يقدر على الكتابة فى الجغرافيا السياسية. ومن ثم تكون كتابات الجغرافيين ذات قيمة. فالمعلومات التى يملكها الجغرافيون عن مكان المشكلة والظاهرة السياسية لا يعرفها سواهم.

أولاً: تاريخ الجغرافيا السياسية وتطورها

ظهر علم الجغرافيا السياسية Political Geography فرعاً مستقلاً بذاته بعد أن نشر عالم الجغرافيا البشرية الألماني فردريك راتزل F. Ratzel كتابه الشهير تحت عنوان الجغرافيا السياسية "Politische Geographie" فى عام ١٨٩٧^(١). ولكن كثير من الموضوعات التى تناولها راتزل فى كتابه تناولتها كثير من الدراسات الإغريقية القديمة. ومن ثم فإن الجغرافيا السياسية علم قديم ظهرت مع مولد علمى الجغرافيا والعلوم السياسية نفسها.

وقد جذب موضوع العلاقة بين الظروف الطبيعية والدولة States اهتمام دارسى السياسة والتاريخ والجغرافيا منذ قديم الأزل. ومعظم الدراسات القديمة التى تناولت هذا الموضوع كانت على يد فلاسفة متأملين مهتمين بالبحث عن أسباب الظواهر الإنسانية وأثر عناصر البيئة الطبيعية المحيطة بهم فى صنع شخصية الإنسان وسلوكه. وعلى ذلك فإن كتاباتهم احتوت على الكثير من التصميمات التى ارتبطت أساساً بمبدأ الحتمية الجغرافيا. من ثم فإن الجغرافيا السياسية بدأت منذ القدم كدراسات ضمن علوم أخرى. أما عن نشأته كعلم مستقل بذاته له منهج خاص به كان على يد راتزل عام ١٨٩٧. ويمكن رصد تاريخ الجغرافيا السياسية وتطورها خلال مراحلها فيما يلى:

١ - الجغرافيا السياسية فى العصرين اليونانى والرومانى:

يعد الفيلسوف اليونانى أرسطو Aristotle (٣٨٣ - ٣٢٢ ق.م) أقدم من كتب فى الجغرافيا السياسية. فمن خلال إصداره الشهير باسم السياسة "Politics"، والذى عرض فيه نموذجاً مثالياً عن المدينة (الدولة) موضحاً فيه عنصرين أساسيين، وهما

السكان وطبيعة المنطقة التي توجد فيها هذه الدولة «المدينة». باعتبارها أهم العناصر التي تحدد قوة المدينة.

وقدم أرسطو في كتابه بعض الأفكار الهامة حول دور كل من السكان والظروف الطبيعية في إضفاء القوة أو الضعف للدولة. والعديد من هذه الأفكار أصبح من أهم المفاهيم في مجال الجغرافيا السياسية المعاصرة^(٢).

ومن ضمن هذه الأفكار: دراسة الحجم الأمثل للسكان ومساحة المكان، وعلاقتها بقوة الدولة. وركز أيضاً على شكل توزيع السكان «نمط التوزيع» في المكان والمشاكلات المرتبطة به. كما اهتم بدراسة العاصمة وأهمية موقعها الاقتصادي والاستراتيجي. ومناطق التخوم والحدود التي تفصل الأقاليم والأمم والمدن المختلفة. كما اهتم بدراسة بعض المفاهيم الخاصة بالتبادل والتكامل بين المدن «الدول».

واحتوت دراسات أرسطو على بعض المفاهيم والبيانات الحتمية الخاطئة لوصف الأمم والشعوب على أساس لم يعرف سببه مثل:

أ- يتميز سكان المناطق الباردة بصفة عامة والأوروبيون الشماليون بصفة خاصة، يتميزون بالحيوية. ولكنهم غير أكفاء في مهاراتهم وقليلو الذكاء، ولذلك فهم أكثر حرية وغير قابلين للتطور السياسي. ولا يملكون القدرة على حكم الآخرين^(٢).

ب- يتميز سكان آسيا بأنهم ذو مستوى مهاري عالٍ وذكاء، ولكنهم أقل حيوية، مما يجعلهم من الشعوب الخاضعة للآخرين، بل ويكون منهم العبيد والخدم.

ج- أما الأغريق فنظراً لموقعهم الجغرافي المتوسط. فإنهم اكتسبوا سمات الإقليمين السابقين من الحيوية التي جعلتهم أكثر حرية. والذكاء الذي جعلهم يمتلكون القدرة على التطور السياسي. كما أن لهم قدرة على حكم الأقاليم الأخرى إذا ما تمكنوا من الوصول للوحدة السياسية.

وسار معظم الكتاب اللامعين الذين ظهوروا قبيل القرن التاسع عشر على نفس

منهج أرسطو . وإن ظهر بعض الفلاسفة الذين اختلفوا عن فكر أرسطو. فهناك عالم جغرافي أغريقي لا بد من ذكره عند الخوض في هذا الموضوع، وهو الإغريقي استرابون Strabo (٦٣ ق.م - ٢٤ م). ومنظور إسترابون في الجغرافية السياسية يختلف عن منظور أرسطو، ففي حين كان أرسطو يرى المسألة من وجهة نظر الأمكنة صغيرة الحجم حيث إنه كان يقيم في مدينة أثينا فقط، فإن وجهة نظر إسترابون كانت من خلال رؤيته للدول كبيرة الحجم حيث إنه عاش في زمن الإمبراطورية الرومانية في أوج مجدها. وفي كتابه «الجغرافيا» Geography قام إسترابون بدراسة شروط نجاح الدول كبيرة الحجم، من خلال تطبيق تلك الدراسة على الإمبراطورية الرومانية وتوصل إلى أنه، لكي تقوم الإمبراطورية الرومانية بوظائفها بنجاح فيجب أن تتوفر لديها حكومة مركزية قوية وحاكم واحد للولاية. (للدولة).

٢- الجغرافيا السياسية في العصور الوسطى:

مع سقوط الإمبراطورية الرومانية بدأت العصور الوسطى المظلمة في أوروبا. فقد عم التدهور جميع مجالات العلم بما فيها الدراسات الجغرافيا، وقد استمر هذا التدهور في العلوم ألف عام تقريباً أى حتى نهاية القرن الخامس عشر. وخلال تلك الفترة قلت وتدهورت الدراسات المتعلقة بعلاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به. فمعظم الدارسين تجمّعوا في أديرة أوروبا المسيحية، وبالتالي لم يكن لهم اهتمام بالدراسات العلمية.

فقد كان الدارسون مهتمين بتجميع وتصنيف المعلومات من المصادر الوثائقية وتقريبها من وجهة نظر سلطة الكتاب المقدس، وعلى الأخص سفر التكوين The Book Genesis. وعلى النقيض من عالم أوروبا المسيحية، كان العالم الإسلامى في ذلك الوقت يحرز تقدماً كبيراً في كافة المجالات بصفة عامة، وفي مجال الدراسات الجغرافيا بصفة خاصة.

وأحد هؤلاء الدارسين الإسلاميين هو «ابن خلدون»، والذي ساهم إسهامات كبيرة في مجال الجغرافية السياسية من خلال كتابه (مقدمة ابن خلدون)، والذي ترجم إلى الإنجليزية تحت اسم مقدمة في التاريخ Introduction to History. وقد

ركز ابن خلدون في هذا الكتاب على كل من القبيلة والمدينة، وهما أهم عنصرين في الهيراركية السياسية عند العرب حينئذ. فلقد عرف هذين الشكلين من المنظمات السياسية والاقتصادية على أنهما مرحلتان متباعدتان في نمو المنظمات الاجتماعية في البيئة الصحراوية. ويمثل البدو الرحل أول تلك المراحل في المنظمات الاجتماعية. ويمثل سكان المدن (والذين ينتمون إلى أصول بدوية مهاجرة أو نازحة) آخر مرحلة من مراحل التطور في المنظمات الاجتماعية، والتي يبدأ عندها الفساد (الاضمحلال).

وعلى ذلك فإن ابن خلدون قد قدم الخطوط العريضة لما قد نسميه الآن أول المفاهيم عن دورة حياة الدولة. فقد أوضح ابن خلدون العلاقة بين نمط الحياة ومفهوم الدولة.

فالفارق بين طبيعة النظم القبلية عند البدو الرحل قاطنى المدن، قد تم التعبير عنها من المنظور الاقتصادي، فهناك تزاوج بين الأنشطة الزراعية، ورعى الماشية هي أساس حياة القبائل الرحل حيث حلت التجارة والصناعة محل تلك الأنشطة في المدن المستقرة. نظراً لأن البدوى في ترحال دائم من مكان إلى آخر بحثاً عن الكلاً والعشب؛ فمن الصعب عليه أن يكون عنده مفهوم الوطن الدائم Homeland، وعلى ذلك فإن مصطلح «الدولة» بالنسبة لهذا البدوى مفهوم غير مكتمل «القبيلة». وعلى النقيض، فإن الحياة في المدينة تتطلب تعايش مجموعة من البشر مع بعضهم البعض مع اختلاف مستوياتهم وأهدافهم الاقتصادية، ولكن يجمعهم انتماء إلى موطن واحد. وعليه، فإن القومية بالنسبة لسكان المدن (الدولة) هي على علاقة مرتبطة بالأرض (على عكس القومية بالنسبة للقبيلة) مبنية على أسس تبادلية سياسية واقتصادية، وليس على أساس رابطة الدم Blood-Relationship^(٣).

ولقد توصل ابن خلدون إلى أن العلاقة التبادلية بين المدينة والمجتمع القبلى لا ترتبط فقط بالنمو والتطور، ولكن هناك علاقة وظيفية، وأن تلك العلاقة الوظيفية تطورت مع التطور الاقتصادي العالمى.

ومن هنا نخلص إلى محاولة هذا العالم العربى فى العصور الوسطى للوصول إلى نموذج نظرى لنمو الأمم وانحسارها (الدول States)، حيث تشابهت مع أفكار العديد من المفكرين السياسيين الأوروبيين الذين قدموها فى القرن التاسع عشر. فكتاب ابن خلدون بدأ بمناقشة (دراسة) علاقة الإنسان بالبيئة حيث عرض عاملين يؤثران فى حياة الإنسان، أحدهما: مشتق من البيئة الطبيعية المحيطة والآخر متعلق بالخبرات الثقافية والتاريخية. ولكن محاولاته فى الجغرافية البشرية والسياسية لم تكن محددة. وقد وصفه أحد الجغرافيين المعاصرين بأنه أول من وجه الاهتمام إلى دراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة^(٤).

٣- الجغرافيا السياسية فى عصر النهضة:

ومع بداية القرن السادس عشر شهدت الدراسات الجغرافيا انتعاشاً كبيراً فى أوروبا، فلقد أصبح الكثيرون من الدارسين مهتمين بعلاقة الإنسان ببيئته الطبيعية. وفى مجال الجغرافيا السياسية - بصفة عامة - فهناك اسمان لامعان يجب ذكرهما - الأول: جين بودين Jean Bodin (١٥٣٠ - ١٥٦٩) والثانى هو شارل بارون دو منتسكيو Charles Baron de Montesquieu (١٦٨٩ - ١٧٥٥). فكتاب بودين Six Livres de la Republique (Six Books of Commonweath) أو الكتب الستة عن الجمهورية يحتوى على أفكار على نفس منوال تلك الأفكار الموجودة فى كتب أرسطو واسترابون وابن خلدون، وقد أشار بودين أن الملامح القومية للدولة تتحدد أساساً تبعاً لمناخها وطبوغرافيتها. فالمناخ والطبوغرافيا يختلفان من منطقة إلى أخرى، وهما يمثلان انعكاساً وموثراً للبيئة الطبيعية التى توضح نشاط السكان.. وعلى ذلك فإن بودين قد وضع حجر الأساس للنظرية الحتمية الشاملة حيث إن طبيعة الإنسان ومزاجه ومهارته ورغباته، بجانب النظام السياسى الذى يحكمه تعكس مدى ارتباط الإنسان بالأرض.

وكان من أكثر مؤيدى النظرية الحتمية هو شارل بارون دو منتسكيو، والذى ظهر بعد قرابة قرن ونصف بعد بودين. وفى الفترة الذى ظهر فيها منتسكيو، ظهرت

مجموعة منظمة من الأفكار حول بيئة الإنسان الطبيعية وأثرها في إكساب الإنسان لبعض سماته.

وتلازماً مع الأفكار العلمية التي كانت سائدة حينئذ، فقد استنتج منتسكيو أن سكان مناطق المناخ الحار يفضلون الحكم المطلق والعبودية، أما سكان المناطق الباردة فيفضلون الديمقراطية والحرية. وعلى هذا الأساس وضع منتسكيو نموذجاً عالمياً للجغرافية السياسية، والذي أكد بمقتضاه أن الديمقراطية والحرية تزدادان كلما زاد البعد عن خط الاستواء.

وقد حاول منتسكيو أن يوضح الفروق بين العادات والتقاليد التاريخية بين آسيا وأوروبا. فعلى النقيض من أوروبا التي تقع في نطاق مناخى معتدل وبارد، فإن آسيا تقع تماماً خارج هذا الحزام. وعلى ذلك فإن أوروبا تعتبر قارة حرة (دول متوسطة إلى صغيرة الحجم)، وآسيا (حسب تقدير منتسكيو) كانت دائماً قارة يسود فيها الحكم المطلق. ويرى منتسكيو أيضاً أن كلاً من أفريقيا وأمريكا يشبهان تماماً قارة آسيا. بناءً عليه؛ فإن أوروبا وحدها بما تتمتع به من مناخ وموقع جغرافى) قارة من الأمم الحرة. وفي دراسة معاصرة). حاول كرينزل أن يثبت أنه على الرغم من أن البيئة الطبيعية لها عميق الأثر على السلوك السياسى للإنسان، فإن الإنسان يمكنه بفهمه (إدراكه) لقوى الطبيعة يستطيع أن يطوع تلك القوى لمصلحته. أيضاً أوضح أن هناك علاقة بين الإنتاجية الزراعية وشكل الحكومة، فقد اعتقد أن السهول الخصبة الواسعة تفضل الإمبراطوريات الكبيرة، فى حين أن المناطق الأقل خصوبة مثل الجبال تفضل الاستقلالية وتسعى إلى الحرية.

وعلى ذلك، فإن منتسكيو، على عكس معظم المفكرين الحتميين فى عصره، كان يرى أن العملية السياسية (النشاط السياسى) عامل مؤثر فى تطور النشاط الزراعى الاقتصادى.

٤ - الجغرافيا السياسية فى القرن التاسع عشر:

ظهر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، الجغرافى الألمانى كارل ريتز

قال: إن الحضارات الإنسانية تنبع من أصول عضوية وإن الحضارات توند وتنمو وتموت.

وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور أفكار ودراسات جديدة في العلوم البيولوجية مع ظهور النظرية الجديدة لتشارلز داروين C Darwin عام ١٨٥٩ (نظرية الاختيار الطبيعي والبقاء للأفضل) ^(٦)، وقد أثرت هذه النظرية في كافة مجالات العلوم ومنها علم الجغرافية، وخير من استفاد منها كل من سبسر وراتزل ويعد عالم الاجتماع البريطاني هيربرت سبنسر Herbert Spenser (١٨٢٠ - ١٩٠٣) ^(٧) أحد العلماء البارزين الذين قاموا بتطبيق أفكار داروين على المجتمعات البشرية، وأوضح التشابه بين المجتمعات البشرية والكائنات الحيوانية. وقد أكد سبنسر مقولة «البقاء للأصلح» في اتجاه جديد أطلق عليه الداروينية الاجتماعية.

فريدريك راتزل Friedrich Ratzel (١٨٤٤ - ١٩٠٤):



فريدريك راتزل ١٨٤٤ - ١٩٠٤ أبو الجغرافيا السياسية

ويطلق عليه أبو الجغرافيا السياسية، وهو من استفاد من أفكار داروين الثورية وتأثر كثيراً بمفاهيم أستاذه ريتز عن الحضارة العضوية. واستطاع أن يطور نظرية «الاختيار الطبيعي» ووظفها على الدول، وأوضح أن الوحدات السياسية «الدول» كائنات حية. وكأى كائن حي في الطبيعة يعيش في صراع دائم للحصول على مساحات أكبر لتكفل له البقاء والحياة عندما يكبر حجمها.

وفي كتابه «الجغرافيا السياسية Politische Geographie (١٨٩٧)»^(٨)، والذي يعد أول معالجة أكاديمية لعلم الجغرافية السياسية. عرف راتزل الدولة على أنها كائنات مرتبطة بالأرض. وقد كان مهتماً بالأخذ مقولته المضمون اللفظي فقط «وهذا ما حدث فيما بعد».

وأكد أن الدولة مثل سائر الكائنات الحية تمر خلال عملية تطورية. وأنها إما أن تنمو أو تتحلل وتتلاشي حيث إنها بطبيعتها لا تستطيع أن تظل ساكنة.

وكتب أن الدولة القوية يجب أن تكون لها مساحة أكبر لكي تستطيع البقاء، وأن امتداد أطراف الدولة وتباعديتها إنما هو دلالة على قوتها الداخلية ونمو وتزايد عدد السكان بها. ووضع راتزل ما أطلق عليه «قوانين النمو المساحي للدول» في ورقة بحثية نشرت عام ١٨٩٦ أي قبل عام من نشر كتابه الشهير «الجغرافيا السياسية».

قوانين راتزل عن نمو مساحة الدولة

من خلال مقالته الشهيرة، وفي ضوء دراسة العلاقة بين النمو السكاني والحضاري للدولة أوضح راتزل سبعة أسس لكي تنمو الدولة بصورة سليمة، وفيما يلي عرض موجز لذلك

١ - تنمو مساحة الدولة بنمو حضارتها

تنمو مساحة الدولة مع نمو النفوذ الحضاري من خلال انتشار لغتها أو ديانتها وهذا الانتشار الحضاري يكون أول مقومات توسع الدول ونموها. فالترابط النفسي والعقائدي بين الوحدات الجغرافية من الممكن أن يكتمل بترابط سياسي ومن ثم فإن المناطق المتاخمة لحدود دولة يتحدث سكانها بلغتها ويعتقدون ديانتها من السهل أن يمثلوا امتداداً جغرافياً سهلاً في المستقبل للدولة الجار إذا ما رغبت في التوسع بطرق عسكرية أو دبلوماسية.

٢ - نمو الدول يكون تالياً لنمو السكان :

مع تزايد أعداد السكان وتزايد ضغطهم على مواردهم ومحاولتهم إيجاد مخرج

عن طريق الهجرات إلى المناطق المجاورة أو السفر لرحلات تجارية يؤدي إلى زيادة فهم هذه الأقاليم، ويخلق نوعاً من الألفة بين سكان الإقليمين. وتزداد أواصر هذه العلاقة والتفاهم عن طريق التجارة أو وجود وسيلة اتصال سهلة مثل: الأنهار أو عدم وجود عوائق طبيعية تفصل سكان الإقليمين.

٣ - نمو الدولة يتم عن طريق ضم وحدات أصغر أو دمجها

تزداد هيمنة الدولة ذات القوة الكبيرة وتأثيرها علي ما يجاورها من وحدات سياسية أصغر. سواء كانت قوتها بحجمها السكاني أو مساحتها أو مواردها أو لعتادها العسكري. أو ذات هيمنة حضارية. من هنا فإن غطاء الهيمنة والسيطرة يتجه من الدولة الكبرى إلى هذه الوحدات الصغيرة. ومن ثم تظهر صورة واضحة للتبعية من الوحدات الصغيرة إلى تلك القوى المهيمنة. وتظهر رغبة شديدة من سكان هذه الوحدات الصغيرة في الدخول مع الدول الكبرى المجاورة في تكتلات اقتصادية أو سياسية أو عسكرية. ويرى راتزل أن عملية دمج وتجميع الوحدات السياسية المفتتة وتجميعها في كيان عضوى أكبر يتطلب توالد علاقة قوية بين الأرض والسكانين عليها. والدولة فى نموها فوق مساحة ما من الأرض يمكن تشبيهه بالنمو السفلى للنباتات. فالجذور تربط النبات بالأرض ليعيش ويكبر. فارتباط الأفراد بالأرض التي يعيشون عليها يشبه تماماً جذور النبات لأن الدولة كيان عضوى تزداد قوته بتزايد ارتباط الإنسان بأرضه.

٤ - الحدود هي الإطار الخارجى للدولة وتتسع بنمو الدولة :

وهذا أمر طبيعى حيث الدولة كائن حى إذا ما كبر عدد سكانها وازداد نفوذها الحضارى باعتبارها كائناً حياً كلما كانت حدودها لا تتفق مع هذا الحجم. ومن ثم فإن حدودها يجب أن تتغير لتوافق هذا التوسع وهذا الإنتشار. لأن الأطار الخارجى يتغير بتغير الحجم دائماً.

٥ - الدولة فى نموها تسعى دائما لضم المناطق ذات القيمة

تبدأ الدول التى تسعى للتوسع والنمو باحتلال المناطق ذات القيمة الاقتصادية أو ذات الموقع الاستراتيجى، والتى تضيف مميزات إلى قوتها. وهذا ما يؤكد التاريخ. فالدول المستعمرة بدأت بفرض سيطرتها على سواحل البحار فى المناطق ذات البعد الاستراتيجى المؤدى إلى سهولة فرض السيطرة والهيمنة على كافة الإقليم. أو يمتد النفوذ إلى مناطق السهول الخصبة أو مناطق الإنتاج المعدنى وخاصة إذا ما كانت قريبة من الحدود أو من خط الساحل. أما الأشكال السياسية القديمة، والتى لا ترغب فى التوسع بقيت فى الصحارى والمستنقعات والجبال. أى فى المناطق الداخلية غير المرغوبة والأقل انفتاحاً.

٦ - تأتى مثيرات النمو تأتى للدولة من خارجها

تنقل أفكار النمو والوحدة من الدول الكبرى إلى الوحدات السياسية الصغيرة ذات الجذور الثورية. أو التى يبرز فيها شخصية قيادية. فتبدأ هذه الوحدة فى قيادة الوحدات المجاورة وضمها وبداية التوسع وازدياد النفوذ المساحى، وتكون البداية هى تخطى أقاليم اللامعمور أو الانقطاع. وإنشاء كيان قوى رغم ما يتخلله من مناطق غير مأهولة بالسكان. وهذا ما حدث بالنسبة لتوحيد إيطاليا وألمانيا والولايات المتحدة أو المملكة العربية السعودية.

٧ - تنتشر عدوى الضم واتساع المساحة بصورة سريعة بين الدول :

تؤدى زيادة الثقل السياسى للوحدات الجغرافيا إلى تصارع الدول لإثبات الذات، وذلك عن طريق ضم السيطرة وفرضها على ما يفيدها استراتيجيا. ودائما يبدأ يكون الصراع المحموم على حساب الدول والوحدات السياسية الصغيرة والضعيفة. وهذا ما يمثله الصراع الذى حدث فى العصر الاستعمارى حين تنافست قوى عظمى على ضم ما يفيدها ويمثل مصالح شخصية لها. فالتنافس بين إسبانيا والبرتغال، والصراع بين فرنسا وإنجلترا على ضم المستعمرات ووضعها تحت رايتهما خير مثال على ذلك. وما فعلته ألمانيا واليابان أثناء الحرب العالمية أيضا تجسيد لذلك.

إسهامات راتزل فى مجال الجغرافية السياسية

أثر راتزل تأثيراً واضحاً فى إتجاهات وتطورة الجغرافيا السياسية وتطورها فى معظم البلدان على مستوى الدراسات الجامعية. ورغم ذلك ظلت إسهاماته محل نقاش وجدل وهناك الكثيرون ممن يعتبرون راتزل أعظم المساهمين فى مجال الجغرافية السياسية، بل ويلقبونه بأنه «أبو الجغرافيا السياسية».

يقول ديكسون Dickinson : مما لا شك فيه أن فريدريك راتزل أعظم المساهمين فى مجال الجغرافية البشرية عامة والجغرافية السياسية خاصة على الرغم من أن معظم نظرياته وكتابهات - لسوء الحظ - قد تم تعريفها على أيدي أفراد من بلده، وإيضاً أسع فهم تلك النظريات بصورة كبيرة فى بريطانيا وأمريكا وحدث ذلك لأن معظم الدارسين الإنجليز اعتمدوا على كتابات تلميذته الين تشرشل سمبل Ellen chirc-hill Semple والتي ظهرت عام ١٩١١، أى بعد عشرين عاما من تتلمذها على يد راتزل فى ليبزج Leipzig ، ومن ثم فإنه ليس من العدل أن نحكم على راتزل إعتقاداً على تفسيرات سمبل.

وكتاب راتزل «الجغرافيا السياسية» Politische Geographie امتداد لكتابه الجغرافيا الإثنوبولوجية Anthropogeographie (١٨٨٢) (١٠). فالنقطة الرئيسية فى نظريته المتعلقة بالجغرافية السياسية هى أن الدولة نوع معين من التجميع المساحى على سطح الأرض. وهى «كائن متصل بالأرض»، وأنه يتكون من «جزء إنسانى وجزء من الأرض». اعتقد راتزل أن الدولة كائن مساحى يسعى للوصول إلى حدوده الطبيعية : وأنه إذا لم توجد منافسة فعالة من الدول المجاورة، فإن الدولة تسعى لتخطى تلك الحدود، وكتب راتزل أن «التوسع الجغرافى والسياسى له جميع الخصائص المميزة للجسم الحى المتحرك، والذى يتمدد ويتكمش تقدماً وتراجعاً، وأن أساس هذه الحركة هو الحصول على مساحة أكبر بالنظر إلى الحجم الأساسى للدولة».

ويعد راتزل العالم الوحيد الذى أوجد ثلاثة عوامل اعتقد أنها تحكم نمط الدولة ونموها : أولها : أن الدولة تأخذ طابع الأرضية، فكل دولة تحتل قطعة محددة من

الأرض، وعلى ذلك، فإنها كائن مساحى له موقع محدد ينظر إليه من منطلق موقعه الطبيعي، بالإضافة إلى موقعه السياسى الجغرافى بالنسبة لعلاقته مع الدول الأخرى ومراكز السلطة السياسية.

ثانياً : أن الدول مجموعة من الأفراد الذين يشعرون بعدم الانفصال عن مساحة ما من الأرض تشكل موطنهم، ويزدادون فى العدد مع وصول الدولة إلى حالة النضج.

ثالثاً : الدولة دائماً تتطور داخل حدود ما أو ما يطلق عليه «الإطار الطبيعى» ، والتي تبدأ من وحده أرضية صغيرة حيث تتمدد مع زيادة قوة الدولة لتتعدى تلك الحدود، وهذه الفكرة أصبح يطلق عليها فيما بعد «الحدود الطبيعية» والتي سبقت الإشارة إليها.

وكتب راتزل أنه كلما ازداد سكان الدولة كلما بحثوا عن مكان أكبر لتوفير القوت لهذه الأعداد المتزايدة. وأوضح أن هذا ينتج عنه صراع دائم للحصول على مساحة أكبر، حيث تقوم الدول الأقوى بالحصول على مساحة ما على حساب جيرانها الأضعف. وعلى ذلك، فإن ما يحدث بين الدول هو نفس الحال بين الكائنات الحية حيث يعيش القوى على حساب الضعيف فيما يطلق عليه قانون «البقاء للأصلح».

وهذه الفكرة أصبحت فيما بعد أساس الجغرافيا السياسية الألمانية من خلال مفهوم المجال الحيوى (Lebensraum (Living - space) وقصد راتزل بهذا المصطلح «المساحة الجغرافية التى تتطور داخلها الكائنات» .

وعرف راتزل نوعين من المجال الحيوى ، الأول : المجال الحيوى العام General lebensraum والآخر المجال الحيوى الطبيعى Natural Lebensraum ، والذي يعتبر بمثابة البيئة الطبيعية البيولوجية. وعلى الرغم من أن مفهوم المساحة الحية قد أسئ استعماله خلال فترة الحرب الأهلية الألمانية بواسطة مؤيدى الجغرافيا السياسية الألمانية،

إلا أن الكثيرين من الجغرافيين اعتبروا هذا المبدأ أكثر المبادئ إثماراً في مجال الجغرافية المعاصرة.

وقد زاد السخط وعدم الرضا علي راتزل والجغرافيا السياسية الألمانية، وخاصة خلال سنوات الحرب وذلك لسببين، أولهما أنه ألماني، والثاني أنه قدم الأفكار الأولى لعلم الجغرافيا السياسية. وأيضاً اعترض النقاد على استخدام راتزل لفظ «قانون» في تفسيره لنموذج النمو المساحي للدولة.

ومن الجدير بالذكر أن قوانين النمو المساحي التي كتب عنها راتزل ليست قوانين ضرورة «Laws of necessity» (أى : ملزمة) كما اعتقد خطأ الكثير من نقاد راتزل. وكذلك فإن مقارنة راتزل للدول بالكائنات الحية ليست علاقة تطابقية تماماً، وإنما أراد أن يشير الى وجود علاقة تبادلية بين الأفراد والأرض التي يحصلون منها على قوتهم. وقد أرسى راتزل فكرة أن الدولة تمر بثلاث مراحل في تطورها : مرحلة الشباب ومرحلة النضج ثم مرحلة الشيخوخة. وقد لاقى فكرته قبولا كبيراً بين دارسي الجغرافيا البشرية عامة والسياسية خاصة.

٥ - الجغرافيا السياسية في القرن العشرين

رودلف كيلين ونشأة الجيوبوليتيكا

شهدت الفترة ما بعد راتزل ميلاد أحد أهم الدارسين لنظرية الدولة ككائن حي والأفكار الأخرى المرتبطة بالجغرافية السياسية، ألا وهو العالم السياسي السويدي رودولف كيلين Rudolf Kjellen (١٨٦٤ - ١٩٢٢) والذي كان أستاذاً في جامعة جوتنبرج Goteberg وتأثر كيلين تأثراً كبيراً بأفكار راتزل في الجغرافية السياسية والمتعلقة بدراسة السياسة العالمية وطبيعة الحكومات.

أكمل كيلين نهج راتزل في رؤية الدولة باعتبارها كائناً حياً، وفي ذلك لم ير أن الدولة كائن حي فقط، ولكنها رأها كائناً عاقلاً له قدرة أخلاقية وذهنية، واتفق مع راتزل في أن المرحلة النهائية لتطور الدولة هو تحقيق السلطة (القوة).

ولكن كيلين أوضح أن الدولة فى سعيها إلى السلطة لا تتبع القوانين العضوية البسيطة فى التوسع أو التمدد المساحى فحسب، ولكنها أيضاً توظف ما لديها من تقنيات حضارية للوصول إلى أهدافها المرجوة^(١١).

ورأى كيلين أن الدول ليست كيانات شرعية، ولكنها قوى متنافسة فى صراع دائم للحصول على السيادة، والهدف المطلق لتطور القوة السياسية للدولة هو «الحصول على حدود طبيعية جيدة خارجياً ووحدة متجانسة داخلياً».

واهتم كيلين مثل راتزل بدراسة العملية التى من خلالها تتحول قطعة من الأرض من منطقة جغرافية بسيطة إلى مناطق حضارية وسياسية لكل منها شخصيتها المميزة وخصائصه فى البقاء والحفاظ على الذات، ثم الانتشار والتوسع. ويرى كيلين أنه إذا ما توطن الإنسان فى منطقة ما من الأرض، بصفة مستمرة واتسمت إقامتها بها بالتماسك والتعايش والولاء والانتماء يؤدي إلى ميلاد أمة عن طريق ما أطلق عليه كيلين (الغريزة الجغرافية).^(١٢) وقد تبنى كيلين الخطوات التالية فى تحليل الدول:

- (١) الجيوبوليتيك Geopolitik أى البيئة الطبيعية. للدولة - (٢) الديموغرافيا السياسية Demopolitik أى سكان الدولة - (٣) الاقتصاد السياسى Oekopolitik
- أى موارد الدولة الاقتصادية (٤) علم الاجتماع السياسى Sociopolitik أى الهيكل الاجتماعى للدولة - (٥) حكومة السياسة Krato politik أى حكومة الدولة *

ولقد بين بيرسى Pearcy أنه مما يسترعى الانتباه أن كيلين قد وضع دراسة جغرافية الدولة فى المقام الأول ودراسة حكومة الدولة فى المقام الأخير خلال دراسته وأبحاثه، ولقد اعتقد كيلين (فى الغالب تحت تأثير أفكار ما كيندر (Mackinder) أن قوة الإمبراطوريات البحرية سوف تنتقل إلى الإمبراطوريات الموجودة على الأرض

* يعد كيلين بذلك أول من استخدم لفظ الجيوبوليتيك. وكما رأينا كان المقصود به دراسة البيئة الطبيعية «المسرح» الذى تقوم عليه الدولة. ولم يضع فى حسابه التحوير الفكرى فى الهدف من هذا الاسم، والذى استخدمه الألمان فيما بعد وخاصة بعد إنشاء معهد الجيوبوليتيك فى ألمانيا عام ١٩٢٤، سوف نرى فيما بعد، ولفظ Geopolitic معنى علم السياسة الطبيعية. أى دراسة تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية (كثافة السكان وتوزيعهم) فى سياسة الدولة الخارجية خاصة.

الصلبة، والتي بدورها سوف تنقل قوتها الى البحر مرة أخرى، وتوقع كيلين أيضاً ميلاد ألمانيا باعتبارها دولة عملاقة في أوروبا وأفريقيا وغرب آسيا (١٣).

الجغرافيا السياسية الألمانية (الجيوبوليتيكا Geopolitik) فيما بين الحربين العالميتين

أصبحت الجغرافيا السياسية من أهم الموضوعات وأكثرها شيوعاً للدراسة في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، والحافظ الرئيسي لذلك كان الحرب ذات نفسها. فنتيجة لهزيمتها في الحرب، اضطرت ألمانيا لتوقيع معاهدة صلح مهينة وغير مرغوبة.

وجعلت هذه الهزيمة كل رجال الدولة والمفكرين والقادة العسكريين في ألمانيا يفكرون في أسباب تلك الهزيمة وشرعوا في إيجاد الطرق والسبل للمداواة مجدهم القومي المفقود. وفي سعيهم لإيجاد إجابات لهذا السؤال جذب اهتمامهم دراسة علم الجغرافية وعلى الأخص الجغرافية السياسية التي نقلت إليهم بواسطة راتزل وكيلين.

وساهم مفههم راتزل عن الدولة العضوية وتعديلات كيلين لهذا المفهوم في إعطاء ألمانيا تبريراً جزئياً وبرنامج عمل لصحوة بسيطة ومتواضعة لفترة ما بعد الحرب، وأعطائها استراتيجية فعالة لكل من الدفاع الحربى والتوسع المساحى.

ونظراً لأن القادة الألمان «أرادوا تبريراً كاملاً، وهروباً من ذنب هزيمتهم في الحرب وتعويضها بصحوة ورغبة كاملة للشراء والسلطة (القوة)»، لذا رأوا أن مقترحات راتزل وكيلين لن تحقق أغراضهم وأهدافهم، لذلك وضعوا قوانين جديدة وأضافوا تعديلات إلى أفكار الأستاذين الكبيرين (راتزل وكيلين)، والتي أصبحت فيما بعد أسس قيام نظام جديد أطلق عليه Geopolitik، وهو نظام ابعده ما يكون عن أفكار راتزل وكيلين.

هاوسهوفر والجيوبوليتيكا

أنشئ معهد الجغرافيا السياسية Geopolitik فى ميونخ عام ١٩٢٤، وتولى الجنرال هاوسهوفر Haushofer رئاسة هذا المعهد (هاوسهوفر كان عسكرياً ثم تحول

إلى رجل أكاديمي). وأصدرت جريدة بعنوان «مجلة الجيوبوليتيكا» Zeitschrift fur Geopolitik تحت إشراف هاوسهوفر، والتي كانت أول إعلان عن المعهد، وكل من الجريدة والمعهد لقي تأييداً من الجغرافيين الألمان اللامعين في ذلك الوقت، وسرعان ما أصبح المعهد أداة في يد الحكومة وجزءاً من مخططاتها.

وقام هاوسهوفر بتجميع الدراسات الجغرافية وقدم تفسيراتها لهتلر، وتحت إشراف المعهد أصبحت الجغرافيا وبالتحديد جغرافية الحرب محل اهتمام قومي وشغلت الرأي العام الألماني خلال فترة ما بعد الحرب.

وعرف هاوسهوفر وزملاؤه الجغرافيا السياسية على أنها «علم العلاقات الأرضية وأثرها على التطورات السياسية»، وهنا يمكن التفريق بين الجيوبوليتيك Geopolitik والجغرافيا السياسية. حيث إن الجغرافيا السياسية تدرس الدولة من وجهة نظر المساحة أما الجيوبوليتيك فتدرس الدولة من وجهة نظر الدولة.

ولعل أدق تعريف للجيوبوليتيكا ذلك الذي وضعه الجغرافي الألماني أوتو ماول Otto Maul ، والذي كتبه عام ١٩٣٦ :

تُعنى الجيوبوليتك بالدولة باعتبارها كائناً حياً، وليس من خلال مفهوم ساكن، فالجيوبوليتيك تبحث وراء علاقة الدولة بالبيئة - مساحاتها - ثم تحاول ان تعالج تلك المشكلات الناتجة عن العلاقات المساحية.

والجيوبوليتيك تهتم بالمتطلبات المساحية للدولة في حين أن الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة الظروف المساحية للدولة. وعندما نضع الجغرافيا في خدمة السياسة المساحية الحالية. نجد أن الجيوبوليتيك تتبنى الإجابة على الأسئلة المتعلقة بالمستقبل أى : هل تحققت المتطلبات المساحية للدولة ؟ وإن لم تكن قد تحققت فكيف يتم الحصول على تلك المتطلبات بما يتناسب مع ظروفها الجغرافيا؟ وفي أى اتجاه يجب أن يحدث التغيير؟^(١٤)

وازدهرت الجيوبوليتك معتمدة على بعض الأسس مثل : نظرية راتزل (وهي أن الدولة كائن حي) والتعدلات التي أضافها كيلين و الأفكار المتعلقة بالمجال الحيوى Lebensraum والحدود الديناميكية على أساس أنها منطقة متغيرة للاستيعاب - نظرية

ماكيندر Mackinder عن «قلب العالم» Heart land ، والتي أبرزت بعض النقاط المتعلقة بالاستراتيجية العالمية، والتي تم عرضها من خلال السطور التالية:

- من يحكم أوروبا الشرقية يتحكم في قلب العالم .
- من يحكم قلب العالم يتحكم في جزيرة العالم .
- من يحكم جزيرة العالم يتحكم في العالم كله .

هذه النظرية أعطت الألمان استراتيجية مرجوة للتوسع المساحي والسيادة الدولية. وبالنسبة لهاوسهوفر وزملائه ، فإن أفكار راتزل وماكيندر وفرت لهم مجموعة أفكار مفيدة وتتفق وحالة ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، وتلك الأفكار مجتمعة (أى أفكار راتزل وماكيندر) أدنا إلى ظهور «الحقائق الجيوبوليتيكية الألمانية وأملت عليها السياسة الصحيحة تجاه العالم خاصة فيما يتعلق بهيكل الدولة وكونولوجية تمددها المساحي.

وقد أوجدت قوانين راتزل حول كون الدولة كائناً حياً نامياً تبريراً علمياً وطبيعياً بعض الأمور مثل : حاجة دولة كثيفة السكان (مثل ألمانيا) أن تنمو على حساب الدول الأقل عدداً مثل : تشيكوسلوفاكيا وبولندا، وعلى ذلك فإن الحدود المساحية التي فرضت على ألمانيا من خلال ما سمي بسلام باريس Peace of Paris تم اعتبارها حدوداً غير طبيعية وغير منطقية. ويجب على ألمانيا أن توسع حدودها بما يتناسب وعدد سكانها.

واعتقد هاوسهوفر ومدرسته أنه يجب تعليم رجل الشارع أن يفكر جغرافياً وتعليم قادة ألمانيا كيف ويفكرون جيوبوليتيكياً.

رغم أنه لم يتم نشر أى مخطط واضح لغزو العالم عن طريق أى من الجيوبوليتيكيين الألمان، إلا أن الموضوعات التي نشرت، عرضت الفكرة العامة لدى الجيوبوليتيكيين الألمان في مستقبل الرايخ في العالم.

وكان الهدف الأساسى للرايخ هو تجميع الوحدات السياسية ودمجها لقلب العالم

Heart land لمصلحة الرايخ، أما الأهداف الثانوية فكانت التحكم فى وسط أوروبا وأفريقيا، وتدمير القوة البحرية البريطانية وإلغاء المملكة البريطانية كقوى عظمى بحرية.

ولقد أيد القادة الألمان تجميع القوى المكترنة من : ألمانيا والإتحاد السوفيتى واليابان والصين والهند وتوحيدها تحت قيادة ألمانيا، وجعلوا الإختراق السلمى لقلب أوروبا عن طريق الاتفاقيات التجارية والعسكرىه إلا أنهم عارضوا غزو الإتحاد السوفيتى حيث إن الدولة التى تمثل سدس مساحة العالم مع مرور الزمن سوف تقدم المساحة مقابل الوقت، وإضافة إلى ذلك فإن الغزو الفرنسى الفاشل لروسيا تحت قيادة نابليون تم أخذه فى الاعتبار، وعلى هذا الأساس تم رفض غزو روسيا عام ١٩٤١.

وأصبحت الجغرافية السياسية ، بعد ذلك، مقترنة بالسياسات النازية حتى أنه بات محتملاً ومتوقفاً أن تشهد خسوفاً (تدهوراً) كاملاً بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية. وإن مناقشة النظرية العضوية للدولة والحتمية القومية والجيوبوليتيك فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية فى ألمانيا تداعت بنقد المفهوم الضمنى لنظرية الدولة ككائن حى، ولقد تم إقرار مبدأ أن الدولة ليست كائناً واعياً ذا سلوك هادف» ، وكتب پاوندر Pounds فى ذات الموضوع يقول : (١٥)

إن الدولة بذاتها لا يمكن أن تكون لها سياسة يمكن تطبيقها بواسطة صانعى القرارات، ولا تستطيع الدولة أن تنمو أو تموت أو تولد أو تتدهور إلا من خلال القرارات التى يملئها صناع القرار فيها

وإذا كانت الدولة ليست كائناً يتشابه مع الكائنات الحية العضوية، فإنها على ذلك ليست مؤهلة للمنافسة على المساحة أو الموارد، والتى تتصف بها الكائنات الحية الطبيعية.

إن نظرية الاختيار الطبيعى التى قدمها داروين منذ قرن مضى، تنطبق فقط على الكائنات الحية، ولكن عند تطبيق نظرية داروين على الدولة، كما أوضحها هيرت سبنسر Herbert Spencer ، فإنها تصبح غير منطقية وهذه المقارنة لها نتائج خطيرة، حيث إنها تفرض شروط منافسة قوية تؤدى إلى نشر النزعة العدائية كأمر طبيعى فى علاقة الدول بعضها البعض

ثانيا : طبيعة الجغرافيا السياسية

عند استعراض مجال الجغرافيا السياسية على مدى نصف قرن مضى نجد أن ريتشارد هارتسهورن Hartshorne لفت الانتباه الى الاختلاف الواسع في وجهات النظر، ليس بين الجغرافيين فقط ، ولكن أيضاً بين الباحثين في الجغرافيا السياسية نفسها، وأن هذا الاختلاف في الرأي مازال موجوداً ولم يزل.

والفقرة الافتتاحية لكتاب برسكوت Prescott في الجغرافية السياسية (١٦) تقدم الدليل على ذلك . هذا الاختلاف في الرأي فيما يتعلق بالجغرافيا السياسية يعكس اختلافاً في وجهات نظر الجغرافيين المختلفة في مجال الجغرافيا البشرية نفسها، وأن كل تغيير في المفهوم الكلي للجغرافيا البشرية أدى الى احداث تغيير في تعريف الجغرافية السياسية ومنظورها، وهذا أمر طبيعي حيث إن الفرع ما هو إلا مرآة تعكس التغيرات التي تحدث في النظام الأم «الجغرافيا البشرية عامة» .

وخلال ثلاثة أرباع قرن مرت الجغرافيا بثلاث مراحل مميزة من النمو، ففي العشرينيات من هذا القرن كان النموذج السائد للجغرافيا هو اعتبارها علم علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية - وهو المفهوم الذي قدمه راتزل في كتابه الجغرافية الأنثروبولوجية. وظل هذا النظام مقبولاً حتى نهاية العشرينيات حين ظهر مفهوم مختلف عن الجغرافيا تحت قيادة هتتر Hettner ، والذي رأى أن الجغرافيا هي دراسة للاختلافات المساحية، وهو المفهوم الذي لقي إقبالاً كبيراً.

مع بداية الخمسينيات زاد عدد الجغرافيين الذين أظهروا عدم رضا عن مفاهيم هتتر وهارتسهورن في الجغرافيا على أنها دراسة للإختلافات المكانية، وظهرت دعوي قوية تنادى بإعادة تأسيس الجغرافيا علي أساس أنها سلوك ونظم موجه للتعميم وبناء النظريات (١٧).

ظهرت ما بين راتزل وهتتر ظهرت عدة محاولات لتقديم متطور مختلف للجغرافيا : الأول : كان بواسطة المدرسة الفرنسية بزعامة فيدال دي لابلاش Vidal de la blache ، والذي أعطى تفسيراً احتمالياً لعلاقة الإنسان بالأرض مختلفاً تماماً

عن المنظور الحتمى للمدرسة الألمانية. ثم ظهر تعديل آخر على هذا المنظور قدمه باروز Barrows (١٩٢٣)، والذي حاول أن يخلص الجغرافيا من بعض الدعاوى المبالغ، واقترح نقض الطرق التقليدية لدراسة علاقة الإنسان بالأرض، وذلك بتقديمه مفهوماً مختلفاً يرى بمقتضاه الجغرافيا على أنها علم الأيكولوجيا البشرية Human Ecology. وركز على دراسة تكيف الإنسان مع البيئة الطبيعية، بدلاً من تركيز راتزل على دراسة المؤثرات البيئية، وعلي الرغم من ذلك فمثل كل التابعين للمدرسة الألمانية والفرنسية اتبع باروز الفكرة الرئيسية للجغرافيا على أنها «علم علاقات» Science of relationship.

فى النهاية، خلال الفترة ما بين راتزل وهنتز، اعتبرت الجغرافية السياسية «دراسة العلاقة بين أنشطة الإنسان السياسية ومنظماته البيئة الطبيعية سواء تم عرضها مباشرة (أى: المؤثرات) أو أن يتم عرضها بشكل عكسى (أى: التكيف)».

والمشكلة الأساسية فى الجغرافية السياسية كما عرضها الجغرافى الفرنسى كاميل فالو Camil Vallaux هى ما إذا كانت الحياة السياسية للمجتمعات قد تم تحديدها عن طريق الإطار الطبيعى الذى تتطور فيه أى: ما الطريقة التى يتم من خلالها تقييم التربة والهواء والمياه وعلاقتها بنشاط الإنسان؟.

على نفس المنوال اعتقد بومان Bowman أن الجغرافيا لها محتوى سياسى لأنها تساهم فى توفير إدراك مدى تكيف مجموعة ما من البشر مع بيئة منطقة معينة للسلطة السياسية، وهى تساعد فى تعريف الحدود القومية للدولة.

وفيما بعد عندما ازداد إعتبار الجغرافيا على أنها علم المساحات الأرضية، وأن دراستها تتم من خلال إيضاح الاختلافات المكانية، أصبح للجغرافيا السياسية منظور جديد. و تعريف جديد. فقد لاحظ هارتسهورن (١٩٣٥-١٨). أنه «إذا كانت الجغرافيا، هى علم المساحات؛ فإن الجغرافيا السياسية هى علم المساحات السياسية أو هى دراسة للدولة كخاصية للمساحة فى علاقتها مع الخصائص الأخرى للمساحة». وهو تعريف أعيدت صياغته عام ١٩٥٤ على أنه «دراسة للاختلافات أو التشابهات المساحية فى المنظور السياسى كونها جزءاً من الاختلافات أو التشابهات الكلية

للمساحة، وتتضمن تفسير الاختلافات المساحية من المنظور السياسي علاقتها بالمتغيرات المساحية الأخرى سواء كانت طبيعية أو بيولوجية أو ثقافية.

وفي عام ١٩٦٤ عرف جاكسون Jackson الجغرافيا السياسية علي أنها «دراسة الظاهرة السياسية في محتواها المساحي»، وقد تم إعادة صياغة تعريف جاكسون علي أنها «التحليل المساحي للظاهرة السياسية» هذا التعريف يتسع بصورة كافية لإدراك الطبيعة الجامعة للجغرافية السياسية، ويتسع أيضاً لدمج الجغرافيا السياسية مع العلوم الإجتماعية نظرياً وبحثياً على الرغم من أهمية الإسهامات المنهجية لهارتسهورن عام ١٩٥٠ (٢٠) وجونز Jones ١٩٥٤، فإن تعريف سارر Sauer عام ١٩٢٧ للجغرافيا السياسية على أنها «الطفل المتمرد في العائلة الجغرافية» وأنها «أقل الفروع عملية حيث أن «المادة حرة في يد الدارس» (٢١) ظل هذا التعريف مقبولاً ومعمولاً به حتى نهاية الستينيات. ففي عام ١٩٦٩. وصف بيرى Berry (٢٢) الجغرافيا السياسية على أنها «علم راكد ومحتضر» حيث اعتقد أن «أى تغيير يعتبر خطوة في الاتجاه الصحيح. وبالرغم من المحاولات الفاترة» لاقتراح أسباب تدهور الجغرافيا السياسية عن الفروع الأخرى المنظومة للجغرافيا» فإن أسباب التدهور السريع فى الاهتمام بالجغرافيا السياسية منذ منتصف الثلاثينيات ونموها المتأخر خلال الأربعين سنة المنصرمه لم يتم البحث فيه بدقة (٢٣).

إذن لماذا تدهورت الجغرافيا السياسية مع مطلع القرن العشرين؟ بإيجاز يمكن القول بأن السبب الرئيسى لذلك كان تحويل دفة الجغرافية السياسية من قبل بعض الجغرافيين، من علم يهتم بدراسة الإطار المساحي للوحدات السياسية إلى دراسة أسباب القوة أو إلى الجيوبوليتيك Geopolitik من دراسة القوة السياسية الدولية والقومية، وكان هذا التحول مرتبطاً بظروف سياسية دولية كما سوف نلاحظ فيما يلى :

تحويل الجغرافية السياسية إلى الجيوبوليتكا :

كانت الجغرافيا السياسية دائماً مقترنة بدراسة القوة السياسية الدولية والقومية ، وتجسد ذلك من خلال نظرية راتزل «أن الدولة هى كائن حى» أو من خلال نظرية

ماكيندر Mackinder «حول المحور الجغرافي للتاريخ» كان التركيز دائماً على القوة السياسية سواء أكان ذلك على شكل رؤى حول متطلبات التوسع المساحي للدول (التي تنمو) أم نموذجاً لتحقيق السيادة الدولية.

وفي الواقع - وكما رأينا سابقاً - كانت بدايات الجغرافيا السياسية الحديثة على يد راتزل الذى تأثر بأفكار هربرت سبنسر حول التشابه بين المجتمعات الإنسانية و الكائنات الحيوانية . وفي كتابه الجغرافيا السياسية (١٨٩٧) وصف راتزل الدولة على أنها «كائن متصل بالأرض» ورغم أن المقارنة التى قام بها لم تكن على سبيل الافتراضات العلمية ولكن لكى تكون تلميحات تنويرية إلا أنه استمر فى محاولة إثبات أن الدولة مثل أى كائن حى إما أن ينمو أو يموت وأنها لا تستطيع أن تبقى ساكنة.

وبالمثل ، قام بعض الدارسين الإنجليز والأمريكان مثل: ماكيندر وبومان وفيرجريف Fairgrieve وسبايكمان Spykman وفاوست Fawcett بدراسة القوة السياسية، سواء أكانت فى شكل دراسة مشكلة التنظيمات المساحية فى العالم الجديد بعد الحرب العالمية الأولى (بومان ، ١٩٢١). أم مشكلة «قوى العالم، World Power (فيرجريف ، ١٩١٥). أم مشكلة «سلام العالم World Peace (سبايكمان، ١٩٤٤). أو المسألة المتعلقة بالحدود الدولية (فاوست، ١٩١٨).

وكان هذا أمراً طبيعياً فى ظل جو تسود فيه المنافسة الإمبريالية للتوسع المساحي على مستوى العالم كله، وهذا التركيز الزائد والمفرط من جانب الجغرافيين فى دراسة القوة السياسية أدى إلى ميلاد جغرافية سياسية ألمانية أطلق عليها الجيوبوليتيكا Geopolitik هذا الجيل الجديد من الجغرافيا السياسية فى ألمانيا، أدى إلى اقتناع الجغرافيين خارج ألمانيا إلا ان مراجعة الجغرافيا السياسية إلى الجيوبوليتيكا ما هى إلا سحابة سوداء من نتائج الحرب العالمية الثانية. («فى هذا الوقت بدأ بركان الطموح القومى يفور» كما كتب ويتلسى Whittlesey عام ١٩٣٩ (٢٣) الأمر الذى جعل الجغرافيين يعيدوا النظر فى هذا الفرع الجديد من الجغرافيا.

وبدأ الكثيرون، يشكون الكثير في كون الجغرافيا السياسية فرعاً له احترامه من فروع العلوم الجغرافيا، وعلى ذلك بدأ الاهتمام العام بدراسة هذا الفرع بالفتور والتدهور نظراً لاقتترانه بخطايا الجيوبوليتيك. ويرى هارتسهورن أن زيادة اهتمام الجغرافيين السياسيين بدراسة القوة السياسية جعل «من الصعب الفصل بين الجغرافيا السياسية، وهذا الفرع الجديد الجيوبوليتيك» (٢٤).

وكنتيجة لذلك أصبح المناخ السياسي الأمريكي في الثلاثينيات يرى أن أى موضوع تحت عنوان الجغرافيا السياسية من الخطر التعامل معه to hot to deal with وعلى ذلك تدهور (قل) اهتمام الدارسين بالبحث فى تلك المادة التى كانت تعتبر أحد فروع الجغرافيا، بل واعتبروها تياراً عكسياً لها.

ونظراً لأن النازيين أساءوا استعمال بعض المفاهيم لصالح أهدافهم السياسية العدائية، فقد افترض خطأ أن مزج الجغرافيا بالسياسة يؤدي حتماً إلى الحرب (٢٥).

دراسة الوحدات (المناطق السياسية) كمدخل جديد لدراسة الجغرافيا السياسية

ظل الدارسون - وخاصة فى الولايات المتحدة حتى العقد السادس من القرن العشرين - مقتنعين بأن الجغرافيا السياسية ما هى إلا فرع تكميلى فى العلوم الجغرافيا ورأوا أن المشكلة الأساسية فى الجغرافيا السياسية هى تورطها الزائد والمفرط فى دراسة القوة السياسية والملامح العامة للدولة. وكان رد الفعل الطبيعى لهذا هو إعادة تعريف مجال الجغرافيا السياسية لتمييزها عن الجيوبوليتيكا سيئة السمعة.

فلقد عرف هارسهوفر الجيوبوليتيكا على أنها دراسة المساحة من وجهة نظر الدولة، ولكن ويتلى كتب أنه على الرغم من أن الجغرافيا السياسية درست الدولة فإن إهتمامها الأول كان الأرض أكثر من الاهتمام بالسياسة.

وتأثراً بالمدخل الجديد من خلال المنهج الإقليمي chorology فى الدراسات الجغرافية حيث قدم ويتلى الجغرافيا السياسية فى إصداراته عام ١٩٣٥ ، ١٩٣٩ على أنها دراسة للاختلافات المكانية على أساس الظاهرة السياسية، وهى وجهة

نظر تم عرضها بصورة قوية من خلال العالم الكبير ريتشارد هارتسهورن.

ففى الوقت الذى ركز فيه الجغرافيون الألمان على الملامح العضوية - Generic features للدولة أى أن : (الدولة كائن حى) - فإن ويتلسى وهارتسهورن ركزا على أن الدولة تمثل مساحة فريدة، وأن على الجغرافيين السياسيين أن يهتموا بدراسة دولة معينة من خلال محتواها البيئى.

وأضاف أيضاً أنه لكى «تقوم الجغرافيا السياسية بدور فعال، فإنه يجب على دارسيها ان يهتموا بدراسة المجموعات السياسية من مناطق توزيعها وإلا انجرفوا فى تيار من الإشاعات Propaganda ، والذى يخدم فقط الأهداف الأنانية للمشاعر القومية ضيقة الأفق. وعلى حد قوله «فإن هذا المجال يجب أن يدرس باستمرار الظروف الأرضية للدول territorial conditions والإخراج تماماً عن مجال الجغرافيا.

ومؤيدو هذا المدخل الاقليمى فى الجغرافيا السياسية يؤكدون باستمرار على أنه يجب على الجغرافيين السياسيين أن يدرسوا الدول على أنها مساحات، وأنه يجب عليهم أن يركزوا على دول معينة كمثال للتجمعات الفريدة من البشر على جزء معين من سطح الأرض، وكيف يتعايشون فيه بسلام والدولة كتصنيف عام (ككائن). تم اعتبارها خارج مجال الجغرافيا حيث إنها كانت تعتبر اهتماماً محصوراً على علماء السياسة.

الجغرافيا السياسية الحديثة :

لقى الاتجاه للدراسة الإقليمية كونها منهجاً جديداً فى الجغرافيا السياسية استجابة واسعة وكان له أثره الكبير على مجال الجغرافيا السياسية فى الدول المتحدثة بالإنجليزية، وذلك عن طريق نبذ كل مبادئ الجيوبوليتيكا، فقد أعادت كتابات كل من ويتلسى وهارتسهورن الثقة إلى الجغرافيا السياسية بالولايات المتحدة الأمريكية. ففى الأعوام التالية للحرب العالمية الثانية تم إدخال مقررات الجغرافيا السياسية فى جامعات الولايات المتحدة ومدارسها.

أما فى بريطانيا والدول التابعة لها، فإن الاتجاه الإقليمى المحدود الجديد للجغرافيا

السياسية لم يقبله معظم الجغرافيين الانجليز لأنهم عاشوا في كنف المنظور العالمي للجغرافية السياسية وتلك الموضوعات التي كانت تركز على العالم أجمع مثل دراسة ماكيندر - ودراسة فاوست Fawcett .

وكان ذلك أمر طبيعي لدولة كانت في وقت من الأوقات إمبراطورية عالمية لها تجارة على مستوى العالم كله. من ثم رأى الجغرافيون السياسيون البريطانيون ان التوجه الجديد أصبح مادة مملّة وجافة. وبقي القليل من الجغرافيين الإنجليز مهتماً بالموضوع وظلوا يبحثون في موضوعات أخرى مثل «الخريطة المتغيرة لآسيا» Changing Map of Asia وكتابتهم فيها يطلق عليه «جغرافيا المصالح (العلاقات) القومية والدولية، ولم يعترفوا بالجغرافيا السياسية على أنها مجال للدراسة، وعلى ذلك فإنهم لم يقدموا أى إسهامات منهجية (٢٦) ومن ثم -وبعد سنوات الحرب العالمية الثانية - فإن معظم التطورات المنهجية قدمها الجغرافيون الأمريكيون.

وفى الولايات المتحدة فعلى الرغم من تعديل المقررات وزيادة أعداد الدارسين فى مجال الجغرافيا السياسية بصورة كبيرة إلا أن حجم الأبحاث فى هذا المجال ظل ضئيلاً، هذا التدهور والتجاهل للبحث فى مجال الجغرافيا السياسية فى فترة ما بعد عام ١٩٤٥ ليس من الصعب فهم أسبابه وأصبح موضوع الجغرافيا السياسية جامداً وبعيداً عن التحرى الأكاديمى، وهذا ما صرف العديد من الدارسين النابغين عن الخوض فيها والانصراف إلى فروع أخرى من الجغرافيا.

وظلت الجغرافيا السياسية حتى ١٩٦٠ بعيدة عن التيار الرئيسى لعلم الجغرافيا، وكذلك عن «الثورة الكمية» Quantitative Revolution التى أدخلت تغييرات واسعة النطاق فى الجغرافيا فى الوقت الذى كانت فيه الجغرافيا السياسية بعيدة عن تطبيق هذا الأسلوب الجديد. وفى عام ١٩٦٣ أعلن برتون أن الثورة الكمية فى الجغرافيا قد انتهت وأنها أصبحت فقط جزءاً من الحكمة فى فهم الجغرافيا ، وفى عام ١٩٦٨ بدأ الجغرافيون السياسيون يفكرون فى كيفية جعل الجغرافيا السياسية علماً كمياً (٢٧).

فاختفاء الأساليب الكمية عن الجغرافيا السياسية أدى الى زيادة الابتعاد عن دراستها فى فترة من التاريخ كان فيها مؤيدو اللورد كلفن Lord Kelvin فى تزايد مستمر، وكان يتم تذكيرنا دائماً بمقولته الشهيرة «أنه عندما لا تستطيع التعبير عن شىء فى شكل أرقام فإن معرفتك تصبح ضعيفة وغير مقبولة مهما كان الموضوع الذى تخوض فيه (٢٨) .

وظهر تيار جديد من التغيرات فى منتصف الستينيات، وفى عام ١٩٦٣ نادى أكرمان Ackerman - من خلال أبحاثه حول الحدود فى الجغرافيا - بوجود منظور عام فى مجال البحث الجغرافى، والذى رجع بمقتضاه إلى دراسة الجغرافيا السياسية حيث انها تتعامل مع المناطق السياسية، وهى أنظمة لها دور حيوى وفعال. وكان لكتابات أكرمان دورها الفعال فى إحياء الأهتمام بدراسة الجغرافيا السياسية.

وبدأ الجغرافيون السياسيون فى تقديم إسهامات هامة من مجالات جديدة مثل : الدراسات الانتخابية Electoral studies وتعديل الحدود الإدارية، وبحلول منتصف السبعينات كانوا قد تطوروا بالقدر الكافى حتى أن علماء السياسة أقرروا بأن الإسهامات التى قدمت من خلال مجال الجغرافيا السياسية أدت إلى اكتشاف «مناطق خضراء جديدة وغير متوقعة فى النظرية السياسية وكان لذلك أثره فى انتهاء الركود الذى أحاط بدراسة الجغرافيا السياسية (٢٩) .

ثالثاً: مجال الدراسة فى الجغرافيا السياسية المعاصرة

طالما أن الجغرافيا السياسية ظلت مقترنة بوجهة النظر الإقليمية وتحت تأثير التغيرات التى أضافها هارتسهورن، ظل يسودها مقوله «ما يجب عمله»، ومالا يجب عمله» (do's - don'ts)، ولكن ظل هناك سؤال عن مجال الجغرافيا السياسية القائم، ولكن مع إعادة تعريف الجغرافيا السياسية على أنها التحليل المساحى للظاهرة السياسية، أصبح السؤال عن مجال الجغرافيا السياسية لا دلالة له.

فاليوم، أى ظاهرة سياسية أو أى موضوع آخر متعلق بالمنظمات السياسية للمساحة يعتبر موضوعاً لدراسة الجغرافيا السياسية وذلك طالما أن لها

مكوناً مساحياً (أرضياً)، وأن كل تقنيات التحليل المساحى يمكن أن تطبق عليها.

ومن منظور ضيق فإن الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة الدولة، فسلطة الحكومة المركزية أصبحت موضوعاً منتشراً من حياة الإنسان، المعاصر، حتى أن كل اهتماماته ونشاطاته السياسية مشتقة من الدولة. فإن الدولة أصبح لها مجموعة معقدة من الوظائف التي تقوم بها، والتي يرتبط معظمها بالحماية والأمن واعطاء عنواناً سياسياً للأفكار والمثل التي تشكل شخصية الدولة.

كما يقول هارتسهورن أن الهدف الأساسى لأى دولة هى جمع شتات المناطق التي تقع فى نطاقها وحده واحدة، وفى سعيها للوصول لذلك الهدف، فإن كل دولة تحاول إقامة سلطة محكمة على علاقتها السياسية الداخلية. وفى المجال الاقتصادى تحاول خلق وحده للمنظمات الإقتصادية من خلال التنظيمات ومن خلال الرقابة على البضائع والسوق.

«ولأننا نعيش فى عالم تصبح فيه استمرارية أى دولة عرضه للخطر من الدول الأخرى، فإن على الدولة أن تأمین وجود ولاء كامل لكل سكان مساحة الدولة، وهى بذلك تدخل فى منافسة مع المحليات أو منافسة من خارج الدولة»

قد يختلف البعض مع هارتسهورن حول وجهة نظره فيما يجب أن يفعله أو مالا يجب أن يفعله الجغرافيون السياسيون إلا أن مقاله حول «المدخل» المنهج الوظيفى Functional Approach عام ١٩٥٠ قدم نموذجاً مفيداً فى دراسة الجغرافيا السياسية لدولة ما (٣٠). وبالطبع فإن هناك إضافات وتعديلات وضعها كثير من المختصين فى الجغرافيا السياسية على المبادئ الأساسية التي وضعها هارتسهورن. من هنا أصبح المنهج الحديث فى الجغرافيا السياسية قائم على ست نقاط أساسية توضع فى الحسبان عند دراسة الجغرافيا السياسية لأى دولة، وساد هذا المنهج بين معظم الدراسات (٣١)

(١) الترابط الوثيق بين الدولة والأمة، ويتضمن الحدود السياسية الحالية والمجموعات النائية داخل الدولة والمجموعات البشرية المتصلة بالدولة وتقع خارجها.

(٢) المقومات التي تتطلبها الدولة لتحقيق التماسك والرخاء بين أفرادها وتتضمن:

الموقع والمساحة وشكل الدولة، والتي يؤثر كل منها في استراتيجيات الدولة ودفاعها، وكذلك الاتصالات والنقل، والتي تؤثر في وحدة الدولة وتماسكها (كمقومات طبيعية للدولة). وتتضمن أيضا السكان حجمهم وخصائصهم الديموجرافية ومهاراتهم واستغلالهم للموارد الطبيعية ودرايتهم بالتطور الصناعي والتكنولوجي (كمقومات بشرية).

(٣) التماسك الاجتماعي للسكان وخاصة فيما يتعلق بالولاء داخل الدولة..

(٤) النمط الجغرافي لحلفاء الدولة والأقاليم التي تعتمد عليها لجلب مواردها الحيوية. هذا العامل يجب أن يكون له اهتمام خاص حيث إنه في الوقت الحالي لاتستطيع أى دولة أن تعتمد على مواردها في سعيها للوصول إلى هدفها الأساسي، وهو الرخاء.

(٥) التجارة : لا توجد دولة تكفى حاجاتها ذاتيا، ومن ثم فالتجارة قائمة بين كافة الدول. والتجارة كانت دائما أداة من أدوات السياسة، ولهذا يجب على كل دولة أن تدرسها بدقة.

(٦) التوجهات القومية : وهى الطريقة التى ينظر بها مواطنو الدولة إلى دولتهم وجيرانهم وأصدقائهم وهو الأمر الذى يتطلب اهتماما بالغاً من دراسة الجغرافية السياسية للدولة لما له من أثر فى زيادة الصدام داخليا وخارجيا أو منعه (٣٢).

المنظور المعاصر للدراسة فى الجغرافية السياسية :

يمكن القول بأن جغرافية ما بعد عام ١٩٤٥ مرت بثورتين : إحداهما وأطلق عليها الثورة الكمية. والأخرى أطلق عليها التغيير الراديكالى Radical أو الجذرى وكان من نتاجه زيادة الاهتمام بدراسة مشكلات تتعلق بحياة الإنسان اليومية. ويعتبر

مدخل الصالح العام لإحد نتائج هذه الثورة في الجغرافية السياسية. فالتفاعل الاجتماعي والتجاوب مع مشكلات الناس ظهر بوضوح في دراسات جديدة تم التعبير عنها بصور مختلفة مثل : الجغرافية الفيدرالية *Geography of Federalism*، وجغرافية الانتخابات والتصويت *Geography of Voting and Electoral studies*. والمبادئ الجغرافية لبعض قضايا المدن. وإعادة صياغة وتوقيع الحدود الإدارية داخل الدول. وبالتالي إعادة توزيع الخدمات بصورة متعادلة مع حاجة السكان. هذه بعض التوجهات الجديدة في الجغرافية السياسية، والتي ارتبطت بحل النزاع والصراع الداخلي في الدولة، والذي ينجم أساساً من سوء توزيع الموارد والخدمات بين أرجاء الدولة.

رابعا : مناهج البحث فى الجغرافية السياسية

تغيرت مناهج البحث فى دراسة الجغرافية السياسية مع التغيرات التى انتابت هذا العلم طوال الفترة الماضية. فكما سبق دراسته فإنه فترة ما قبل ريتتر. Ritter وهمبولت Humboldt عندما كانت الجغرافية السياسية تركز دراستها على تأثير البيئة الطبيعية فى تشكيل الحياة السياسية للإنسان. وكان المنهج الجغرافى فى دراسة الدولة يعتمد أساساً على الحتمية السياسية. واستمر الحال حتى جاء مونتسكيو Montesquieu وعدل المنهج بصورة أفضل باستحداث المنهج الأصولى Systematic فى دراسة السياسة.

وعلى الرغم من استمرار المنهج الحتمى لفترة زمنية طويلة إلا أن ريتتر يحسب له أنه الجغرافى الأول الذى وضع نظرية عن نمو الدولة ونمو الحضارات عام ١٨١٧. وكانت نظريته عن نمو الدولة وتطورها مبنية أساساً على عوامل بشرية. ثم تبع ذلك ظهور نظرية راتزل Ratzel التى تقول أن الدولة مثل الكائن الحى التى قدمت منهجاً جغرافية جديداً لدراسة الدولة، وهو المنهج التحليلى لعناصر قوة الدولة سياسياً.

وتغيرت الصورة تماماً فى القرن العشرين مع تغير اتجاهات الجغرافية السياسية، ومن ثم ظهرت مناهج جديدة تخدم أغراض هذا العلم. ويمكن أن نلاحظ أربعة مناهج لدراسة الجغرافية السياسية، وقد أوضحها هارتسهورن Hartshorne. R عام ١٩٥٠ فى مقالة الشيهير «المنهج الوظيفى فى الجغرافية السياسية» (٣٢). وهى :

(١) المنهج الوظيفى .

(٢) المنهج التحليلى لعناصر القوة.

(٣) المنهج المورفولوجى.

(٤) المنهج التاريخى.

ويمكن أن نوضح السمات العامة لكل منهج بنظرة سريعة فيما يلى :

١ - المنهج الوظيفى : Functional Approach .

يعنى بالوظيفة التى تقوم بها الدولة أو الوحدة السياسية أو أجزاء من هذه الدولة ممثلة فى محافظات أو بلديات، أو أى تقسيم إدارى آخر. فكل دولة تتكون من مجموعة من الوحدات السياسية «الإدارية»، ولكل وحدة حاكم أو محافظ يدير شئونها. وهذه الوحدات مرتبطة بالدولة الأم بصورة قوية وثيقة لأنها تكون جزءاً من هيكل الدولة هو جسدها. وحتى تكون الدولة قوية، فإنها يجب أن تضم أجزاءها برباط قوى وتدعم انتماء سكان هذه المحليات إلى الأم. وأن يكون الولاء الأكبر للدولة الأم أكثر من الولاء للجزء . ولكى تحقق الدولة ذلك يجب عليها أن تنشر روح الانسجام والتماسك ونشر روح المساواة فى الحقوق والواجبات بين كافة أرجاء الدولة. (وإذا يكون جزء من الدولة يستقطب اهتماماً أكبر من الآخر. أو العكس تهمل مجموعة بشرية عن باقى المجتمع). من هنا تزداد قوة الدولة وحيويتها. لأن حيوية الدولة مرتبطة بالاعتبارات الاقتصادية والإدارية والسكانية للدولة ومدى اتصال الدولة بالدول الأخرى. من هنا نجد أن المنهج الوظيفى يهتم بدراسة أثر المكان فى تقوية هذه العناصر أو ضعفها. وأثر الحكومة فى حماية كيان أجزاء الدولة وقوتها من الناحية الاقتصادية أو من الناحية الاجتماعية أو الثقافية وانعكاس ذلك على الظاهرة السياسية.

ثانيا : المنهج التحليلى لقوة الدولة :

: Politico - Geographical Analysis of the State

ويهتم بدراسة تحليلية لمكونات الدولة، وإظهار نقاط القوة والضعف بها. وإيضاح العلاقات التى تربط أجزاءها، والتى تربطها بالدول المجاورة. وهذا المنهج فى الواقع من المناهج المفضلة لدراسى علم السياسة. وكان هو المنهج السائد فى الجغرافية السياسية الألمانية فيما بين الحربين العالميتين، وهو يؤدى إلى الجيوبوليتكا بأسلوب واضح. والمنهج التحليلى الذى يظهر قوة الدولة يعتمد على دراسة كل من المقومات الطبيعية والبشرية كما يلى:

الشق الطبيعي ويشمل دراسة الأبعاد الطبيعية مثل :

- دراسة الموقع وأثره في قوة الدولة.

- دراسة التضاريس وأثرها في قوة الدولة.

- دراسة المناخ وأثره في قوة الدولة.

- دراسة النبات الطبيعي وأثره في قوة الدولة.

- دراسة المسطحات المائية وأثرها في قوة الدولة.

أما الشق البشرى من مقومات الدولة فيتمثل في :

- دراسة سكان الدولة من حيث الكم والخصائص .

- دراسة استغلال الإنسان لموارده الطبيعية .

- دراسة طرق النقل واتجاهات الحركة داخل الدولة.

دراسة الشكل السياسى للدولة وأثره فى القوة والتماسك.

وقد كان المنهج التحليلى من المناهج الهامة فى دراسة الجغرافية السياسية حتى تم تحويره بوجهات نظر استعمارية من قبل الألمان، مما جعل الجغرافيون يعدون عنه تماماً فيما بعد لأن الغرض الأساسى من دراسة الجغرافية السياسية هو البحث عن الرخاء والسلام بين الدول، وليس للمباهاة وإثارة المشكلات ودق طبول الحرب بين الدول.

وتظهر عدة حقائق خاصة بالدول وسياستها من دراسة هذا المنهج. فيمكن الحكم على دولة ذات توجه قارى أو بحرى وفقاً لظروفها الاقتصادية، فمثلا دولة مثل النرويج أو ايسلندا تعد دولا بحرية لأنها فقيرة الموارد. ومن ثم اتجهت إلى البحر للبحث عن مصادر رزق لسكانها. وقد تستغل بعض الدول البحرية درايتها بشعون البحار لتسيطر على أجزاء من اليابس الغنى مثلما فعلت بريطانيا واليابان.

وعلى النقيض نجد دولة مثل استراليا أو كندا الغنية بمواردها الأرضية لم توجه اهتماما بالبحر بنفس قدر اهتمامها بالداخل.

وقد يؤثر عامل السكان على قوة الدولة أو ضعفها. فالدول ذات التجانس السكاني تبدو قوية. أما التي تنتابها عصبية قبلية أو سلالية أو دينية. فإنها دائمة النفور. وتواجه عصبياً مستمراً من قبل هذه المجموعات البشرية خاصة إذا انعدمت روح التجانس. فأى مشكلة سياسية يمكن كشفها بسهولة بدراسة هذا المنهج.

ثالثاً : المنهج المورفولوجي Morphological Approach

يهتم هذا المنهج بدراسة حجم الدولة وشكلها وموقعها وحدودها وموقع العاصمة ومناطق أو منطقة النواة Core وخصائصها. كما يقوم على دراسة الحيز المساحي الذي تشغله الدولة على خريطة العالم ويهتم أيضاً بدراسة نظامها السياسي الذي يكون منظومة الدولة. ويهتم هذا المنهج بدراسة العناصر التي تتكون منها الدولة متمثلة في شكل الحدود السياسية والعاصمة، المراكز الاقتصادية الهامة. بالإضافة إلى دراسة قيمة الدولة كأحد العناصر التي تشكل بنياناً سياسياً محدداً.

فعند دراسة تركيا مثلاً. فإن الدراسة سوف تركز على الرقعة الأرضية التي تشغلها وأهميتها الاقتصادية ومراكز الإنتاج الرئيسية وخصائص سكانها. ومن ثم تبرز مشكلة «الأكراد» في الأجزاء الشرقية. ثم نتطرق لدراسة العاصمة «أنقره» وموقعها في وسط هضبة الأناضول تقريباً لكي تربط أجزاء الدولة. ونتطرق لدراسة طرق النقل بين أرجاء هذه الدولة. وعند دراسة موارد الدولة نجد أن المياه تعتبر مورداً هاماً لديها وتفايض به الدول الجافة المجاورة، خاصة سوريا والعراق.

ونظراً لكثرة سكانها وقرها النسبي فنجد أنها تحاول جاهدة الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة لتحصل على تسهيلات كبيرة في تصدير منتجاتها الزراعية والصناعية لتفتح أسواقاً جديدة. وقد دخلت في حلف الناتو NATO (شمال الأطلسي)، وذلك بفضل موقعها الاستراتيجي المطل على المضائق التي تتحكم في الأسطول الروسي. وكان لذلك أثره في الاستفادة من استخدام تكنولوجيا الغرب

المتطورة فى الصناعات الحربية، وفى نفس الوقت فإن ذلك أمراً يعرضها للخطر أثناء قيام الحروب.

وعند دراسة الحدود نجد أن مشكلة الحدود البحرية بينها وبين اليونان والنزاع على بعض الجزر يجعل أوضاعها غير مستقرة وفى حالة استعداد عسكري دائم. وأخيراً نظراً لفقر الموارد الطبيعية وزيادة أعداد السكان، فإن المهاجرين الأتراك ينتشرون فى دول الخليج العربى ودول غرب أوروبا.

ونظراً لعدم تحقيق مبدأ المساواة بين كافة سكان الدولة نجد أن الأكراد أخذوا فى إثارة القلاقل والمشكلات من أجل الحصول على استقلال أو حكم ذاتى، ومن ثم أصبحت تشكل مشكلة حقيقية تكلف خزينة الدولة سنوياً مليارات الدولارات تنفق على حملات عسكرية منتظمة ضد قواعد جيش حزب العمل الكردستانى. وازدادت المشكلات التى تهدد استقرارها بعد القبض على زعيم هذا الحزب «عبدالله أوجلان» الذى أدى إلى إنشاق حملات الغضب والأعمال الانتحارية التى قضت على السياحة، والتى كانت أحد مصادر الثروة والدخل للدولة. إذن فإن دراسة النظم السياسية الداخلية تبرز مشكلات قوة الدولة من وجهة نظر المنهج المورفولوجى.

رابعاً : المنهج التاريخى Chronological Approach :

وكما يظهر من الاسم، فإن هذا المنهج يركز على التطور الذى انتاب الوحدة السياسية خلال تاريخها. فمن يتناول أطلساً قديماً يلاحظ أن حدود الدول تغيرت كثيراً وخاصة إذا ما قورنت الوحدات السياسية فى أواخر القرن التاسع عشر بمثلتها الآن فى أواخر القرن العشرين.

فالدول تمر بمراحل نمو مختلفة، كما أوضحها ريتز Ritter. وهذا المنهج يركز على الماضى من أجل تحليل الأحداث السياسية والبحث عن جذور المشكلات التى تنتاب بعض الدول. وقد تلجأ الدول إلى خرائطها القديمة لإثبات أحقيتها فى بعض الأراضى المتنازع عليها. وهذا ما فعلته مصر عندما أثبتت بدليل دامغ أحقيتها فى

ملكية بعض أراضيها عند طابا في منطقة حدودها الشرقية مع فلسطين. بعد أن تمسكت إسرائيل بها وإدعت إنها غير مصرية.

وتعد دراسة ويتلسي Whittlesey^(٣٢) عن التطور التاريخي ونمو دولة فرنسا من أفضل الأمثلة التطبيقية في مجال هذا المنهج. فقد تتبع هذا الجغرافي الشهير التطور التدريجي لفرنسا منذ مرحلة الطفولة وتكوين النواة Core بجزيرة فرنسا النهرية بالقرب من باريس إلى أن وصلت إلى صورتها الحالية. وربط بأسلوب شيق بين الامتداد المساحي والتغيرات البشرية، وكيف أن اللهجة الباريسية سادت كل فرنسا مع هذا التطور.

وركز ويتلسي على أهمية موقع نواة الدولة Core، وكيف أن خصائص موضع باريس الحصين وسماته بوجود حوائط صخرية تمثل قلاعاً دفاعية جيدة وفرت لها الحماية. إضافة إلى موقعها في وسط حوض زراعي خصب جعلها رائدة في تحقيق وحدة الدولة.

والمنهج التاريخي يصبح مضللاً في بعض الأحيان. لأن الظواهر التاريخية قد تكون مرتبطة بظروف متغيرة. والاعتماد على هذا المنهج واتخاذ أسلوباً يبرز أهمية بعض القيم الجغرافية؛ قد يؤدي إلى نتائج غير صحيحة. فالتاريخ دائماً يبنى على أرض الواقع لجغرافي في فترة محددة وفي ظروف متغيرة.

مراجع الفصل الأول

- (1) Ratzel, Friedrich (1897) **Politische Geographie**. Munich. R. Oldenbourg.
- (2) Dikshit, R.D. (1982) **Political Geography**, Tata Mc Graw-Hill, New Delhi;
- (3) Ibn-Khaldun (1382-1405) **Muquaddimah (An Introduction to History)** (Translated by F. Rosenthal. New York. Pantheon Books. 1958.
- (4) James. P.E. (1972) **All Possible Worlds**. New York. Odessey Press.
- (5) Ritter. Karl (1779 - 1859) 1964, **Comparative Geography**. Philadelphia. J.B. Lippincott.
- (6) Darwin. Charles (1859) **On the Origin of Species by Means of Natural Selection** : or The Preservation of Favoured Races in the Struggle for life. London. John Murray. Reprint of the Sixth Edition by Oxford University Press. London. 1951).
- (7) Dikshit, R.D - **Op-cit**. p. 5
- (8) Ratzel (1897) **op-cit** p.27
- (9) Dickinson R. E. (1969) **Makers of Modern Geography** , London. Routledge and kegan Paul.
- (10) Ratzel. Friedrich (1882) **Anthropogeographie**. Suttgart. J. Englehorn.

- (11) Hartshorne. R. (1935) "Recent Developments in Political Geography"
American Political Science Review, vol. 29. pp. 758 -804 and
 943-966.
- (12) Kasperson. R.E. and J.V. Minghi (Eds.) (1969) **The Structure of
 Political Geography**, Chicago, Aldine Publishing Co. P. 8.
- (13) Percy. G.E. and Associates (1948) **Political Geography**. New
 York. Thomas Y. Corwell Co. P. 25.
- (14) Dorpaten. A (1942) **The World of General Haushofer**, New
 York. Farrar & Rinchart.
- (15) Percy G. E. and Associates (1948) **op. cit.**, p. 25.
- (16) Prescott. J.R.V (1972) **Political Geography**. London. Methuen &
 co.
- (17) Schaefer E. (1953) "Exceptionalism in Geography". **Annals of the
 Assorciation of American Geographers**. Vol. 43. pp. 226 -
 249.
- (18) Hartshorne. R. (1935) "Recent Developments in Political Geography"
American Political Science Review, vol. 29 pp. 758 - 804 and
 943 - 966.
- (19) Jackson. W. A. D. (Ed) (1964) **Politics and Geographic Rela-
 tionships**, Englewood Cliffs. N. J. Prentice - Hall.
- (20) Hartshorne. R. (1935) Recent Developments in Political Geography
"American Political Science Review, Vol. 29. pp. 7588 - 804
 and 943 - 966.

- (21) Sauer C. O. (1927) "Recent Developments in Cultural Geography" in : **Recent Developments in the social Sciences**, E.D. Hayes (Ed.) Philadelphia. J.B. Lippincott. P. 207.
- (22) Berry, B. J. L. (1969) "Review of B.M. Russett. *International Regions and International System: A study in Political Ecology* " **Geographical Review**, Vol. 59. pp. 450 - 452.
- (23) Whittlesey, D. (1939) **The Earth and the State**. New York. Henry Holt & Co.
- (24) Harshorne, R. (1954) "Political Geography" in : **American Geography : Inventory and Prospect**. James P.E. and C.F. Jones (Eds.) Syracuse. Syracuse University Press. pp. 167 - 226.
- (25) Sprout, H., and Spout, M. (1956) **Man Milieu Relationship Hypothesis in the Context of international Politics**, Centre for International Studies. Princeton University. P. 170.
- (26) Jackson. W. A. D. (1958). **Whither Political Geography/ Annals of the Association of American Geographers**. vol. 48 pp. 178 - 183.
- (27) Cox, K.R. (1968) A Spatial Interactional Model for Political Geography, **East Lakes Geographer**, vol. 4 pp. 58 - 76.
- (28) Spate, O.H.K. (1960) "Lord Kelvin Rides Again" **Economic Geography**, Vol. 36.
- (29) Dikshit. R. D. (1975/76) **The Political Geography of Federal-**

ism : An Inquiry into Origins and stability, London and Delhi. Macmillan. New York. John Wiley .

(30) Hartshorne, R (1950), Op - cit p. 104.

(31) Hartshorne, R (1950) Op-cit. p. 98.

(32) Dikshit, R.D - (1982) Op - cit. p. 21.

الفصل الثانى

الدولة كظاهرة فى الجغرافية السياسية

مقدمة (مورفولوجية الدولة)

اولا : رقعة الدولة وامتدادها الجغرافى

١ - الموقع (الفلكى - البحرى - بالنسبة للدول - الموقع الاستراتيجى)

٢ - المساحة

٣ - الشكل (تصنيفات الشكل - تحليل شكل الدولة)

ثانيا : النظام الإدارى

ثالثا : سكان الدولة كعامل مؤثر فى الجغرافية السياسية

١ - الحجم والتوزيع والكثافة .

٢ - خصائص السكان النوعية .

٣ - التنوع السلالى .

٤ - الهجرة .

رابعا : التركيب الاقتصادى للدولة

خامساً: تحليل قوة الدولة .

مراجع الفصل الثانى

الفصل الثاني

الدولة كظاهرة فى الجغرافية السياسية

كما سبق وذكرنا فى الفصل الأول، فإن دراسة الدولة أو الوحدات السياسية كانت المرحلة الثانية فى تطور الجغرافية السياسية. وقد تقدمت هذه الدراسة على يد راتزل الذى وضع أول كتاب يتضمن قواعد الجغرافية الحديثة السياسية، وكما أكد راتزل أن مساحة الرقعة التى تشغلها الدولة هى أحسن معيار يستدل منه على أهميتها وقوتها. وأن كل وحدة سياسية تعد نموذجاً ونمطاً له نطاق محدد، وبه مناطق إدارية ونقط إستراتيجية ومنطقة قلب وهى العاصمة. وتتفاوت أشكال الدول باختلاف خصائصها الطبيعية، وما أحدثه الإنسان فيها من تغيرات وقيمة علاقاتها بالدول الأخرى.

وقد رأى هارتسهون أن أفضل أسلوب لشرح قيمة الدولة وإبرازها من وجهة نظر الجغرافية السياسية الحديثة، هو استخدام المنهج المورفولوجى Morphological Approach. الذى يفسر ويشرح ويصور لنا الشكل الداخلى والشكل الخارجى لمساحة الدولة كموضع جغرافى فوق سطح الأرض. فدراسة حدود الدولة - وما ينتج عنه من شكل ومساحة وموقع - تدخل ضمن إطار دراسة الشكل الخارجى. فى حين تهتم دراسة الأقاليم ذات القيمة الاقتصادية والسكانية والاستراتيجية والتقسيم الإدارى الداخلى وموقع العاصمة كلها نقاط فى داسة الشكل الداخلى للدولة أو مورفولوجية الدولة داخليا.

وعلى الرغم من أن هارتسهون فى عام ١٩٥٠ قد وصف هذا المنهج بأنه ممل وراكد Static and dull ولا يمكن أن نستشف منه نتائج ذات دلالة جغرافية قيمة^(١). إلا انه فى عام ١٩٦٨ راجع رأيه فى مدى جدوى دراسة الدولة باستخدام

المنهج المورفولوجى وأبدى أسفه لعدم إعطاء هذا المنهج الاهتمام الكافى فى دراسته وكتبه بأن خبرته فى تدريس الجغرافية السياسية أقتعته بأن المنهج المورفولوجى يشكل جزءاً ضرورياً فى الدراسات الجغرافية لأي وحدة سياسية، ولكن يجب أن يرتبط بإبراز وظيفة أى وحدة سياسية "Experience in teaching the subject has convinced me that it forms an essential part of the geographical study of any political unit, but ... the analysis of morphology of political area must be related to the function of the area

ولكى تكون دراستنا للدولة متكاملة الجوانب فيجب أن تضم العناصر الرئيسية لدراسة مورفولوجية الدولة ما يلى :

(١) رقعة الدولة وامتدادها المساحى والمحددة بدقة بحدود دولية.

(٢) النظام الإدارى الذى يجمع أرجاء الدولة. ويربطها ببعضها البعض فى بنىان واحد.

(٣) السكان المقيمون.

(٤) الهيكل الاقتصادى ونظام وطرق النقل والمواصلات داخل الدولة.

وهذه عناصر حيوية لكل دولة، ولكنها تتفاوت من دولة إلى أخرى فى التفاصيل التى تحويها تلك العناصر، فعلى سبيل المثال. هناك دول ذات مساحة كبيرة مثل: كندا وروسيا، وعلى النقيض هناك دول صغيرة جداً مثل: موناكو (١ كم مربع) وعدد سكانها ٣٠٠٠٠ نسمة) وجمهورية ناورو (٢١ كم مربع) وسكانها ٨٠٠٠ نسمة) أو سان مارينو (٦١ كم^٢ وسكانها ٣٠ ألف). وعلى النقيض لتلك الدول نجد أن هناك دولاً ذات عدد ضخم مثل: الصين ١٢٣٧ مليون نسمة والهند ٩٧٠٠ مليون نسمة (وفقاً لبيانات ١٩٩٩).

وبالمثل فإن الدول متفاوتة في قوتها الاقتصادية ورخائها. فهناك دول متقدمة وأخرى نامية. فالدول المتقدمة طورت طرقها لتربط جميع أجزائها في كيان واحد متماسك. وعلى النقيض فإن كثيراً من بلدان العالم الثالث ما تزال تعاني من قلة وكفاءة طرق مواصلاتها. ومن ثم غدت الانعزالية وقلة اهتمام الحكومة المركزية بالأطراف الهامشية النائية من البلاد سمة لبلاد العالم النامي لذا فقد تباينت فاعلية الحكومات المركزية بين بلدان العالم المختلفة.

أولاً : رقعة الدولة وامتدادها الجغرافي

تشغل كل دولة State جزءاً معيناً ومحددأ من سطح الأرض حيث يكون لها السيادة التامة عليها، وعلى ذلك فإن الدولة أساساً هي ظاهرة مساحية فلا توجد دولة بدون أرض Home Base وفوق هذه الدولة يقيم أفراد الأمة Nation وعليها وبها يعيشون حياتهم، ومن خلال ارتباطهم التاريخي بها يكونون وطنهم الأم Mother land ويقدمون في سبيل أمتهم وسلامتها وشرفها أعظم التضحيات.

ولكى تكون لكل دولة حدود خارجية محددة، فإنه من الضروري وجود خطوط حدودية تميز وتفصل أرضها عن الأراضي المجاورة لها، وكلمة أرض Territory لا تعنى الحيز والامتداد المساحي للدولة فقط، ولكنها تتضمن أيضاً الملامح الطبيعية التي تميز هذا الامتداد الجغرافي للمساحة الجغرافية للدولة..

هذه الملامح تتضمن كل من موقع شكل الدولة وحجمها، إضافة إلى المناخ وشكل سطح الأرض والتربة والنبات الطبيعي وخواص المياه والموارد الطبيعية تحت سطح الأرض، وخاصة المعادن وموارد الغذاء والمواد الخام والطاقة. وهذه الملامح الطبيعية منفصلة أو متجمعة تحدد الأنشطة التي يقوم به المواطنون داخل الدولة..

لكن من خلال نظرة أوسع لهذه المدخلات الطبيعية المكونة للدولة. فإن تطويرها والاستفادة منها مرتبط ويتوافق مع ميول الأفراد ونزعاتهم المنبعثة من تقاليدهم التاريخية، وصفاتهم الحضارية ومدى تقدمهم في المجال العلمي والتكنولوجي حالياً. كما سوف نرى عند دراسة كل جانب منها :

١ - الموقع : LOCATION

يعتبر الموقع من أهم الملامح الطبيعية للدولة، والموقع هو مسطح شامل يتضمن الموقع وفقاً لدوائر العرض (وخطوط الطول رغم أن تحديد الموقع وفقاً لخطوط الطول لا يعتبر عاملاً مؤثراً في تحديد الملامح الطبيعية لمساحة معطاة) .

وتركز الدراسة على دراسة موقع الدولة وفقاً لتوزيع اليابس والماء، بالإضافة إلى الموقع وفقاً لعلاقته بالدول الأخرى، وخاصة الدول الأكثر قوة وتأثيراً في السياسة الدولية المعاصرة. يمكن إضافة منظورين آخرين للموقع ألا وهما : الموقع وفقاً للصلحيات Accessibility (أى : الموقع المركزى فى مقابل الموقع الهامش. والموقع الاستراتيجى).

الموقع الفلكى : Astronomical Location

يحدد الموقع الفلكى موقع سكان أو منطقة ما على سطح الكرة الأرضية، فهو يصف موقع المكان وفقاً لدوائر العرض وخطوط الطول. والموقع الفلكى ذو أهمية خاصة فى حياة أى دولة معينة حيث إنه يوضح بصورة كبيرة الخصائص المناخية للأقاليم المختلفة والدول فوق سطح الأرض، والمناخ مؤثر بصورة غير مباشرة على قوة الدولة. حيث يحدد الخطوط العريضة للإنتاج الزراعى وموارد الغابات، وهو أيضاً يؤثر بصورة كبيرة على شبكة النقل فى الدول. من هنا فإن أهمية الموقع تظهر بصورة غير مباشرة من دراسة المناخ.

والمناخ يؤثر تأثيراً بالغاً على الهيكل الاقتصادى للدولة، ومن ثم فإنه يلعب دوراً رئيسياً فى علاقة الدولة بالدول الأخرى. والخصائص المناخية من المعتقد أنها تحدد بصورة كبيرة المواقع الجغرافية لأفضل المناطق ملائمة لتطور الإنسان فى مراحل معينة من التقدم التكنولوجى، فالأقاليم الحضارية والقوى العظمى والإمبراطوريات القديمة ارتبط وجودها بأنواع محددة من المناخ .

ففى الوقت الحالى نجد أن القوى العظمى تقع كلها فى المنطقة ذات المناخ المعتدل Temperate Zones، ولكن بالطبع هذا لم يكن هو الحال دائماً، فالحضارات الأولى نشأت فى المناطق المدارية وشبه المدارية، وكان ذلك لعدة أسباب منها :

(١) الصحارى التى كانت تحيط بالحضارات التى قامت على ضفاف الأنهار كانت بمثابة حدود وموانع طبيعية تحمى تلك الحضارات من الأخطار.

(٢) فى تلك المراحل الأولى من التقدم التكنولوجى كان من الضرورى للأفراد أن يقطنوا المناطق ذات الطبيعة المناخية التى ليس بها مشكلات أو عوائق متعلقة بتوفير المأوى والدفع، وعلى ذلك نجد أنه بعد أن وصل الإنسان إلى مستوى معين من التقدم العلمى أصبحت لديه القدرة على التكيف مع البيئة القاسية، وعليه خرجت الحضارات من بؤرة التطور الحضارى فى الأماكن المدارية إلى المناطق الأكثر اعتدالاً عند دوائر العرض المتوسطة «على ما يبدو أنه على الرغم من أن الإنسان استطاع أن يدخل تعديلات تكنولوجية وعلمية مكنته من التعايش والتكيف فى المناطق الأكثر قسوة. فالتقدم التكنولوجى والعلمى من الممكن أن يجعل المناطق القطبية والاستوائية هى الأماكن الأكثر استغلالاً وأكثر صلاحية للسكنى»^(٣).

وفى الوقت الحالى، فإن المناطق القطبية تمثل قاعدة فقيرة لعدم التقدم الإنسانى، وعلى ذلك فإنها خالية تماماً من أى تطور اقتصادى أو سياسى.

ويلعب الموقع دوراً مؤثراً فى مناخ المنطقة التى تتأثر سياسياً ببعض التغييرات المناخية. فالدراسات الحديثة فى المناطق التطبيقية قد ربطت بين التغييرات المناخية حدوث انقلابات عسكرية فى غالبية بلدان أفريقيا فى إقليم الساحل فى نفس الفترة التى حدث بها الجفاف فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من هذا القرن.

الموقع البحرى والموقع القارى Maritime vs. Continental location

كان لموقع الدولة وإشرافها على واجهة بحرية أثر مباشر فى تحديد توجه الدولة السياسى، وهو أحد أكثر المفاهيم استمرارية فى الجغرافية لسياسية هو تحديد موقع الدول بالنسبة للبحار والمحيطات. وكان هذا المفهوم هو المحور الرئيسى لظهور نظرية قلب العالم Heart land، والتى يجب النظر إليها على أنها مثال خاص ومرتبطة بمرحلة معينة لتفسيرات الجغرافية السياسية للعلاقات القارية والبحرى، والتى تم اختبارها (تجربتها) عبر التاريخ. فقد كان الاعتقاد العام بأن الموقع المغلق يضع عوائق خطيرة للدولة الحبيسة، اعتقاداً صحيحاً فى معظم الأحيان. ولكن من المنظور

الاستراتيجى البحت، فإن الموقع المغلق Land locked location يوفر للدولة فى حالة الحرب فقط ميزة الخطوط الداخلىة Inner lines (الجهة الداخلىة) «فمنذ وجود نظام جىء للاتصالات ونظام متطور للمخابرات وجىوش قوية تحت قىاءة قادرة يمكن للدولة الحبىسة أن تحرك قواتها من جهة إلى أخرى، وىحقق لها مميزات جىءة يصعب قهرها.

وتتعدد عىوب الموقع القارى أو الداخلى. فالدولة المغلقة تحتل موقعا منعزلاً بالنسبة للتجارة الدولية حىث إن هذه الدولة تعتبر محرومة من الإتصال المباشر بدول العالم الأخرى غير الدول التى تشاركها الحدود. وللموقع البحرى آثار واضحة على سكان البىئات البحرىة فهم يتسمون بحب الاستطلاع واكتشاف المجهول والمغامرة والشجاعة فى مواجهة المواقف الصعبة. وهم أيضاً ذوى أفق متسع وتفتح فى الأذهان وغير تقليدىين. أى أنهم يتقبلون وىقبلون على الجىءد الوارد من وراء البحار. ومن ثم يتسم سكان المناطق الساحلىة بالرقتى الفكرى والحضارى. حىث إن السواحل دائماً تمثل مناطق التقاء حضارات «وهذا نلاحظه فى سكان مناطق الموانىء المفتوحة).

وینشأ عن حرمان بعض الدول من الواجهاة البحرىة نشأة ما ىسمى بالدول الحبىسة، وتصبح هذه الدول الحبىسة رهىنة علاقتها مع دول الجوار ذات المنافذ البحرىة. وتصبح دائماً تابعة لها ولرغابتها. لهذه الأسباب يمكن تفسير الاهتمام الكبىر والدائم من الدول الحبىسة فى محاولاتها الحصول على منفذ بحرى. والتارىخ ملء بأمثله عن الصراعات بین الدول القارىة وجيرانها المطلة على البحار من اجل الحصول على منفذاً بحرىا للوصول إلى البحر. وخیر مثال على ذلك فى الجغرافىة

السیاسىة هو المثال الروسى Russian Example

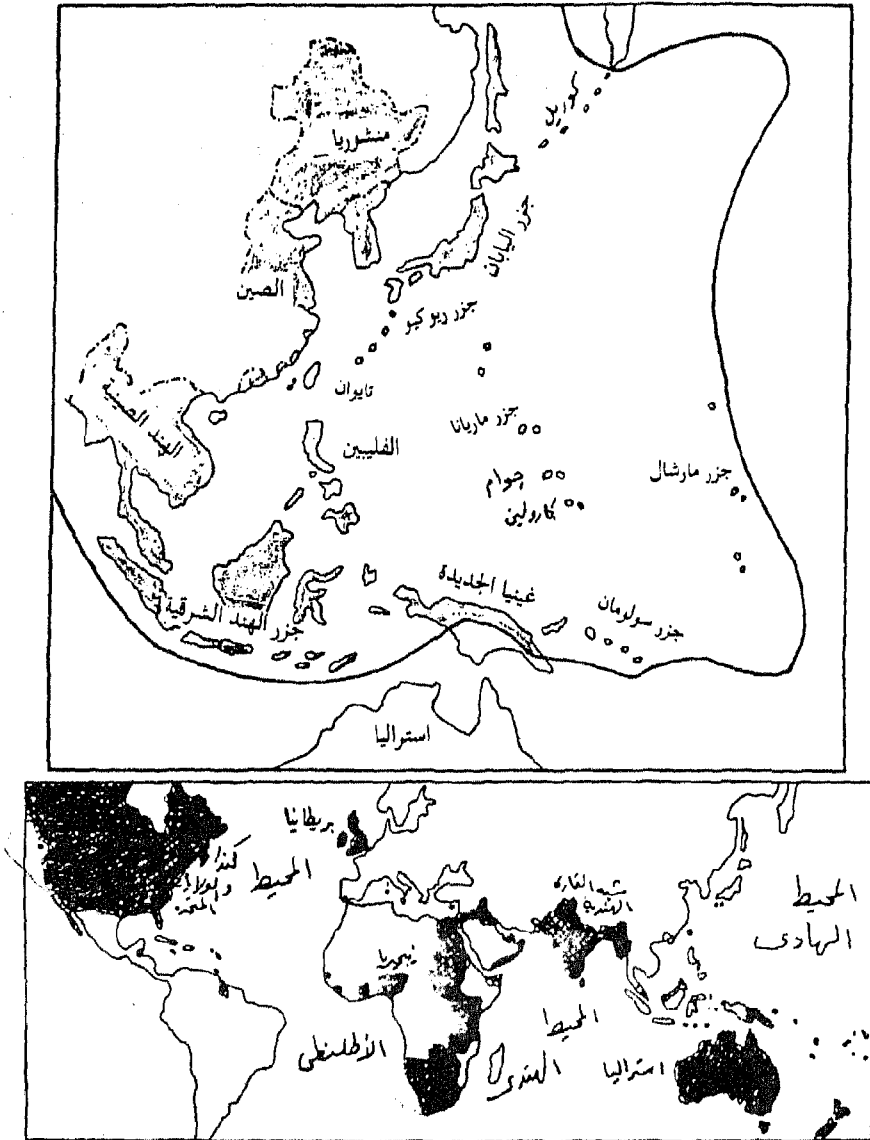
ومعظم تارىخ روسىا يمكن فهمه من خلال صراعاتها الدائم على مر الزمن للوصول إلى البحر، ففى العصور الأولى كان هذا الغرض يقتصر على التحكم فى الأنهار القابلة للإبحار فىها. وكان أول اتصال لروسىا بالبحار عن طریق المىط القطبى الشمالى Arctic. ولكن هذا المنفذ كان ذا قىمة محدودة لسببىن أولهما : طبیعة المىط القاسىة. والآخر صعوبة الوصول إلى هذا المنفذ عن طریق البر. وكان أول

ربط لمدينة مورمانسك Murmansk - بداخل روسيا عن طريق السكك الحديدية خلال الحرب العالمية الأولى. وكانت محاولات الوصول إلى البحار الأخرى المحيطة بروسيا مستمرة طوال فترة تكونها. ففي الجنوب الشرقي للدولة وفي عام ١٥٥٧، وصلت روسيا إلى بحر قزوين Caspian، عند استراخان Astrakhan. وفي عام ١٦٣٥ وصلت إلى اوخوتسك Okhotsk شرقاً. وخلال عام ١٧٠٠ وصلت إلى البحر البلطى غرباً عند سان بطرس برج. وفي الجنوب في عام ١٧١٣، وصلت إلى بحر أزوف Azov - ومن خلاله وفي عام ١٧٨٣ تم الوصول إلى البحر الأسود. كل هذه المخارج كانت غير مرضية أو مفيدة لأنها إما أن تؤدي إلى بحور مغلقة مثل قزوين أو شبه مغلقة مثل: البحر البلطى والبحر الأسود، أو أنها تؤدي إلى مناطق بعيدة غير آهلة بالسكان مثل شمال المحيط الهادى.

وكان الاتحاد السوفيتى «السابق» الوريث للإمبراطورية الروسية التى أسست نفسها كقوى عظمى لا منافس لها على البحر البلطى والبحر الأسود، ولكن مازالت هناك مخارج على البحرين فى أيدي أخرى وبحر قزوين Caspian لا منفذ له. وعلى ذلك فإن الضغوط كانت لاتزال تزداد فى الوصول لمنافذ البحر إلا انها كانت فى اتجاهات لم تحقق أى نجاح مثل محاولات اختراق إيران للوصول للمحيط الهندى والضغط المستمر على تركيا للحصول على المضائق أو الضغط على الدول الإسكندنافية والدنمارك للحصول على منفذ على المحيط الأطلنطى وهذا الانتشار لا يمكن تفسيره بأنه مد للفكر الشيوعى شرقاً وغرباً. ولكن يمكن تفسيره فقط بمحاولاتها للوصول للبحار الدفينة وتخطيم معوقات الموقع المغلق.

ورغم تفكك الاتحاد السوفيتى حالياً. إلا أن جمهورية روسيا الاتحادية أصبحت الوريث لهذه الدولة الكبرى، ومن ثم حملت هموم موقعها القارى فوق عاتقها.

وعلى الرغم من تملك روسيا شريطاً ساحلياً طويلاً. إلا أنه يمكن النظر إليها على أنها ذات موقع قارى نظراً لأن مياه المحيط القطبى الشمالى متجمدة معظم العام وعديمة القيمة. ورغم أن روسيا وكندا استغلتا المحيط القطبى الشمالى عن طريق كاسحات الثلوج والطيران. إلا أن هذا المحيط لا يعتبر طريقاً مفضلاً للنقل البحرى



شكل (٢-١)

الإمبراطورية اليابانية وبريطانيا العظمى في أوج اتساعهما

ومن ثم قلت قيمته في التجارة الدولية، بالإضافة إلى أن الإبحار في المياه المجمدة للمحيط أمر مكلف للغاية واقتصرت أهمية المحيط القطبي الشمالي بالاستراتيجية في عصر الطيران حيث أصبح بمثابة أقصر الطرق أحيانا للوصول إلى القواعد الأمريكية في الشمال. وبالإضافة إلى ما يحققه الموقع البحري من مميزات بحرية لدى الدول المطله على البحار. فإن الدول الجزرية مثل بريطانيا واليابان، والتي لا تشترك في حدود قارية مع دول أخرى تكون في منأى عن المشكلات التي قد تنجم عن الصراع على بعض الأراضي ممثلة على حدودها مع الدول المجاورة، كما هو الحال في الدول القارية. بالإضافة إلى ذلك فالبحار المحيطة بتلك الدول توفر لها حماية طبيعية جعلت الغزاة عاجزين عن احتلالها.

بالإضافة إلى ذلك فإن إمكانية زيادة الموارد قائم. فمن الممكن أن تتجه الدول إلى البحر في حال فقرها في مواردها الأرضية. والدول ذات الموقع البحري لها تأثير واسع النطاق في التوجيه الاقتصادي ومسار التقدم السياسي لتلك الدول. فإن ظاهرة نهضة الصناعة البريطانية كان نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي، ولكن الحقيقة التي جعلت هذه الدول الجزرية الصغيرة من أكبر القوى الصناعية الدولية خلال حقبة المستعمرات التي وفرت لها قاعدة متنوعة وواسعة من المواد الخام بالإضافة إلى توفير سوق واسع لتصريف منتجاتها الصناعية.

ويمكن النظر إلى قارة أوروبا على أنها تشكل نطاقاً شبه جزري. وأن مساحتها الصغيرة جعلت التأثير البحري يمس كل دولها. من هنا فقد أهتمت بالبحار واتجهت صوبها ورعت طموح البحارة والمغامرين الباحثين عن موارد جديدة بعد أن عجزت موارد القارة المحدودة على تلبية حاجة سكانها المتزايدين. من هنا سيطرت دول أوروبا على بحار العالم، وسيطرت على قارات العالم الأخرى. على النقيض تعد قارة آسيا قارية التوجه، فكانت مساحتها الشاسعة ووجود سهول خصبة ممطرة تستوعب أعداداً كبيرة من البشر أتمت باستغلال مواردها الأرضية، ولم تتجه إلى البحر بنفس القدر الذي ذهبت إليه أوروبا.

وتفاوتت الدول فيما بينها من حيث مدى إطلالها على واجهات بحرية. فهناك

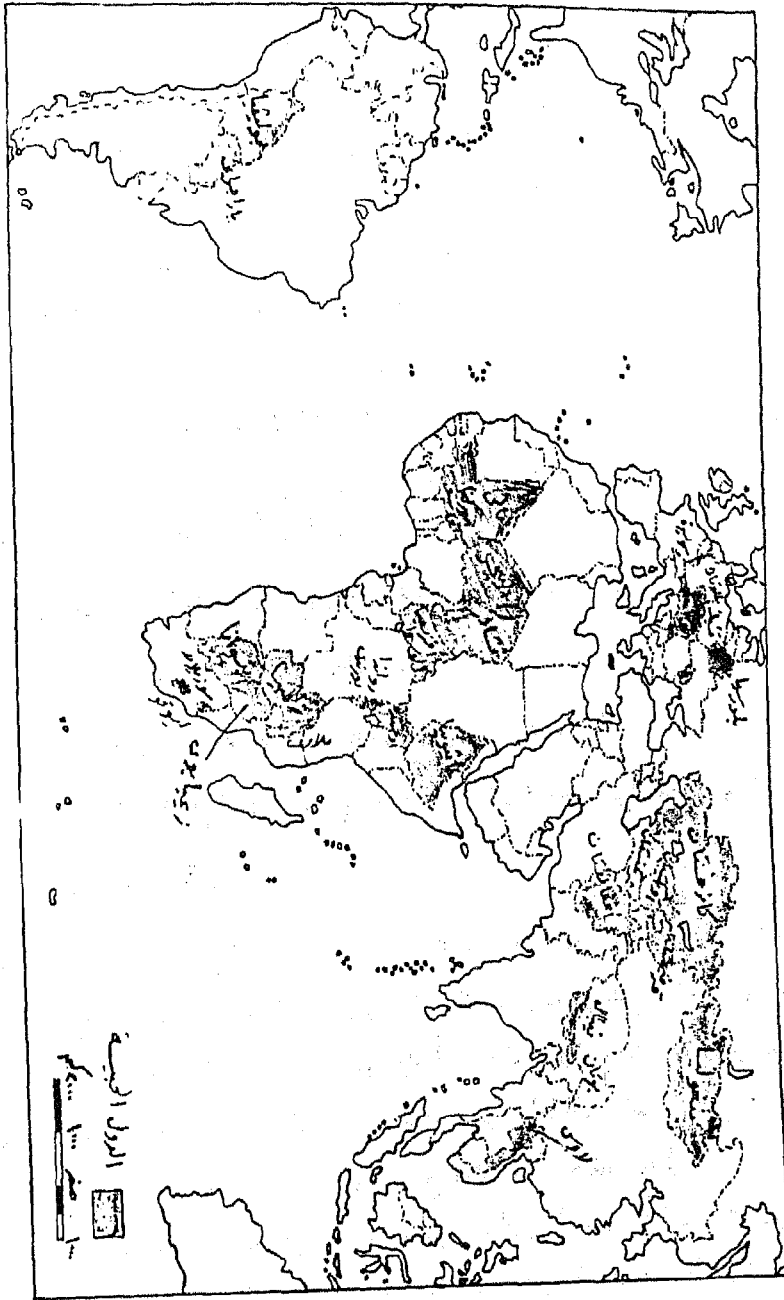
العديد من الدول تمتلك واجهة بحرية واحدة وتمثلها ليبيا والجزائر ولبنان وبلجيكا وهولندا والبرازيل وفيتنام. وهذه الدول قد تكون أقل أهمية من دول أخرى تطل على بحرين، أى لديها جبهتان بحريتان وتمثلها مصر والمكسيك وجمهورية أمريكا الوسطى والمغرب والصومال واليمن وجنوب أفريقيا وكوريا والهند وماليزيا. أما الدول التى تطل على ثلاثة بحار وأكثر، فتمثلها دول تركيا واليونان والولايات المتحدة وكندا. أما الدول الجزرية مثل اليابان وأندونيسيا ومدغشقر وإنجلترا وأيسلند (انظر الخرائط المرفقة). وأخيراً فإن هناك مجموعة من دول محرومة من الواجهات البحرية. وهى الدول الحبيسة وتمثلها أثيوبيا ومالى وتشاد ومالى فى أفريقيا أفغانستان وأوزبكستان وقرغيزستان ومنغوليا فى آسيا وسويسرة والنمسا والتشيك فى أوروبا ويورو وباراجواى فى أمريكا الجنوبية. (أنظر الشكل ٢-٢).

ويمكن إيجاز أهمية الموقع البحرى بالنسبة للدول من عدة جوانب:

- ١- الأهمية النسبية للبحر للدول التى تطل عليه.
- ٢- النسبة بين أطوال السواحل «حدود بحرية» إلى الحدود القارية.
- ٣- مدى ملائمة السواحل لإقامة موانئ وصلاحيتها للملاحة لفترة زمنية طويلة.

الموقع بالنسبة للدول الأخرى

وهو ما يطلق عليه موقع الجوار Vicinal Location أو الموقع النسبى Relative Location أو الموقع المتاخم Adjacent، يعنى علاقة الدول بالدول التى تلتصق وتشارك معها فى الحدود. فإذا كانت الدولة تجاور دولة أخرى تعادلها فى القوة. أو ترتبط بها بمواثيق ود وحسن جيرة، فإن ذلك يعنى التقليل من الإنفاق الضخم على التسليح للدفاع عن الحدود، وتوجه هذه الأموال لمشاريع التنمية الداخلية. وعلى النقيض فإن الدول التى تتفاوت فى الحجم وفى القوة، تكون سيادتها للدولة الأكبر والأكثر قوة على حساب الدولة الصغيرة التى تصبح تابعة، وأوضح مثال لذلك هو دولة بولندا التى تقع بين ألمانيا فى الغرب وروسيا فى الشرق وإمبراطورية النمسا والمجر فى الجنوب.



شكل رقم (٢-٢)
الدولة الحبيسة

فهذه الدولة لم تعرف الاستقرار والسيادة على أراضيها سوى فترات قصيرة من الزمن (قبل الحرب العالمية الثانية).

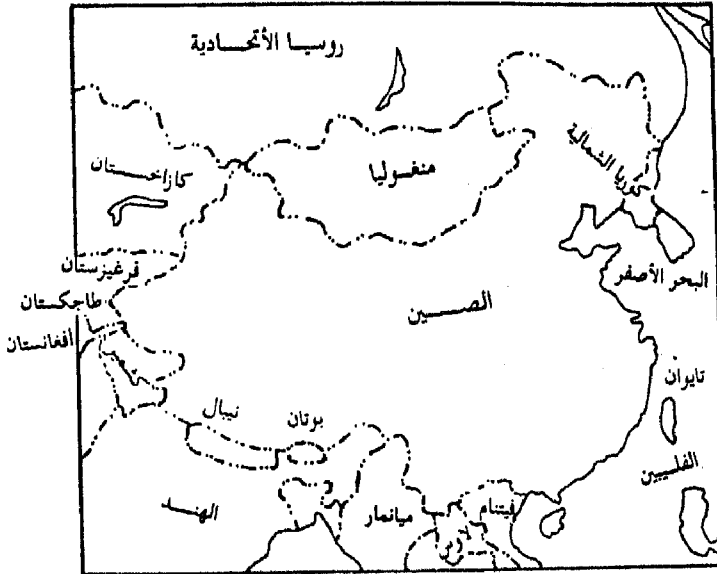
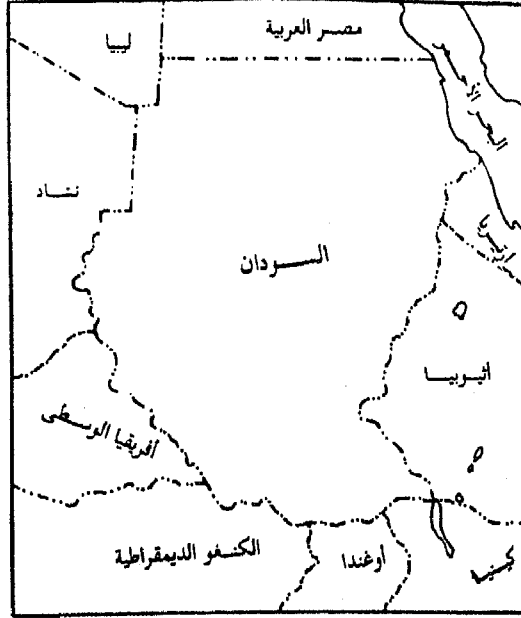
والموقع بالنسبة لدول الجوار هام جدا في زمن السلم والحرب. فكلما طالت الحدود بين الدولة وجيرانها كانت له تأثيرها الفعال. ففي حالة السلم فإن قوة العلاقة تصبح سمة سائدة إذا كانت الدولتان متعاونتين وترابطهما علاقات جيدة، فإن هذه الحدود سوف تصبح عاملا مساعدا على النشاط التجارى والتوجه الاقتصادى. وخير مثال لذلك الحدود بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية التى شهدت نشاطا ضخما فى التجارة والسياحة لا يمكن تصورها وغير مشابهة لدول أخرى مع الدولتين فأكبر عدد من الشركات الأجنبية فى كلتا الدولتين ملكاً لأحد مواطنى إحداهما. ونفس الشيء فإن أكبر عدد من السائحين إلى كندا يأتى من الولايات المتحدة الأمريكية. أما إذا كانت الدول المتجاورة ليست على وفاق فإن طول الحدود وكثرة الجيران فإنه يصبح أحد مكامن الخطورة على الدولة.

من هنا يمكن القول بأن أفضل الدول هى تلك التى لا يوجد لها جيران تشاركها الحدود ومثلها الدول الجزرية. أو الدول التى تجاورها فى الحدود دولة واحدة وتمثلها البرتغال والنرويج وجمهورية أيرلنده وغمبيا وكندا وكوريا الجنوبية وقطر. أما الدول التى لها اثنتان من دول الجوار التى تشاركها فى الحد السياسى تمثلها دول مثل: إسبانيا وهولندا وتونس والمغرب واليمن والكويت والمكسيك ومعظم دول أمريكا الوسطى.

والدول التى تشترك فى حدودها مع ثلاث دول مثل: مصر وأنجولا وغانا.

أما الدول التى لها أربعة جيران فتمثلها دول مثل: نيجيريا وكوت ديفوار والأردن.

والدول التى لها عدة جيران فتمثلها دول مثل: السودان والكونغو الديمقراطية والصين



شكل رقم (٢-٣)

مثال للدول التي لها أكثر من ثمانية جيران. « السودان - الصين »

قيمة الموقع Location in Terms of Accessibility

وهو ما يعبر عنه بهامشية الموقع أو توسطه أو وقوعه في بؤرة الاهتمام، والذي يختلف وفقاً لأعداد السكان وكثافتهم واكتشاف موارد اقتصادية هامة أو وجود ثقل اقتصادي لدولة أو جزء من العالم في مكان ما.

والموقع البؤري أو المركزي Central يكتسب أهميته وصلحياته بسبب سهولة الاتصال والعلاقات التجارية بين الدول: فمثلاً اكتسب المحيط الأطلس الشمالي أهمية كبيرة في العصور الحديثة لقيمة موقعه المتوسط بين إقليمين صناعيين من أقاليم الحضارة الحديثة، وهما غربي أوروبا وشرقي أمريكا الشمالية. وزادت أهمية المحيط وأصبح حلقة وصل بين هذين الإقليمين. وأصبح الأطلس الشمالي يتمتع بكثافة مرورية ضخمة سواء في السفن أو الطيران وهذا عكس الموقع الهامش Peripheral لأستراليا أو نيوزيلند.

وقيمة الموقع متغيرة بتغير الحضارات معنى الماضي القريب كان البحر المتوسط من أهم بحر العالم في الوقت الذي كان فيه الأطلس «بحراً للظلمات» مجهولاً فعلى ضفاف المتوسط ازدهرت حضارات عديدة، ولكن عندما نقلت مشاعل الحضارة من مصر والعراق والأغريق والرومان إلى غرب أوروبا بدأت تقل أهمية المتوسط تدريجاً. وبالمثل زادت أهمية ستغافورة مع تزايد حركة التجارة بين اليابان والصين وكوريا ودول الشرق الأوسط وأوروبا. وكما زادت قيمة المحيط الأطلسي الشمالي بالتقدم الهائل في اختراع السفن العابرة الضخمة. وأصبح من أكثف بحار العالم في حركه النقل البحري حيث يربط بين أكبر إقليمين من أقاليم العالم المتقدم وعلى جانبيه «وخاصة في الشمال» توجد معظم القوى العظمى Super power الاقتصادية والعسكرية. كما أن قيمة المحيط المتجمد الشمالي زادت باختراع الطيران وتقدم استخدامه وأصبح هذا المحيط جسراً يربط بين شمال أوروبا وشمال آسيا وشمال أمريكا الشمالية، من هنا فإن التقدم التكنولوجي له أثره الواضح والبالغ على أي موقع بالنسبة للمواقع الأخرى. ومن ثم فإننا - من الضروري - يجب إعادة تقييم

أهمية الموقع بما يقدمه من تسهيلات بصفة مستمرة فكم من موقعاً هاماً قديماً يعيش في عالم النسيان حالياً.

الموقع الاستراتيجي Strategic Location

يقصد بالموقع الاستراتيجي الموقع الذي يضيف للمنطقة التي تسيطر عليه ميزة عسكرية وسياسية واقتصادية عن منافسيها، وأعلى درجات الأهمية الاستراتيجية يتمثل في المضائق المحيطية Straits التي تقع على الطرق التجارة الهامة مثل : مضيق جبل طارق، والذي يربط بين المحيط الأطلنطي والبحر المتوسط ومضيق الدردنيل والبسفور في تركيا اللذين يربطان البحر الأسود والبحر المتوسط عن طريق بحر مرمره، والمضيقان الأخيران هما المنفذ الوحيد لروسيا وأوكرانيا إلى البحار المفتوحة، مما أعطى لهما أهمية استراتيجية حيوية خاصة كما يتضح من الشكل (٥-٧)

والقنوات الملاحية التي تشق في اليابس لتسهيل ربط البحار والمحيطات المختلفة لها أهمية استراتيجية خاصة مثل : قناة السويس التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر، والتي توفر أيضاً طريقاً قصيراً للربط بين المحيط الأطلنطي والمحيط الهندي.

فقبل حفر هذه القناة كان المرور عبر رأس الرجاء الصالح في جنوب أفريقيا هو الطريق الوحيد رغم طول المسافة المقطوعة. وتمثل قناة بنما مثالا لأختصار الوقت والمسافة. فهي توفر طريقاً مباشراً بين شمال الأطلنطي وشمال المحيط الهادى، وهى توفر أيضاً طرقاً أرخص للنقل بين سواحل المحيط الأطلنطي وسواحل المحيط الهادى للولايات المتحدة، فقبل حفر القناة كانت وسيلة الربط بين تلك السواحل هو الطريق الطويل الذى يمر حول أمريكا الجنوبية. أما فى أيام النقل البرى الواسع النطاق، فإن الأهمية الاستراتيجية كانت الممرات الجبلية الضيقة. الأمر الذى جعل سويسرا ذات أهمية استراتيجية فى أوروبا.

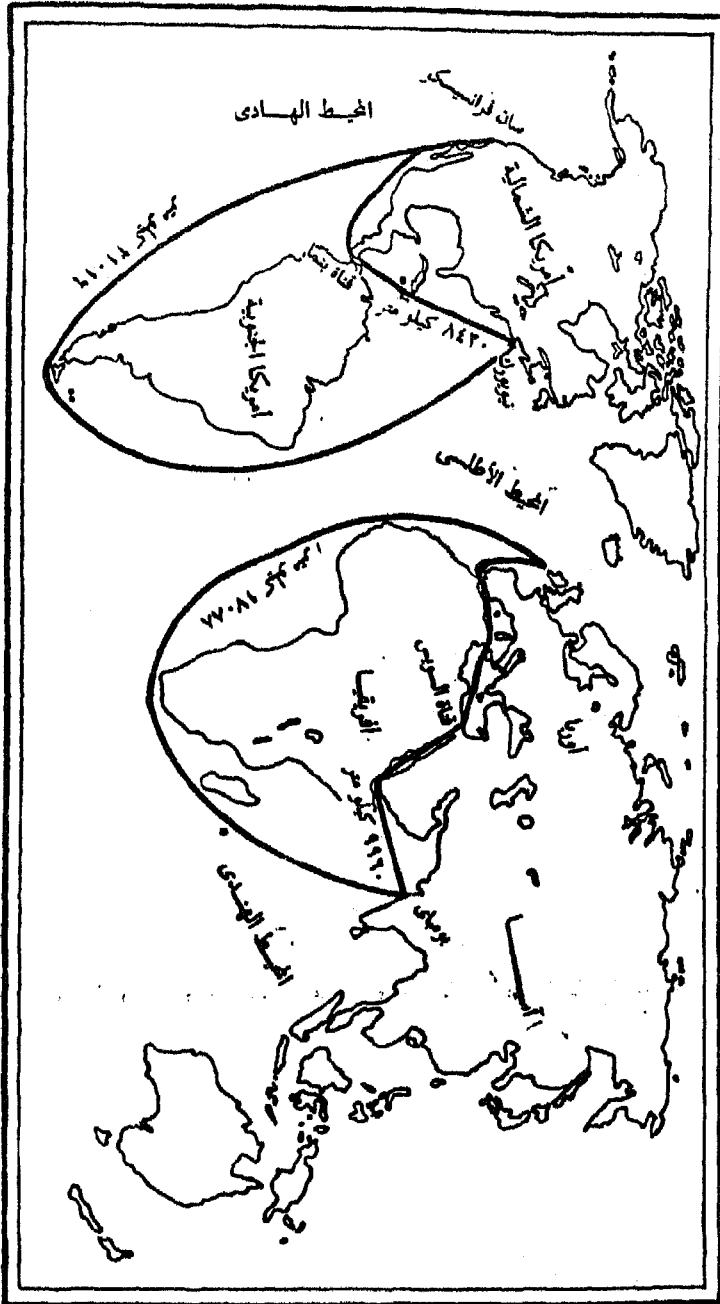
والأهمية الاستراتيجية لأى موقع ما لا يمكن أن تبقى كما هى، ولكنها تتغير تبعاً لتغير موازين القوى والتقدم التكنولوجي فى العالم، فقد زادت قيمة قناة السويس باكتشاف البترول فى الخليج ورفع مستوى معيشة شعوب الخليج العربى، مما سهل

وساعد على تدفق ناقلات البترول والحاويات بين أوروبا ودول هذه المنطقة، إضافة إلى الهند وإيران. كما تدهورت قيمة جزر فولكلاند بعد حفر قناة بنما، ففي القرن الثامن عشر احتلت بريطانيا جزر فولكلاند Falkland في جنوب الأطلنطي إلى الشرق من الأرجنتين، حيث كانت هذه الجزر تتحكم في الطرق الملاحية المؤدية للطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية. ولكن حفر قناة بنما أدى إلى تقليل الأهمية الاستراتيجية لتلك الجزر. وعلى النقيض تزدبت أهمية جزيرة أيسلند في الأطلن الشمالي، فنظراً لأن عبور الأطلنطي كان بالسفن وأن البحار المحيطة بتلك الجزيرة كانت خطيرة ولا يمكن اجتيازها وأيضاً نظراً لتطرف موقعها وبعده عن الطرق الملاحية العابرة، فإن قيمة هذه الجزر تلاشت ولكن تجددت أهميتها عندما إستفادت من موقعها كمحطة وقود للطائرات العابرة للأطلنس والتي تربط بين مدن أمريكا الشمالية وغرب أوروبا ولكن تدهورت قيمة موقعها مرة أخرى مع اختراع الطائرات النفاثة والتي تستطيع عبور الأطلنطي دون الحاجة إلى التوقف للتموين، فزالت تلك الأهمية الاستراتيجية لأيسلاند حيث أصبح عدد قليل من الطائرات تقف في مطاراتها.

والمحيط المتجمد الشمالي، والذي ظل نائياً ويصعب الوصول إليه وأصبح يعج بالخطوط الجوية التجارية، ويمثل خط الدفاع الأول الأمريكي بعد أن كان هنا الخط في السابق متمركزاً في غرب أوروبا وفي جزر الكاريبي. فتلاحظ أن محطات الإنذار المبكر، Distant Early Warning (D.E.W) تركزت في شمال كندا وجرينلاند. وزادت قيمة الأراضي القطبية الكندية بعد اكتشاف واستخراج البترول منها^(٥).

الجغرافية السياسية والقيمة المتغيرة للموقع

من المناسب عند التحدث عن الموقع أن نضيف ملحوظة أخيرة وإعطاء نصيحة لدارس الجغرافية السياسية: (فعلى الرغم أن موقع مكان ما على سطح الأرض ثابت، فإن القيمة السياسية لهذا الموقع تتغير بصورة مستمرة. لأن التفاعل ما بين الثبات والتغير هو الذي يشكل القاعدة الأولى في الجغرافية السياسية: ومعظمنا سوف يهتم بدراسة الثبات الظاهري للموقع دون أن يعيروا اهتماماً لتغيره مع الزمن).



شكل رقم (٢-٤)
قناة السويس وبما أهم القنوات الملاحية في العالم

على ذلك فإن من مهمة الجغرافى السياسى الاهتمام بهذا التكامل الذى يحدث بين الزمن والمساحة وأن يأخذ فى الاعتبار المفاهيم التى تتغير مع الزمن خلال دراسته للمكان حيث إن هناك بعض مفاهيم أو وجهات نظر فى الجغرافية السياسية تكون مثيرة للضجة، ولكن ذلك لا يدوم طويلاً فى حين أن بعض المفاهيم الأخرى ظلت واستمرت ذات فاعلية لفترة زمنية طويلة. المهم أن كلا النوعين ذو أهمية ولا يجب الخلط بينهما. حيث يقع المواطن العادى على حد سواء مع رجال الدولة فى الخلط فى بعض أمور أهمية الموقع الجغرافى. وذلك بسبب عدم القدرة على التفريق بين مفاهيم الجغرافية السياسية.

لذا فيجب على دارس الجغرافية السياسية أن يغير وجهة نظره دائماً عن قيمة المواقع على ضوء المتغيرات التى تحدثها بعض الأمور مثل (٦) :

* التقدم فى تكنولوجيا النقل والمواصلات، وما ينتج عنه من قطع مسافات كبيرة فى وقت قصير بين الأقاليم والأماكن المختلفة.

* النمط العالمى المتغير فى توزيع مراكز القوى السياسية الحديثة وما تحدثه هذه القوى العظمى من تغيرات.

* إدراك صانعى القرار لأهمية بعض المواقع النسبية الخاصة بمصالح دولهم خلال فترة معينة من الزمن.

٢- المساحة

تعد دراسة المساحة من العناصر الرئيسية فى الجغرافية السياسية للدولة. فمن الناحية النظرية كلما كبرت مساحة الدولة، وكلما استوعبت عدداً أكبر من السكان وكلما تنوعت مواردها الطبيعية، وعدد السكان والموارد الطبيعية توافر أهم عنصرين فى التطور السياسى والاقتصادى لأى دولة.

فإذا قمنا بمقارنة بين أكبر الدول وأصغرها فى العالم المعاصر، فإن القوة (سواء سياسية أو اقتصادية أو حربية) تكون مصاحبة للدول كبيرة الحجم فى حين أن الدول صغيرة الحجم يستحال وصولها إلى مصاف الدول العظمى. وأن الدول قزمية المساحة

دائماً تكون تابعة لدولة كبرى. فإمارة موناكو قامت تحت الحماية الفرنسية عام ١٨٦١. وتعيش سان مارينو فى كنف إيطاليا منذ عام ١٨٦٢ وعقدت اتحاداً جمركياً واتفاقية صداقة وتعاوناً كاملاً مع إيطاليا. وأمارة ليختنشتين Liechtenstein تتبع سويسرا باتفاق جمركى بل ويتم تمثيلها دبلوماسياً عن طريق سويسرا. وتتبع إمارة أندورا Andorra فرنسا ويعين أميرها بموافقة الرئيس الفرنسى^(٧).

والعلاقة الإيجابية بين كبر الحجم والريادة السياسية والاقتصادية فى العالم لم تظهر إلا فى العصر الحديث، ففى العالم القديم، فإن معظم الدول الهامة كانت دولاً صغيرة الحجم حيث كان سكانها أكثر تجانساً وتماسكاً ويمثلون هيكلاً واحداً ديناميكياً يمكنه التحرك بسرعة نحو تحقيق القوة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وكانت الدول كبيرة الحجم تعتبر (عيباً)، وذلك فى فترة ما قبل ثورة وسائل النقل والاتصال السريع. وكان من الصعب بمكان إدارة دولة كبيرة الحجم مترامية الأطراف. وهذا مايتكرر حالياً فى كثير من الدول النامية التى تعانى من تخلف وسائل مواصلاتها. فمن الصعب عليها إدارة شؤون الدولة وتقليل زمن السفر بين أرجائها، وخاصة الأطراف النائية منها

والنموذج الفرنسى يثبت أهمية المساحة ودورها فى تشكيل الجغرافية السياسية الداخلية للدولة، وخاصة فيما يتعلق بالتقسيمات الإدارية الداخلية. فبعد الثورة الفرنسية تم إلغاء الإقطاعات التاريخية واستبدالها بتقسيمات إدارية منطقية. وتم التقسيم على أساس أن تكون مساحة المقاطعة الإدارية يسمح بأن يصل كل مواطن إلى عاصمة المقاطعة ويعود إلى بيته فى نفس اليوم. ولكن بعد تطوير نظم الاتصال والنقل السريع، وأصبح هذا التقسيم الإدارى لا قيمة له. وبعد الحرب العالمية الثانية أعيد تقسيم البلاد إلى وحدات إدارية أكبر لتمشى مع التطورات والظروف الحديثة، ولكن قبل أن يتم ذلك عاد الأفراد إلى استخدام النظام التقليدى القديم.

وهناك علاقة إيجابية بين مساحة الدولة والموارد، فالعلاقة إيجابية بين المساحة وتقليل مصاريف الإدارة العامة. فالدول الكبيرة عادة ماتصرف أقل على خدماتها نظراً

للقاعدة المتنوعة من الموارد، مما يجعلها أقرب إلى الاكتفاء الذاتي وتقليل الاعتماد على الخارج، وترتبط أنواع معينة من الصناعات بمساحة الدولة. فالصناعات الثقيلة تكاد تقتصر على الدول كبيرة الحجم التي تمتلك قاعدة صناعية متكاملة. فهذه الدول ينتشر بها مصانع الأسلحة والسيارات والطائرات والقطارات والمحركات ومعدات النقل الثقيل سواء كانت ميكانيكية أو كهربائية في حين أن الدول الصغيرة لا تمتلك أى من تلك الصناعات^(٨).

وبالنظر إلى قيمة أثر المساحة في تحقيق الأمن والدفاع، يلاحظ أنه كلما كبرت المساحة كلما زادت فرصة الدولة في الثبات ومواجهة الغزو الخارجي. فقد استغل الاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية فكرة المساحة مقابل الوقت وانتصر في النهاية بعد أن تفهقر آلاف الأميال المربعة. ثم أعاد ميزان دفاعه بعد ذلك، وسرعان ما قامت قواته بهجوم مضاد مباغت واستطاعت أن تدمر قوى العدوان.

والدول كبيرة الحجم تمتلك مساحات بعيدة في العمق تكون بمنأى عن عيون الأعداء وتكون في أمان نسبي من الهجمات الجوية، وتصبح محطات الإنذار المبكر للهجمات الجوية فعالة، وعلى النقيض قد تكون المساحة الكبيرة لدولة أحد السلبات إذا ما كانت هذه المساحة غير مرتبطة بقوة بشبكة جيدة من وسائل النقل. أو يكون عدد سكانها صغير. وتكون مساحات كبيره من الدوله خالية - أو تكاد تخلو من السكان - في بعض الأجزاء يجعل هذه المناطق النائية الخالية ثقوباً واضحة يسهل اختراقها عسكرياً أو تكون نقطة ضعف وتستغل في تهريب الأسلحة والمخدرات والأفكار الهدامة إلى الدولة^(٩).

وتلعب المساحة الكبيرة دوراً هاماً في قوة الدولة، وهي تعنى عمقاً استراتيجياً لها وقت الحرب. فإذا ماتعرضت دولة كبيرة المساحة لعدوان، فمن الممكن تهجير السكان وتفريغ بعض المنشآت الصناعية الحيوية ونقلها إلى داخل الدولة بعيدة عن مرمى الطيران. أما الدولة صغيرة المساحة قد تكون لقمة سائغة سرعان ماتنهار ويسهل الاستيلاء عليها وإحكام السيطرة على عاصمتها في وقت قصير.

أما فيما يتعلق بالأمن الداخلى فإن المساحة الكبيرة تكون عائقا أمام تكامل التجانس البشرى داخل الدولة. فقد تؤدي عزلة، وبعد المناطق إلى تعزيد شعور انتماء سكان هذه المناطق أو القبائل إلى شيخ القبيلة أو زعيم منهم أكثر من انتمائها إلى الحكومة المركزية، مما قد يساعد على ظهور حركات انفصالية عن الحكومة المركزية فكلما بعدت المسافة عن العاصمة، كلما قل شعور الأفراد بالانتماء القومى.

وعند تقييم عامل المساحة من وجهة النظر العسكرية والأمنية، فإن استخدام الصواريخ بعيدة المدى والطائرات الحديثة والأسلحة النووية. كلها أمور هدمت مفاهيم الأمن والسلام فى كل العالم. ففي الدول صغيرة الحجم لن يكون هناك أى مكان آمن أو ملجأ من الخطر حتى فى الدول كبيرة المساحة، فإن مميزات المساحية مثل: العمق الاستراتيجى والبعد أصبحت غير ذات معنى، فمع النتائج الوخيمة والمرعبة للحروب النووية انتهت تماماً ميزة المساحة الكبيرة للدولة. وتتساوى الدول فى قدر الدمار الذى يمكن أن يحدث إذا ما قامت الحرب.

وفى الوقت الحالى، فإن عدد دول العالم يبلغ ٢٠١ دولة تتباين بصورة كبيرة فى مساحتها. ففي الوقت الذى تبلغ فيه دولة الفاتيكان مساحة لا تزيد عن ٠,٤ كم مربع (أو ٤٤ هكتاراً) فإن روسيا الاتحادية تبلغ مساحتها ١٧,١ مليون كم^٢. وقد توصل باوندز Pounds إلى حساب متوسط مساحة الدول فى العالم وقدره بمليون كيلو متر مربع. أى ما يعادل حجم دولة مثل: كولومبيا أو بوليفيا أو مصر، وقد صنفت دول العالم إلى ثمانية مس توياستنادا إلى متوسط مساحتها، كما يتضح من دراسة الجدول التالى:

العدد	المساحة (كيلومتر مربع)	التصنيف
٦	أكبر من ٦ مليون	دول عملاقة المساحة
٣	٦,٠٠٠,٠٠٠ - ٢,٥٠٠,٠٠٠	دول متناهية الكبر
١١	٢,٥٠٠,٠٠٠ - ١,٢٥٠,٠٠٠	دول كبيرة جدا
١٥	١,٢٥٠,٠٠٠ - ٦٥٠,٠٠٠	دول كبيرة المساحة
٢٩	٦٥٠,٠٠٠ - ٢٥٠,٠٠٠	دول متوسط المساحة
٢١	٢٥٠,٠٠٠ - ١٢٥,٠٠٠	دول صغيرة
٣٥	١٢٥,٠٠٠ - ٢٥,٠٠٠	دول صغيرة جدا
٢٥	أقل من ٢٥٠٠٠	دول متناهية الصغر

وفي مقال نشره ثلاثة من الجغرافيين الإنجليز في عام ١٩٦٥ وهم (هاجت وشورلى إستودارت Haggett, Chorely Stoddart). استنبطوا فيه مقياساً جديداً للمساحة، وهو مقياس للقيم المساحية أطلقوا عليه اسم مقياس الدرجة Grade scale، وهو يعبر عن نسبة لوغاريتمية لمساحة أى دولة أو منطقة ما إلى مساحة سطح الأرض وقيم هذا المقياس يمكن الحصول عليها من المعادلة التالية^(١٠):

$$Gx = \text{Log} \frac{Ga}{Rx}$$

حيث إن : مساحة الأرض = Ga

Rx = مساحة دولة ما

ونتائج هذه المعادلة طبقت على بعض الدول ووضعت في الجدول التالي:

مقياس الدرجة Ga لو Rx	لوغارتم المساحة Log, Rx	المساحة بالكيلومترات المربعة Rx	الدولة
١,٣٥٧٣٦	٧,٣٥٠٢٩	٢٢٤٠٢٠٠٠	روسيا
١,٧٠٨٦٩	٦,٩٩٨٩٦	٩٩٧٦٠٠٠	كندا
١,٧٢٧١٤	٦,٩٨٠٥١	٩٥٦١٠٠٠	الصين
١,٧٣٦٢٣	٦,٨٧١٤٢	٩٣٦٣٠٠٠	الولايات المتحدة
١,٧٧٨١٧	٦,٩٢٩٤٨	٨٥١١٩٦٥	البرازيل
١,٨٢١٩٨	٦,٨٨٥٧٦	٧٨٦٨٨١٠	استراليا
٢,١٨٢٣٦	٦,٥١٤٢٩	٣٢٦٨٠٩٠	الهند
٥,٩٣٠٩٥	٢,٧٧٦٧٠	٥٩٨	البحرين
٦,٠٧٤١٨	٢,٦٦٣٤٧	٤٣٠	بربادوس
٦,٢٣٣٤٣	٢,٤٧٤٢٢	٢٩٨	المالديف
٦,٩٢٢٣٢	١,٧٨٥٣٣	٦١	سان مارينو
٧,٣٨٥٤٣	١,٣٢٢٢٢	٢١	نارو
٨,٥٣٠٥٦	٠,١٧٦٠٩	١,٥	موناكو

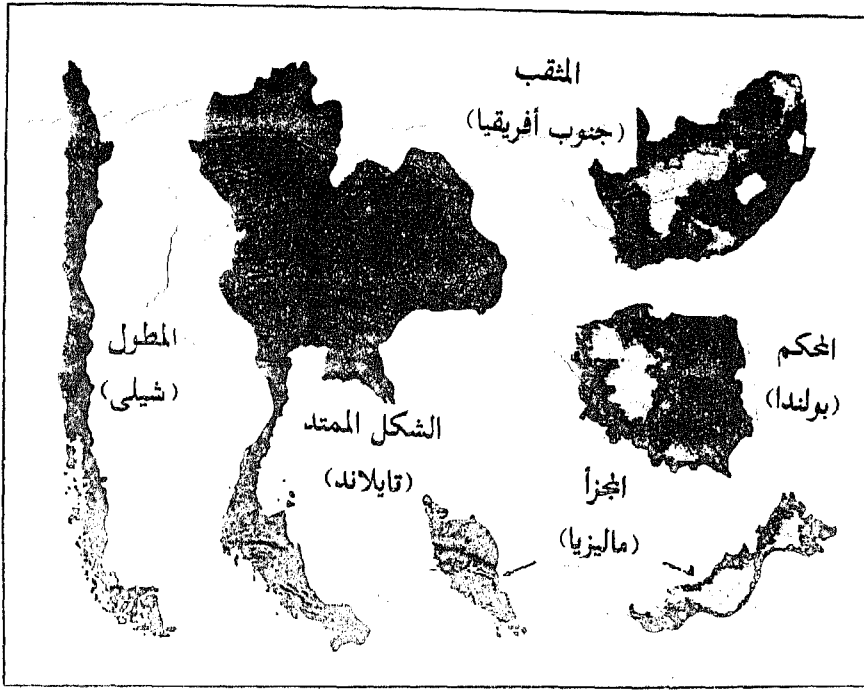
والقيمة الفعلية لمقياس الدرجة G. Scale قيمة محدودة جداً. ومبنية على أساس نسبة بين المساحة الجغرافية للدولة مساحة الأرض. وكأن المساحة وحدها هي التي تعطى دليلاً أو مؤشراً لمنظور القوة في الوحدات السياسية المستقلة. وكما عرفنا من قبل أن المدى المساحي وحده يعنى القليل في هذا الأمر، وأن الذى يجب أن يعتد به هو الموارد سواء أكانت بشرية أو اقتصادية. وعلى ذلك فإن قيمة هذه الموارد يجب أن تحسب وتضاف إلى قيم هذا المقياس لكي يكون له استخدام فعلى وعملى. بالإضافة إلى أن هذا المقياس قد يكون فعالاً إذا أعطى النسبة بين المساحة الفعلية

والمساحة المثالية. فليس من الضروري أن تكون الدول كبيرة المساحة دولا عظمى. فقد تكون مساحات كبيرة منها لا قيمة اقتصادية لها «حالياً» فقد تكون بها مساحات من الصحارى الجافة مثل: استراليا والسودان أو جليدية مثل: كندا وروسيا أو تكون مغطاة بالغابات (مثل: البرازيل والكنغو). من هنا فإن قيمة المساحة بمفردها لا قيمة لها.

٣- الشكل

فى حين يتساءل البعض حول الدلالة السياسية للمساحة الجغرافية للدولة، فالبعض الآخر يشك فى أهمية دراسة الشكل فى الجغرافية السياسية، وفى حين كتب باوندز Pounds أن «الشكل الهندسى للدولة يمثل مشكلة أقل حدة بدرجة واحدة من تلك التى تنشأ عن الامتداد الجغرافى لها» وقد أعرب كثير من الدارسين أن الشكل فى معظم الأحيان خاصية عشوائية ليس لها دلالة حقيقية. وعلى الرغم من ذلك فإنه «من العدل أن نذكر أن الشكل وحده لا دلالة له، ولكن مع اقترانه بعوامل أخرى يشكل (عنصراً هاماً) فى الجغرافية السياسية للدولة.

ولشكل الدولة دلالة وأهميته عند كل من الدفاع والإدارة الداخلية. فالشكل المحكم يؤدي إلى تقليل الوقت والمسافة بين قلب الدولة وأطرافها. وعلى ذلك فهو يحفز الوحدة والتماسك. والشكل المحكم المثالى هو الدائرة، فكلما اقترب شكل الدولة من شكل (الدائرة مع ثبات باقى العوامل) كان من السهل الربط بين المركز والأطراف ليمثلاً وحدة وظيفية متماسكة. أما فيما يخص التماسك السياسى الداخلى فى الدول دائرية الشكل. ومع وجود العاصمة فى الوسط، فإن ذلك يحقق مميزات عديدة، ففى مثل هذه الحالة فإن المسافة بين العاصمة (المركز) وبقية الأطراف فى الدولة دائماً عن حدها الأدنى. ومن وجهة نظر الدفاع، فإن الشكل الدائرى يحقق ميزتين: أقصر الحدود للدولة - حتى وإن كان حجمها كبيراً - فيكون لها عمق أكبر فى استراتيجيات التفهقر أثناء الحرب.



شكل رقم (٢-٥)
أشكال الدول

وعلى النقيض من الشكل الدائري، فإن الشكل المطول للدولة يزيد من طول الحدود، بالإضافة إلى الصعوبات التي تواجه التنقل والاتصال بين أجزاء الدولة. على ذلك، فإن الشكل الطويل والضيق يمثل عائقاً (عيباً) للدفاع وللإدارة الداخلية. ولعل أصدق مثالين لذلك هما شيلي والنرويج. فكلاهما لا يمتلك خطوط السكك الحديدية التي تغطي هذا الامتداد، المساحي مما يضطرها إلى الاعتماد على الملاحاة الساحلية الكثيفة، وكان ينظر إلى كل من فرنسا وتشيكوسلوفاكيا على أنهما أمثلة للدول شبه الدائرية والمطولة Elongated على التوالي. ولما يحويه كل شكل من مميزات وعيوب فالاستقرار السياسي لفرنسا. كان يعزى دائماً إلى شكلها الخماسي المحكم، في حين أن التوتر والتقلبات السياسية في تشيكوسلوفاكيا كان سببه الشكل المطول لها. وقد انتهى المطاف إلى تقسيمها إلى دولتين هما: التشيك والسلوفاك.

«وإدعاء أن الشكل الدائري هو الشكل المثالي للدولة، وهو مجرد استنتاج نظري ليس له أى تأكيد فى الواقع العملى. والشئ الوحيد الذى له معنى فى هذا الموضوع هو مدى تمشى شكل الدولة مع الخصائص والعوامل الطبيعية والبشرية لها. فالنرويج وتشيلي لهما شكل مطول بصورة كبيرة، وكلاهما حافظ على استقراره وثباته على مر العصور أكثر من فرنسا. فالنرويج وتشيلي منسجمتان بصورة كبيرة مع الطبيعة الجغرافية للمنطقة. ففي حين أن النرويج تمتد إلى إقليم جبالى فى الجنوب الشرقى لتشمل كل المناطق المتحدثة بالنرويجية. فإن تشيكوسلوفاكيا لم تستطع الحصول على مثل تلك الوحدة فى أراضيها. فملاحها وخصائصها الفيزيوجغرافية لم تكن فى أى وقت من الأوقات منسجمة مع اللغات والدول فى المنطقة، ولهذا السبب فقط كان شكلها المطول أحد بواعث الاضطرابات والانقسام».

والشكل الدائري المحكم ليس بالضرورة يضمن المثالية و التماسك للدولة. فرومانيا، وهى قريبة من الشكل الدائري شهدت العديد من مشكلات الأقليات فى حين أن الدنمارك ونيوزيلندا ذات الشكل المطول نسيبا حافظت على ثباتها وتماسكها بصورة كبيرة.

بإيجاز:

يمكن القول بأن الشكل الدائري يعد الشكل المثالي للدول. وعلى التقيض فإن الأشكال المطولة تعد أحد المثالب التي تعاني منها بعض الدول، ولكن ليس هناك تأثير حتمى لتلك الأشكال. فالمثالية ليست مرتبطة كلياً بالدائرة أو الشكل النموذجي للدولة. لأن هناك عوامل أخرى طبيعية وبشرية تتدخل في إضافة صفة النموذجية والمثالية.

تصنيفات أشكال الدول:

تبعاً لشكل المساحة الجغرافية يمكن إدراج الدول تحت فئات متعددة على أساس التقسيم التالي، وكما يوضحه شكل رقم ٢-٥ إلى:

(أ) الشكل المطول Elongated، ويمثل الدول التي يتعدى طولها ستة أضعاف عرضها. ومن أكثر الأمثلة تعبيراً عن ذلك هي تشيلي (امتدادها ٤١٦٠ كيلو متراً من الشمال إلى الجنوب، وعرضها ١٦٠ كيلو متراً)، وأمثلة أخرى مثل: السويد، النرويج، توجو، جامبيا، إيطاليا، ملاوى، بنما.

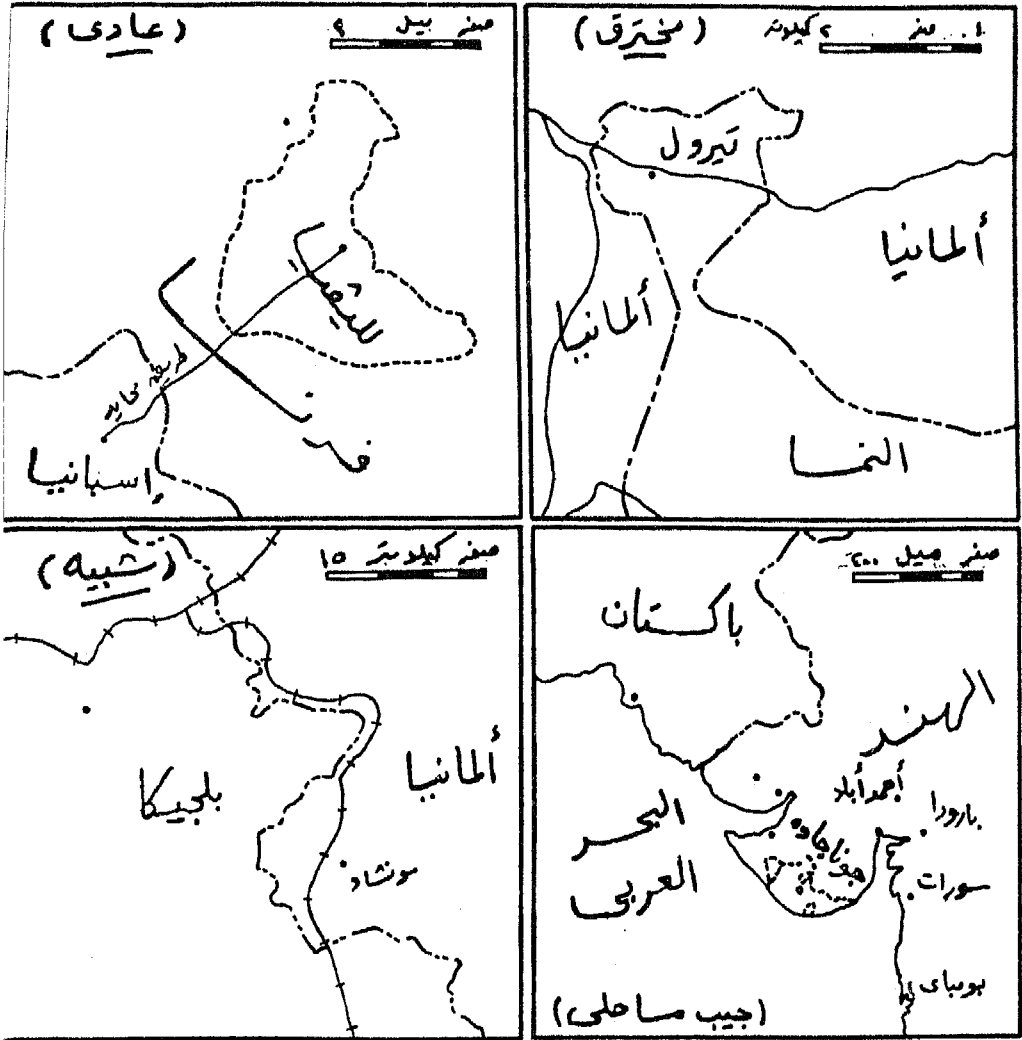
(ب) الشكل المحكم Compact وهو الشكل الذي يكون فيه المركز الجغرافي للدولة على مسافة منتظمة من الأطراف في جميع الاتجاهات مثال ذلك: فرنسا، أرجواي، بلجيكا، بولندا، أفغانستان.

(ج) الشكل ذو الامتداد Prorupt، بعض الدول فضلاً عن كونها محكمة ولها امتداد على شكل امتداد ضيق من أراضيها ليصل إلى منطقة استراتيجية مثال ذلك: زائير ناميبيا وبورما وتايلاند. وفي معظم الحالات تكون لهذه الامتدادات أغراض استراتيجية، ومن تلك ما يطلق عليه قطاع كابريفي Caprivi strip، والذي يمتد على شكل قطاع ضيق من الركن الشمالي الشرقي لناميبيا غرب أفريقيا حين كانت مستعمرة ألمانية إلى نهر الزامبيزي ليقابل التوسع البرتغالي من موزبيق إلى أنجولا في الساحل الغربي حتى يصل إلى النهر: وكذلك القطاع الساحلي الضيق في منطقة تناسريم Tenasserim غرب تايلاند، وهو امتداد لبورما «الإنجليزية» ليصل بريطانيا بالملايو Malaya.

(د) الشكل المجزأ Fragmented هي الدول المكونة من جزئين جغرافيين أو أكثر، وهو شكل له عيوب كثيرة تواجه التماسك الداخلي للبلاد وتعيق إجراءات الدفاع عنها، ويوجد نوعان من هذا التصنيف الأول على شكل أرخبيل جزر Insular مثل: الفلبين واليابان وأندونيسيا والثاني ويضم جزءاً قارياً مثل باكستان وسلطنه عمان. والآخر يمثل جزءاً قارياً وجزءاً بحرياً مثل ماليزيا واليونان.

(هـ) الشكل المثقب Perforated: ويضم الدول التي تضم بين أراضيها دولة أو أكثر وتحتويها تماماً حيث إنها تحيط بحدودها من جميع النواحي. ويضم هذا النمط من الأشكال دولا مثل إيطاليا، والتي تضم بين أراضيها دولا قزمية مثل: سان مارينو والفاتيكان. وفي جنوب أفريقيا فهي مثال شهير لهذا النمط من الأشكال المثقبة حيث تضم بين أراضيها دولتين ليسوتو Lesotho (٢ مليون نسمة) ودولة سوازيلاند (١,٥ مليون نسمة)، وهذه الدول الثاقبة في الدولة الأكبر. تكون تابعة كلية لها وهذا مايجده في جنوب أفريقيا وإيطاليا اللتين تتحكمان كلية في كافة أمور هذه الدول الصغيرة، والتي لا تعد سوى جيوبا Enclaves داخلية في أراضيها.

الأشكال المتطرفة: يحدث التطرف في شكل الدولة إذا كان للدولة امتداد جغرافي خارج حدودها متمثلاً في صورة جيب Clave. وظاهرة الجيوب تنقسم إلى قسمين الأول، وهو الجيب الخارجى Exclave، وهذا يعنى وجود أراضٍ من الدولة تقع كلية في دولة مجاورة. والدولة التي توجد بها أراضى جيب ليست لها سلطة عليه هذه الأراضى تكون بمثابة جيب داخلى Enclave. وأشهر هذه الجيوب المتنازع عليها إقليم تاجورنو كارباخ فى آذربيجان وتطالب به أرمينيا. أما الجيوب الشهيرة الأخرى فأهمها جيب ليقيا بالقرب من الحدود الأسبانية فى فرنسا. وهناك أكثر من ٩٢ جيبا لبنجلاديش فى أراضى الهند. وواحد وعشرون جيبا فى بنجلاديش بالقرب من الحدود الهندية البنجالية. هذه الجيوب بقايا نظم تاريخية ودينية وسياسية قديمة أو كنتيجة لاتفاقات عسكرية عند ترسيم الحدود.



شكل رقم (٢-٦)
الجيوب السياسية

وهناك ثلاثة أنواع أخرى من أشكال التطرف فى شكل الدولة وهى :

أ - البروز أو النتوء الأرضى Projection .

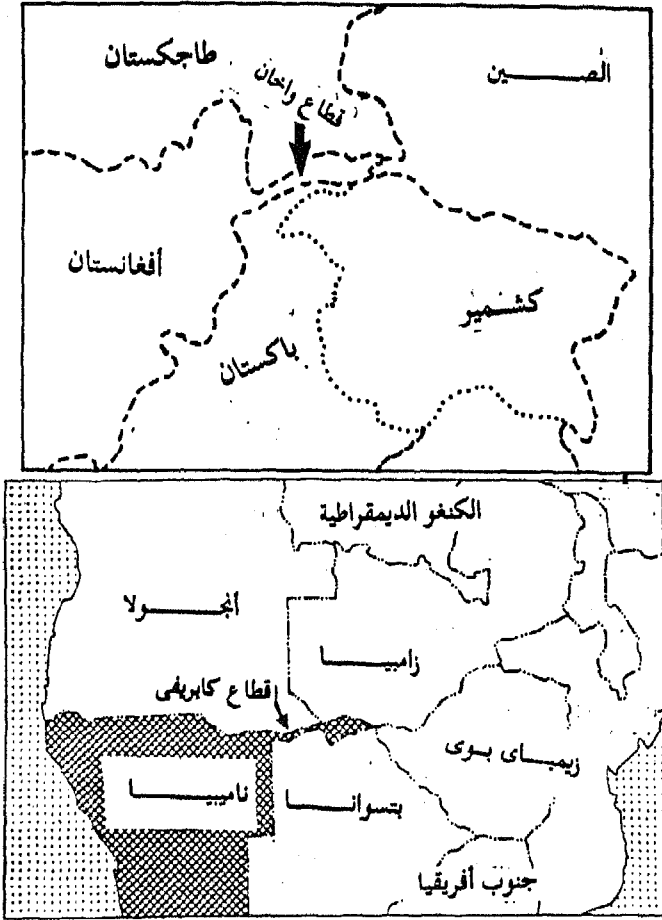
ب- رأس الكوبرى «الجسر» Bridgehead .

ج- الأخدود Glacis .

والبروز أو النتوء الأرضى، هو امتداد شريط ضيق من الأراضى يمتد من الدولة ليفصل بين أراضى دولتين متجاورتين عن بعضهما البعض أو ليفصل أراضى دولة عند الوصول إلى البحر. وأفضل الأمثلة على ذلك الامتداد الشرقى، وقد صنع بهذه الصورة ليفصل بين باكستان «الإمبراطورية البريطانية، والاتحاد السوفيتى. ليمنع الصدام بين هاتين القوتين العظمتين السابقتين. ومن الأمثلة الأخرى المشهورة، نتوء أصبغ كابريشى Caprivi's Finger فى إقليم ناميبيا. والهدف منه هو الفصل بين أنجولا ويتسوانا والوصول إلى نهر الزمبىزى. وهناك عدة صور للنتوء مثل ذلك النطاق الممتد فى الكمرن حتى تصل إلى بحيرة تشاد (أنظر الشكل رقم ٢-٧).

أما رأس الكوبرى «الجسر» هو امتداد نفوذ لدولة على أرض دولة يفصلها نهر كحد دولى. وأشهرها رأس الجسر الهولندى عبر نهر الميز Meuse عند ماسترخت ورأس الجسر التركى فى الأراضى اليونانية على نهر المارتزا.

والأخدود السياسى: هو امتداد لأراضى دولة ماعبر خط تقسيم المياه فى منطقة منخفضة، وأشهر الأمثلة على ذلك هو امتداد الأخدود النمساوى فى إيطاليا جنوب مدينة تيرول Tyrol حيث إن هذا الأخدود يمتد جنوب ممر بيرنز Bernez Pass ويسكنه سكان يتحدثون الألمانية. وقد استولت إيطاليا عليه بعد الحرب العالمية الأولى. ولكن لم تستطع حل مشكلة السكان المتحدثين بالألمانية^(١١).



شكل رقم (٢-٧)

قطاع واخان في أفغانستان وأصبع كاريبي في ناميبيا «أمثلة للتتوء»

استخدام الأساليب الكمية فى تحليل شكل الدولة:

استحدث استخدام الأساليب الكمية فى الجغرافية السياسية بعد الهجوم الكبير والنقد الذى وجه إلى هذا العلم الذى لا يساير التقدم فى الجغرافية الحديثة فى القرن العشرين. واستخدمت عدة أساليب منها قياس شكل الدولة وتحديدته. ومن الأساليب المستخدمة فى قياس وتحليل شكل الدولة وتحديدته، ذلك الأسلوب الذى استحدث لحساب الانحراف عن الشكل المثالى للدولة، وهو «الدائرة». أبسط الأساليب هو قياس طول الحدود الحقيقية وإيجاد نسبته إلى الحدود التى يمكن أن تحيط بالدولة كشكل دائرة «أى ترسم دائرة تكاد تمس غالبية حدود الدولة وإيجاد محيطها). فإذا كان دليل الشكل الدائرى ١٠٠ أو قريب منه، فإن هذا يعنى أن شكل الدولة دائرى أو مثالى وأنها أكثر تماسكا وتجانسا Compactness Index ولهذا يطلق على هذا الدليل اسم دليل التجانس أو التماسك. Compactness Index. وبحساب هذا الأسلوب على بعض الدول استنتج باوندز Pounds الجدول التالى (١٢):

دليل التماسك والتجانس «الشكل الدائرى» لبعض الدول

الدولة	دليل التماسك أو التجانس
أرجواى	١٠٥
رومانيا	١٣٧
المجر	١٤٦
سويسرا	١٦٤
بلجيكا	١٦٧
المكسيك	٢٥٨
تشيلي	٣١٠

وهناك طريقة أخرى سهلة لقياس دقة الشكل على نفس منوال طريقة باوندز قدمها كول Cole عام (١٩٦٤) (١٣)، (فى هذه الطريقة يتم قسمه مساحة أى

وحدة سياسية على مساحة أصغر دائرة يمكنها احتواء تلك المساحة، ثم يقسم ناتج القسمة بعد ذلك على (١٠٠). إن الدليل Index الذى يتم الحصول عليه من هذه الطريقة يقل كلما قل أحكام الشكل. فدليل الشكل عند كول قيمته ١٠٠ للدائرة، و ٨٣ للشكل السداسى، ٦٤ للمربع، ٤٣ للمثلث متساوى الأضلاع. وعلى ذلك نجد أن دليل فرنسا قيمته (٥٧,٥) وشيلي (٥) والهند (٣٥). وهناك طريقة أخرى سهلة قدمها هاجت وشورلى Haggett, Chorley عام (١٩٦٩). وأطلق عليها اسم دليل الشكل وصاغها لها المعادلة التالية:

$$\frac{(A 1.27)}{L_2} = \text{دليل الشكل}$$

حيث طول أطول محور $L =$

مساحة شكل ما بالكيلو متر المربع $A =$

حيث إن (A) هي مساحة شكل ما (أى: وحدة المساحة) بالكم المربع، و (L) تمثل طول أطول محور، وهذه الطريقة تعطى دليل شكل قيمته واحد صحيح للدائرة، وتقل قيمة هذا الدليل كلما طال الشكل، وعلى ذلك فإن قيمة دليل الهند تساوى ٠,٤٠٥٣، ولعل أفضل طريقة قدمت لحساب أحكام الشكل تلك التى قدمها بويس وكلاارك Boyce, Clark عام ١٩٦٤. وقد اقترحا «قياس المسافة من المركز إلى الأطراف الخارجية للشكل على أساس نصف أقطار متساوية، ثم حساب النسبة المئوية لكل مسافة نصف قطرية كنسبة من مجموع نصف الأقطار ثم طرح تلك النسبة المئوية تلك من النسبة المئوية لكل نصف قطر. ولقد أوجد هذه المعادلة لاحتساب دليل إحكام الشكل لأى مساحة (١٤):

$$\sum \eta_1 \left| \left(\frac{\eta_i}{\sum \eta_1} \times 100 - \frac{100}{\eta} \right) \right|$$

حيث إن r هي نصف القطر الممتد من المركز الجغرافي لطرف الشكل، و n تمثل عدد أنصاف الأقطار المستخدمة عند استخدام تلك الدلائل للشكل سوف نجد أن القيمة الناتجة تتراوح ما بين صفر للدائرة ١٢ للمربع و ١٧٥ للخط المستقيم، وهذه الطريقة تعطى دليلاً للشكل قيمته ٢٧, ٢٧ للهندو و ٢٠, ٦٠ لسرى لانكا. إن أسهل طريقة لإيجاد مركز الجاذبية الجغرافية لمساحة دولة معينة هو قطع شكل الدولة من على قطعة كرتونية ذات سمك منتظم ومحاولة وزنها على قلم. فالمكان الذي تزيد عنده الورقة الكرتونية تكون هي نقطة مركز الجاذبية الجغرافي للشكل. للحصول على معلومات إحصائية أكثر دقة يمكن للقارئ اللجوء إلى كتابات كول وكنج Cole, King (١٩٦٨) (١٥).

ثانياً: النظام الإداري الفعال

Administrative System

تسعى كل دولة لخلق منطقة لها درجة عالية من الوحدة الوظيفية أو درجة عالية من الاستواء في أمورها الاقتصادية والأمنية، وهي تسعى لخلق ذلك فوق كل المناطق الجغرافية الواقعة تحت سلطتها المباشرة، والأقاليم الإدارية سواء كانت محافظات أو إمارات أو بلديات لا تستطيع أن تقوم بدورها كاملاً دون إدارة حكيمة من حكومة أو من نظام إداري حكيم، وكما أوضح هارتسهورن أنه «من وجهة النظر الجغرافية أن الهدف الأساسي للإدارة المركزية هي خلق وحدة متماسكة وإضفاء صفة التجانس على كافة أقاليم الدولة. لأن غياب السلطة الإدارية يخلق الشقاق والفرقة وعدم التجانس بين أرجائها» (١٦). ومن المثالي أن تمارس الحكومة المركزية كل السلطات السياسية على كل المساحة الواقعة داخل حدود الدولة، وهذا هو الاختبار الحقيقي لمدى فعالية الإدارة المركزية، وفي الحقيقة فإن القليل من الدول تمتلك مثل هذه المثالية. ففي معظم الدول - ماعداً الدول الصغيرة ذات التعداد متجانسة السكان - نجد أن هناك مناطق يتحدث بها انشقاقات وانقسامات وضعف الولاء، وتحاول

الحكومات المركزية احتوائها من خلال منحها امتيازات خاصة والإغراق عليها.

«وجدير بالذكر أن دراسة شكل الحكومة الإدارى وهيكلاها وفق سلطاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية ليس محور اهتمام الجغرافية السياسية». بل يمكن أن تتساءل عما: إذا كانت هناك حكومة مركزية لتمارس سلطتها على جزء معين من سطح الأرض، ويصاحب هذا التساؤل من الاعتبارات المتعلقة بعدة أمور مثل: (١) نوعية السلطة السياسية (٢) مدى قوة السلطة (٣) شكل حكم الأقسام الإدارية المحلية (٤) مدى فعالية سلطة الحكومة المركزية.

١ - نوعية السلطة السياسية:

والسلطة السياسية تحتوى على منظورين، أولهما: يعكس مدى وجود دول مستقلة أو غير مستقلة، والثاني الأنواع المختلفة من صور الوحدات السياسية فوق خريطة العالم. سواء المستقلة أو الأنواع الأخرى لتلك الدول غير المستقلة ومنها المستعمرات والحميات والمناطق الدولية ومناطق السيادة المشتركة، والدول التى تحت الوصاية.

المستعمرة Colony هى وحدة سياسية غير مستقلة تمتلك اقتصاداً ضعيفاً وتكنولوجيا متأخرة وتحكمها قوة عسكرية خارجية ذات اقتصاد أقوى وتكنولوجيا متقدم. ويمارس الحكم والإدارة العسكريون المنتمون إلى الدولة الأجنبية الاستعمارية دون وجود تمثيل لسكان الدولة المستعمرة ويتمتع المستعمرون بامتيازات عادة لاتعطى للسكان الأصليين. ويكون النموذج السياسى لها مصمماً لخدمة الدولة المستعمرة. أما هذه المستعمرة فيكون دورها هو توفير المواد الخام والبضائع للدولة الأم (الاستعمارية) وتقوم بدور السوق الذى يستهلك المنتجات الصناعية لها. أما الدول تحت الوصاية أو الانتداب Mandates and Trusteeship Territories أقامت عصبة الأمم نظام انتداب تقع تحته مستعمرات الدول التى انهزمت فى الحرب العالمية الأولى لصالح الدول المنتصرة، على أن تقدم تقريراً دورياً عن إدارة المناطق الواقعة تحت الانتداب، حيث يصبح من حق عصبة الأمم أن تبحث فى الأمر إذا كانت نتائج

التقرير غير مرضية. وعندما حلت منظمة الأمم المتحدة محل عصبة الأمم عام ١٩٤٥؛ فإن حق الرقابة على المناطق الواقعة تحت الانتداب تحول إلى مجلس الأمم المتحدة للدول تحت الوصاية، وتم إطلاق اسم مناطق تحت الوصاية على مناطق الانتداب، ماعدا جنوب أفريقيا التي رفضت النظام الجديد واستمر حكمها على أنها منطقة واقعة تحت الانتداب.

المناطق الدولية Interational Zones هي مناطق استراتيجية تستحوذ على اهتمام عدة دول. فتعقد اتفاقات بينها على الإدارة المشتركة لتلك المناطق تحت رقابة لجنة دولية، ومثال ذلك المدينة الساحلية تانزير Tanzier على الساحل الشمالي الأفريقي عند مضيق جبل طارق حيث استمر حكمها دوليا من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٥٦، ثم أصبحت أرضا مغربية، وأيضا نجد مدينتي سار Sarr ودانزج Danzig في بولندا.

مناطق الحكم المشترك Condominium هي منطقة تكون إدارتها من حق دولتين أو أكثر، فالسودان حتى عام ١٩٥٥ كانت تحت الإدارة المشتركة لبريطانيا ومصر. المناطق المختلة Occupation Zones هي جزء من مساحة دولة ما تحتلها قوات خارجية لمدة محدودة بعد صراع وعداء بين دولتين مثل أراضي الجولان في سوريا، والتي تحتلها القوات العسكرية الإسرائيلية بعد حرب يونيو ١٩٦٧.

مدى قوة السلطة المحلية:

تمارس الدولة -نظريا- سلطتها المطلقة على كل الأراضي التي تقع داخل حدودها. وفي الواقع فإن مدى قوة قبضة الحكومة المركزية تتباين بصورة كبيرة من مكان لآخر داخل حدود الدولة. وخاصة في الدول كبيرة الحجم حيث تتباين ظروفها الطبيعية والبشرية. وعلى ذلك فإن إحدى أهم وظائف الجغرافية السياسية هي دراسة تلك الظاهرة وتحليلها. والمنهج الوظيفي الذي قدمه ريتشارد هارتسهورن في خطابه الرئيس للاتحاد الجغرافيين الأمريكيين عام ١٩٥٠ تحت عنوان «المدخل الوظيفي للجغرافية السياسية» يؤكد فيه أنه يجب على الجغرافيين الاهتمام بوظيفة الدولة كنظام إداري. ومن هذا المنطلق عليهم أن يحددوا ويعرفوا ويحللوا قوتها

وسلطتها ونفوذها على كل أراضيها القريبة والنائية، وبيان دورها في توحيد الدولة لتصبح كيان واحد. وتهتم أيضا بدراسة القوى التي تعمل ضد هذه الوحدة وإثارة الأقليات للنزعات الانفصالية.

٣- شكل حكم الأقسام الإدارية المحلية:

وللحكم على وظيفة الدولة يجب أن نعرف نظامها الحكومي، لأن طبيعة الهيكل الحكومي له أثره البالغ في الفعالية الإدارية. وبشكل عام هناك نوعان من الحكومات. الحكومة المركزية Unitary والحكومة الفيدرالية Federal. ولعل الفرق الواضح بين النوعين، هو في المواد الدستورية المتعلقة بتوزيع سلطات الحكومية، ففي حالة الحكومة المركزية نجد أن كل السلطة تقع في يد الحكومة المركزية. أما في حال الحكومات الفيدرالية، فإن المحليات تستمد صلاحيتها من الدستور مباشرة، ولها سلطات قوية في كافة الأمور باستثناء الأمور الخارجية أو المتعلقة بالدفاع، ولكل إقليم قوانين خاصة تتفق مع طبيعته المنطقة.

٤- مدى فعالية الحكومة المركزية:

وكما أوضح ويتلسي Whittlesey أن الأنشطة السياسية تترك بصمتها الواضحة على المظهر الجغرافي للدول بصورة مشابهة لما تفعله الأنشطة الاقتصادية. وعلى ذلك فإن دراسة طبيعة عمل الحكومة المركزية وتحليلها باعتبارها عامل تعديل في معالم الأرض هو أحد الموضوعات التي تهتم الجغرافية السياسية بدراستها.

ثالثاً: السكان كعامل في الجغرافية السياسية

تهتم الدراسات الجغرافية بالإنسان. لذا غدت دراسة السكان قاسماً مشتركاً لدراسة أية قضية في كافة فروع الجغرافية عامة والبشرية بصفة خاصة. وزاد الاهتمام بالدراسات السكانية في الجغرافية حتي أصبحت أحد الفروع المستقلة عن الجغرافية البشرية منذ الخمسينيات من هذا القرن*. وما يهمننا في مجال دراسة الجغرافية السياسية هو إيضاح الموضوعات التي تؤثر جلياً في الظاهرة السياسية ومنها : حجم السكان وتوزيعهم التركيبي العمري والنوعي، والخصائص الديموجرافية، والهجرة

ونمو السكان هو أحد العوامل الرئيسية المؤثرة في تاريخ البشرية السياسي والاقتصادي. وقد زاد عدد سكان العالم الحديث بصورة كبيرة نظراً للتطور الهائل في مستويات المعيشة ومكافحة الأمراض، مما أدى إلي تقليل معدلات الوفيات، والذي تبعه ارتفاع معدلات النمو السكاني بصورة انفجارية تجسدت في القرن العشرين.

وقد بلغ جملة عدد سكان العالم ٤٦٥ مليون نسمة عام ١٦٥٠ وارتفع ليصل إلي ١٠٩٨ مليون نسمة عام ١٨٥٠، ثم قارب ٣٥٠٠ مليون نسمة عام ١٩٧٠. وبلغ الآن ٦ مليار نسمة في نوفمبر عام ١٩٩٩. ولم يقتصر الأمر على الزيادة فقط، ولكن يتغير توزيع السكان فوق سطح الكرة الأرضية يتغير بصورة كبيرة، فمناطق مثل: الأمريكتان وأستراليا كانتا غير آهلة بالسكان في الماضي القريب، ولكنها الآن تحتوي على أقوى الدول في العالم اقتصادية أو سياسية.

١- حجم السكان :

تباين دول العالم من حيث حجم سكانها، فعلى قمة هرم الحجم السكاني في العالم وفقاً لبيانات ١٩٩٩ نجد دولة الصين التي يزيد عدد سكانها عن مليار وربع

* للمزيد عن أهمية دراسة جغرافية السكان كعلم خاص بذاته راجع :

فايز محمد العيسوي - الاتجاهات الحديثة في دراسة جغرافية السكان - مجلة كلية الآداب - جامعة

الإسكندرية - المجلد ٣٧ عام ١٩٨٩.

المليار (١٢٤٢ مليون) نسمة ، تليها الهند التي اقترب عدد سكانها من المليار (٩٨٨ مليون) نسمة. ثم تأتي بعدها الولايات المتحدة الأمريكية ٢٧٠ مليون نسمة. وتليها أندونيسيا ٢٠٧ مليون نسمة وروسيا الاتحادية ١٤٨ مليون نسمة.

وعلى الجانب المقابل، فإن أصغر دول العالم حجما هي نارو بالمحيط الهادى (٧٠٠٠ نسمة)، وأندورا وسان مارينو (٢٧ ألف نسمة لكل منها) وموناكو (٢٨ ألف نسمة) وليخنشتين (٣٠ ألف نسمة). وهناك مجموعة أخرى من الدول التي يصل عدد سكانها إلى ١٠٠ ألف نسمة مثل الدول الجزرية التالية أنتيغوا، ودومينكا، وجرانا، وسانتا لوتشيا، وسانتا فينستا في البحر الكاريبي. وجزر مارشال وميكرونيزيا في الأقيانوسيا.

وبعد حجم السكان ذا دلالة هامة في التوجهات السياسية للدولة. وخاصة إذا ما ربط هذا الحجم بالموارد الاقتصادية بالدولة. أو إذا ما قيس بمستواه التكنولوجى فى عالم يسوده الاستقرار وأصبحت حدود كل دول العالم ثابتة ومعترف بها دوليا.

وكان الحجم السكانى فى الفترة الاستعمارية وفترة تكون الإمبراطوريات أحد العوامل المؤثرة فى نشر السيادة الأوروبية على بعض المستعمرات فيما وراء البحار. فإذا ما أخذنا فرنسا كمثال فقد كانت أكبر دول القارة فى عدد السكان. وكان لعدد سكان فرنسا، والذي قدر بحوالى ٢٥ مليون نسمة إبان الثورة الفرنسية، وبالإضافة إلى أفكار نابليون كان لهما دوراً فى شحذ همم الجنود الفرنسيين لبناء إمبراطورية منافسة لبريطانيا. فى نفس الوقت كان عدد سكان روسيا ١٩ مليون نسمة. وعدد سكان بريطانيا ١١ مليون نسمة فقط (وذلك عام ١٨٠١).

وتغيرت هذه الصورة فى منتصف القرن التاسع عشر. فقد تناقص معدل نمو سكان فرنسا بصورة واضحة حتى أصبح أقل معدلات النمو بقارة أوروبا. وزاد عدد سكان ألمانيا ليتخطى العدد فى فرنسا عام ١٨٧٠. وبالمثل تخطى عدد سكان بريطانيا نظير الفرنسي فى نهاية القرن. ولعل ذلك قد يساعد فى تفسير تزايد القوة الألمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وحلت محل فرنسا بعد حرب عام ١٨٧١ لتتغير موازين القوى فى أوروبا.

ومع ذلك فإن تفسير أسرار قوة الجيش الألماني لم يكن كافياً في كثرة عدده فقط، بل إلى الروح القتالية العالية التي اتسم بها. وقد كان التفوق العددي إحدى السمات الواضحة لألمانيا في صراعها مع فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى. أما الحروب الحديثة - ومنذ الحرب العالمية الثانية، فلم تعد تحسم بالأعداد السكانية مع تقدم تكنولوجيا الحرب المعقدة واستخدام أسلحة أشد فتكاً وتوجه من بعد نحو أهدافها فأصبحت الغلبة للتكنولوجيا العسكرية. وأصبحت قيمة عدد الجند محدودة إلا في حالات خاصة. ويكون الغرض منه تحرير منطقة أو الفصل بين فصائل متحاربة. ومن التجارب التي تؤكد ذلك في العصر الحديث حرب الخليج «عاصفة الصحراء» لتحرير الكويت من الغزو العراقي، ففي فبراير ١٩٩١ وبعد قصف جوى وصواريخ مكثف أنكهت القوى العسكرية العراقية. مما سمح لقوات الحلفاء بتحرير الكويت.

ونفس الصورة تكررت في أبريل عام ١٩٩٩. فلم يحسم قصف المواقع الاستراتيجية في صربيا - رغم تدميرها الشديد - الموقف ويتراجع ميلوزوفيتش - رئيس جمهورية الصرب - عن موقفه في طرد سكان إقليم كوسوفا. واستعان قادة حلف الناتو NATO بالقوات البرية لتمكين المهاجرين من العودة إلى أراضيهم.

٢- كثافة السكان وتوزيعهم :

وتعد أكثر تأثيراً في قوة الدولة سياسياً واقتصادياً من تأثير الحجم السكاني. وكثافة السكان كما نعلم نحصل عليها بقسمة عدد السكان على مساحة الدولة. وهي مقياس لضغط السكان فوق رقعة الأرض. ومن ثم فإنها توضح لنا معاني سياسية قيمة. ففي العصور القديمة عندما كان العدد يعنى القوة، فإن التراحم السكاني في دولة من الدول القوية كان حافزاً لها على الحرب والتوسع لاكتساب أراضٍ جديدة مثال ذلك (كل من ألمانيا واليابان).

وأرقام كثافة السكان لا تعنى الكثير في حد ذاتها. فهي لا تخبرنا ما إذا كان توزيع السكان متعادلاً Evenly Distributed. أو إذا ما كان يمثل ضغطاً على بعض أجزاء الدولة. وكما هو الحال في مصر التي يتركز غالبية سكانها (٩٥٪ منهم فوق

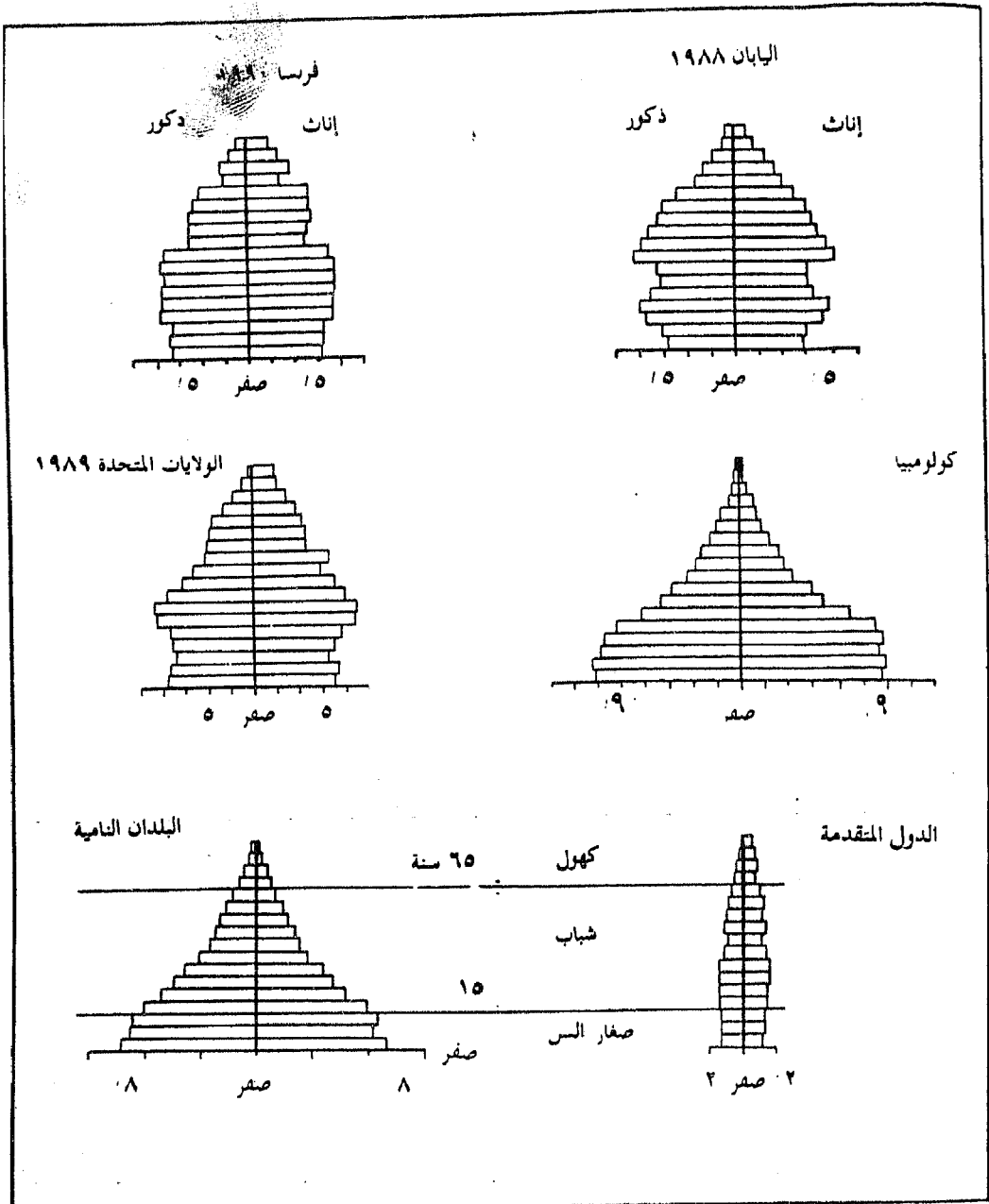
مساحة محدودة لا تتجاوز ٤ ٪ من جملة أراضيها) فى الوادى والدلتا. فى حين تظل مساحات شاسعة خالية أو تكاد تخلو من البشر. وفى بعض الدول نجد كثافة السكان مرتفعة فوق كافة الأرجاء. والبعض الآخر يتم توزيع السكان وكثافتهم بالتركز فوق أقاليم تفصلها أراضٍ قفر، وتتسم بتنوع ثقافى ودينى واضح «روسيا الاتحادية». ومن ثم فإن أكبر هذه القوميات تتولد لديها رغبة دمج باقى القوميات فى بنىان قوى وتطغى ثقافة هذه القومية فوق باقى القوميات المكونة للدولة من هنا كانت دراسة التوزيع السكانى -جغرافيا- أحد أهم العوامل فى دراسة الجغرافية السياسية للدولة.

٣- خصائص السكان النوعية

فى حضارة اليوم المتقدمة، فإن نوعية Quality السكان أصبحت أحد العناصر المؤثرة فى الجغرافية السياسية للدولة أكثر من حجم السكان وكثافتهم وتوزيعهم. ففى بلدان العالم النامى، فإن الغالبية العظمى من السكان من الأميين الفقراء ويعانون من أمراض سوء التغذية، مما يصبغ الإقليم بصبغة سياسية متخلفة، وتصبح قضية البحث عن الغذاء وسد رمق الأطفال الجياع الشغل الشاغل لشعوبها.

أما فى البلدان المتقدمة، فإنها معظم سكانها من المتعلمين وذوى الثقافة العالية، ومستويات التقدم التكنولوجى مرتفعة بها وغذائهم جيد ومستوى الخدمات بما فيها الصحية راق ومستوى معيشتهم مرتفع وينعم السكان بحياة هادئة خالية من المشكلات - إلى حد ما - مما يجعلهم يفكرون فى القضايا السياسية والديمقراطية بصورة أفضل.

بإيجاز فإن التزايد والتكدس السكانى over population فى بلدان العالم النامى وقلة موارد الغذاء وانخفاض مستوى الدخل وتدنى مستويات المعيشة يقلل من إنتاجية العامل، ويجعل كفاءة العمال محدودة. ومن ثم فإن الفقر يؤدي إلى الفقر. مما قد يجعل السكان لا يشعرون بالولاء لحكومتهم وسرعان ما تشتعل الفتن والثورات من أجل رغيف الخبز. وأصبحت القلاقل السياسية والانقلابات العسكرية سمة تميز معظم بلدان العالم الثالث من أجل التغيير والقضاء على فساد الإدارة طمعاً فى سلام اجتماعى حقيقى للسكان.



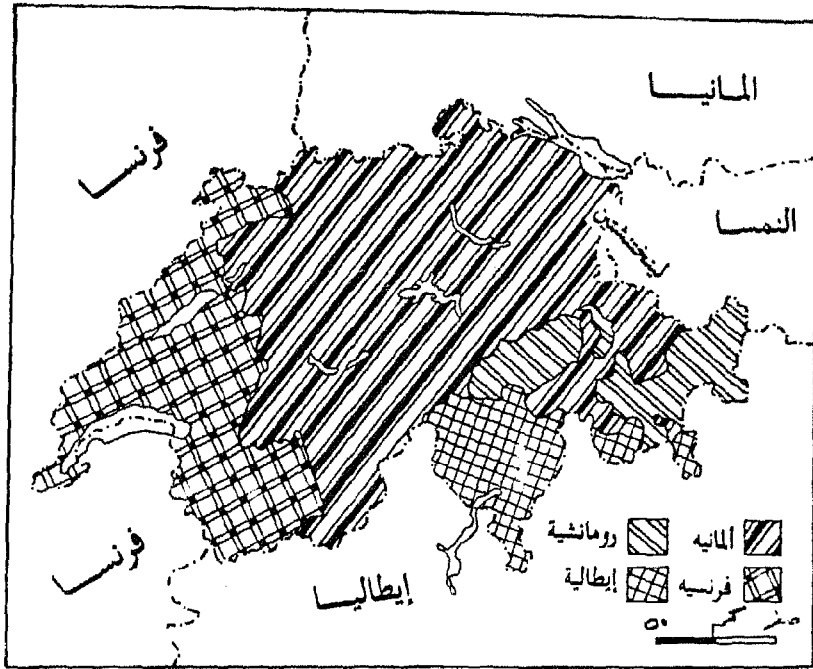
شكل رقم (٢-٨)
 الأشكال المختلفة لأهرام السكان

٤- التنوع السلالي والثقافى للسكان

تعد دراسة كل من اللغة والديانة والسلالة أو الجنسية من الأمور الهامة وذات قيمة فى دراسة التركيب السكانى. فدراسة مجموعة لغوية تتحدث لغة تختلف عن بقية أجزاء الدولة أو مجموعة تدين بعتيدة تختلف عن الديانة الرسمية للدولة الرسمية (خاصة إذا كانت هناك صراعات بين هذه المجموعات). أو بين السلالات مثل الأبيض والزنجى، كما كان الحال عليه فى الولايات الجنوبية الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية أو تزايد أعداد فئة عرقية أو دينية على حساب أخرى، كما حدث فى دولة مثل: بلجيكا (الوالون Wallons والفلمنك Flemings). أو بين المسلمين والمسيحيين فى لبنان. كلها أمور من الممكن أن تثير كثيراً من المشكلات التى تواجه التجانس والوحدة الوطنية للدولة. فقد كان السبب الرئيسى وراء تقسيم الهند وباكستان عام ١٩٤٧ ذلك الصراع الدينى بين كل من المسلمين والهندوس فى ذلك الوقت.

وعلى ضوء دراسة التجانس السلالى والثقافى يمكن أن نلاحظ ثلاثة انماط من الدول :

- أ - دولة يتجانس ويتمائل كل سكانها فى سمات واحدة دينيا ولغويا وثقافيا.
 - ب - دول بها غالبية متماسكة من سكان ذوى سمات واحدة وأقليات minorities مبعثرة فوق رقعة الدولة..
 - ج - دول بها غالبية متماسكة من السكان، ولكن هناك أقلية (لغوية أو دينية أو سلالية) تعيش فى تجمعات متماسكة فوق رقعة من الدولة - مثال لذلك: سكان كويبك فى كندا والأكراد فى تركيا والمسلمون فى الهند.
- وبصفة عامة، فإنه من حسن الحظ أن معظم بلدان العالم تنتمى للنوع الأول التى نادراً ما نجد بها مشكلات عرقية أو دينية أو ثقافية. وإذا وجدت به اختلافات فإنها تكون فى صورة أقليات ذائبة فى المجتمع مثل النوبيين فى مصر والأقباط فى الدول العربية. أما المشكلات فإنها يمكن أن تثار فى النوع الثالث من الدول عن



شكل رقم (٢-٩)
التقسيم اللغوي في سويسرا

طريق الاتحاد الفيدرالى وإعطاء حكم ذاتى لهذه الأقوام غير المتجانسة مع الدولة. وعندما توضع الحدود الإدارية بوضوح مع الاختلافات العقائدية أو اللغوية، فإن الوحدات السياسية تعيش بعيدة عن المشكلات والصراع والعكس صحيح.

وقد تتغلب بعض الشعوب على المشكلات القدرية التى خلقت وارتبطت بدولتهم. وخير مثال لذلك دولة سويسرا التى تنقسم إلى أربعة عناصر، وهم الرومانيون فى الشرق، والإيطاليون جنوباً، والفرنسيون فى الغرب، والألمان فى الشمال. ومن هنا انتشرت بها عدة لغات وطوائف دينية. ولكن الشعب السويسرى فى كل مقاطعة لا يحاول أن يخلق من هذا التفاوت بذوراً للمشكلات. ومن ثم فهو مثال لشعب تعيش مع الاختلاف ليصنع التجانس فى روح من المحبة والتجانس، ومن ثم الرفاهية.

وعلى النقيض نجد فى مقاطعة كويك Quebec فى كندا التى يتمسك سكانها بلغتهم الفرنسية وعقيدتهم «الروم الكاثوليكية» التى تختلف عن لغة البلاد الإنجليزية وديانتهم «بروتستانتية» ومن هنا فإن الخط السياسى الذى يحدد هذه المقاطعة يميز شعباً يختلف كلياً فى خصائصه ومستواه الاجتماعى والاقتصادى «الأقل» قياساً بباقى الدولة.

وتتكون قبرص من قوميتين القبارصة الأتراك «مسلمون» فى الشرق، والقبارصة اليونانيون «مسيحيون» فى الغرب. وقد بدأت حالة من الصراع بين المجموعتين بعد أن عاشا فى سلام حتى مطلع السبعينيات من هذا القرن حتى أصبح العداء المستحکم سمة تنتشر فى أرجاء الجزيرة التى تضع غصن الزيتون رمزاً على رايها.

وكانت يوجوسلافيا مثالا للدول القلائل القومية حيث تتسم كباقى دول البلقان بالتنوع الأثنوجرافى. وتتكون من الصرب (أرثوذكس) والبوسنيين (مسلمون)، والكروات «كاثوليك». ويصعب أن نجد مقاطعة لا يوجد بها هذا الخليط الذى أصبح أحد مقومات تفتت هذه الدولة. وكان آخر معاقل هذا التفتت ما كان سبباً لحرب البلقان فى أبريل ١٩٩٩. حينما ضرب حلف الأطنطى NATO المدن الصربية بعد

حملة التطهير العرقي التي أحدثتها صربيا «يوجوسلافيا» ضد مسلمي البان إقليم كوسوفو.

الأقليات :

لا تخلو دولة من وجود أقلية سكانية بها سواء أكانت لغوية أو سلالية أو دينية أم قومية. ولما كانت أسباب وجود هذه الأقليات متفاوتة بين الدول. فإن خصائصها أيضا أصبحت متفاوتة. وتختلف علاقة الأقلية بالدولة التي تعيش فيها وفقا لما يلي :

* شكل توزيع الأقلية والتمسك بتراث وملامح ثقافية محددة: فتزداد خطورتهم مشكلاتهم إذا ما كانوا يعيشون في إقليم واحد وازداد تماسكهم بمرور الزمن في وطنهم القديم. وفي هذه الحالة فهم يحتفظون بكافة سماتهم الثقافية والحضارية من لغة وديانة وعادات وتقاليد. ومن ثم أصبحت القومية تمثل نغماً شاداً في نسق التماسك والتماسك في الدولة. وخير مثال على ذلك القطالونيون في أسبانيا والفريزيان في هولنده وتزداد خطورة الموقف إذا ما أهملت الحكومات المركزية الاهتمام بتوزيع الخدمات والثروة وبرامج التنمية على أرجاء هذه الأقليات، مما قد يولد الأحساس بالنفور من هذه الحكومات ويقل أو يتقدم الانتماء للدولة الأم. وتصبح هذه الأقليات مثيرة للقلق السياسية إذا ما كانت تقع في المناطق الهامشية أو بالقرب من الحدود وتدعمها قوى أجنبية من أجل تحقيق الانفصال عن الدولة الأم. تصل قمة المشكلات التي تثيرها الأقليات عندما يحمل شبابها السلاح ويشهرونه في وجه الجيش النظامي، مما يسبب قلق لا تنتهي مع الحكومة المركزية. وخير مثال على ذلك جيش تحرير كوسوفا وجيش تحرير نمور التاميل في سرى لانكا. وجيش تحرير الباسك في شمال إسبانيا.

* حجم سكان الأقلية وقوتها الاقتصادية : إذا زاد عدد سكان هذه الأقليات وأصبحت تمثل نسبة لا بأس بها من سكان الدولة من الممكن أن ترصد كل تصرفات الحكومة تجاههم وتجاه باقي سكان الدولة. وقد تنادى هذه الاقليات ببعض الحقوق الخاصة. إذا كانت تعيش في منطقة بها موارد هامة زراعية أو تعدينية. وقد

تتعامل الدولة بهدوء مع هذه المشكلات المثارة أو قد نسكت هذه الأصوات التي تنادى ببعض المزايا بأسلوب القهر. وهناك طرق أخرى عديدة نسلكها الحكومات المركزية تجاه الأقليات مثل عقد الاتفاقات والمعاهدات أو الاستفتاء وإقرار حق تقرير المصير والاستقلال الذاتي أو الانفصال الكامل

٥ - الهجرة : Immigration

لن نتطرق هنا لدراسة متخصصة عن الهجرة وأسبابها وأنواعها (وهذا يمكن دراسته في كتب جغرافية السكان). وسوف تركز الدراسة هنا على دراسة الهجرة المؤثرة في الظاهرة السياسية مثل الهجرة الدولية ذات المغزى السياسي والتهجير الإجبارى وخاصة اللاجئين لظروف سياسية

الهجرة الدولية يمكن القول بأن القرنين التاسع عشر والعشرين هما قرن حركة الأوروبيين واستعمارهم للعالم وتأثيرهم في رسم خريطة العالم السياسية عن طريق الهجرة والتوطيس أما في الوقت الحاضر ونحن نطرق أبواب القرن الواحد والعشرين فإن هناك عدداً قليلاً من دول العالم التي نعوص بقصر سكانها بتشجيع الهجرة إليها مثل: كندا والبرازيل وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية. هذه الدول تدعم وتشجع المهاجرين ليستقروا بها ليصبحوا مواطنين ولكن من هم المهاجرون الذين تستقطبهم هذه الدول؟ .. الإجابة ببساطة أنهم يختارون وينتقون وفقاً لحاجة هذه الدول ومعظمهم من المتعلمين وذوى المهارات الفنية العالية أو دوى الدخل المرتفع، والذين يستطيعون الاعتماد على مواردهم المالية - وبالطبع فإن هذه الفئة من المهاجرين تحتاجهم دولهم بشدة. ومن ثم فإن نزوحهم يعد استنزافاً لعقول هذه الدول Brain Drain ومعظمهم من بلدان العالم النامى.

وبدأت بعد الدول تشجع على الهجرة المؤقتة إلى خارج بلدانها (نزوح) كأسلوب لتحسين أوضاع سكانها وتنمية موارد خزائنها. وهذه الهجرة المؤقتة تكون قاصرة على فئات محددة من السكان. وفي نفس الوقت فإن الدول المستقبلية لهذا النوع من الهجرة يكون في حاجة شديدة لهؤلاء الوافدين لسد عجز واضح في

قواها البشرية العاملة في بعض المجالات. ففي العقود الأخيرة من القرن العشرين تحركت عدة ملايين من المهاجرين إلى دول غرب أوروبا ودول الخليج العربي والولايات المتحدة الأمريكية وجنوب أفريقيا.

وعودة المهاجرين المؤقتين تؤثر سلباً على اقتصاد الدولة الأم. فعودتهم تعنى ارتفاع معدلات البطالة وانخفاض في مستوى الدخل بصورة فجائية، مما يؤدي إلى إرباك اقتصادي وسياسي داخلي. ففي أوائل السبعينيات ومع الكساد الاقتصادي الأوروبي تم الاستغناء عن أعداد كبيرة من الأتراك واليونانيين واليوجوسلاف والإيطاليين والبرتغاليين، مما أثر سلباً على دول هؤلاء المهاجرين.

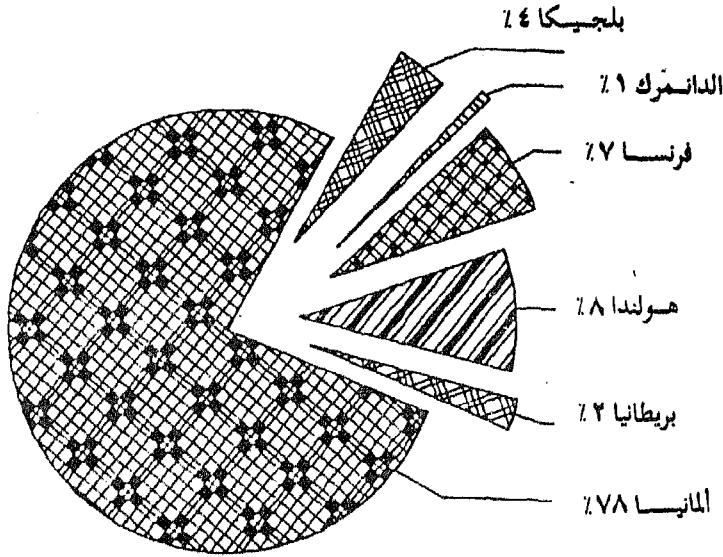
وعلى نفس الوتيرة كانت لعودة مهاجري جاميكا والمكسيك وسكان الجزر الكاريبية إلى بلادهم بعد حفر قناة بنما نفس الأثر في الإرباك الاقتصادي والسياسي. وتكررت نفس الصورة مع عودة العمال اليمنيين من دول الخليج العربي، إضافة إلى انكماش أعداد العمال الأردنيين في هذه الدول بعد الغزو العراقي للكويت أثره الواضح في عدم استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في هذه الدول.

ويظهر الدور السياسي للمهاجرين إذا ما استقروا في مناطق هامشية لاستغلال موارد طبيعية. فإذا ما طالت فترة إقامتهم وحصولهم على جنسيات الدول المستقبلية، فإن ذلك يؤدي إلى زرع أقليات عرقية داخل البنيان السكاني للدولة. وهذه سمة تميز دول أمريكا الجنوبية مثل: الصينيون واليابانيون والهنود والبنانيون والمكسيكيون في باراجواي والبرازيل وغيرها. والجزائريون في جنوب فرنسا. والأتراك في ألمانيا.

وفترة الهجرة الدولية متباينة فهناك أقليات استقرت واندمجت مع دول الاستقبال وانفردت عقد رباطها بالوطن الأم مع الأجيال. وهناك نوع آخر من المهاجرين الذين استقروا فترة أطول ولا يريدون الاندماج الكلي مع الدولة المستقبلية، وقد يكسرون قوانينها باستمرار مما يسبب مشكلات سياسية عدة: ومثال ذلك الأتراك والأكراد في أوروبا. وعرب تونس والجزائر والمغرب «وأفريقيا الزنجية» في فرنسا. وقد تكون هذه المشكلات مقلقة لسياسة الدولة وحكومتها، مما يولد أحزاباً مناهضة لبقاء هؤلاء

أعداد المهاجرين إلى ألمانيا مع بداية عام ١٩٩٠

العدد	الدولة	العدد	الدولة
٧٤٩٠٠	البرتغال	١٦١٢٦٠٠	تركيا
٦١٨٠٠	المغرب	٦١٠٥٠٠	يوغوسلافيا
٣٣٤٠٠	فيتنام	٥١٩٥٠٠	إيطاليا
٣٢٧٠٠	سرى لانكا	٢٩٣٠٠٠	اليونان
٣١٧٠٠	التشيك	٢٢٠٠٠٠	بولنده
٣٠١٠٠	المجر	١٧١١٠٠	النمسا
٢٤٣٠٠	لبنان	١٢٧٠٠٠	إسبانيا
٢٣٩٠٠	ترنس	١٠١٠٠٠	هولندا
٢٢٥٠٠	الهند	٨٥٠٠٠	بريطانيا
٢١١٠٠	أفغانستان	٨٥٧٠٠	الولايات المتحدة
٢٠١٠٠	رومانيا	٨١٠٠٠	إيران
	اليابان	٧٧٦٠٠	فرنسا
٤,٨٤٥,٩٠٠	الجملة		



شكل رقم (٢ - ١١)

نسبة المهاجرين الأتراك في دول أوروبا سنة ١٩٩٠

المهاجرين ، كما هو الحال فى فرنسا وألمانيا حالياً فمن أكبر الأمور المقلقة لاساسة هذه الدول ازدياد المد الإسلامى فى غرب اوربا وبناء أعداد ضخمة من المساجد وانتشار الحضارة الإسلامية بين هذه المجموعات المتمسكة بثقافتها الشرقية. وكما يتضح من الجدول التالى ، فإن خمس سكان ألمانيا تقريباً ينحدرون من عدة قوميات ، ولكل منها سمات مغايرة .

وفى جنوب أفريقيا صورة مماثلة حيث تمثل منطقة جذب قوى للمهاجرين من الدول المجاورة الفقيرة. ففى منتصف عام ١٩٨٥ قدر عدد المهاجرين المسجلين رسمياً نصف مليون سمة (وقد يزيد العدد غير الرسمى إلى أربع أمثال هذا الرقم) . ولكن جنوب أفريقيا عالجت هذا الأمر بصورة مغايرة تماماً فلا تسمح لهؤلاء المهاجرين أن يحضروا أسرهم معهم وتأمروهم بأن يعيشوا فى معسكرات تحت إشراف رسمى وأن يعملوا فى حرف محددة لهم ولفترة محددة وقد اتبعت هذه السياسة الحكومة العنصرية السابقة حتى تقلل وتمنع الصراع الطبقي داخل الدولة

وبالطبع فإن كل الدول التى تستقبل عمالة مؤقتة لا تستطيع أن تستغنى عنهم جميعاً حيث إنهم يعملون فى حرف شاقة ووضيعة لا يرضى أن يعمل بها السكان الوطنيون. وهؤلاء المهاجرون الذين قدموا إلى اوربا مثلاً منذ الستينيات والسبعينيات واستمروا فى أعمالهم أصبحت لهم أسر وأولاد ولدوا فى اوربا وأصبحت لهم هوية ، ويتمتعون بكافة حقوق المواطن المقيم والجنسية. وقد يحس أبناء هؤلاء المهاجرين بسوء المعاملة والتفرقة من أبناء الدولة ، مما يؤدى إلى حدوث صدام مستمر بين بعض جماعات الوطنيين وأبناء هؤلاء المهاجرين . مع تزايد التعصب القومى . ويعد عامل تفاوت مستويات الأجور . بين دول الإرسال ودول الاستقبال أحد الأسباب التى تؤثر فى جذب مهاجرين إلى الأرجنتين من الدول المجاورة ومن المكسيك ودول الكاريبى إلى الولايات المتحدة ومن موريتانيا ومالى إلى السنغال ومن مصر والأردن وسوريا والسودان واليمن إلى دول الخليج العربى . والملاحظ أنه مع ارتفاع أسعار النفط يشتد تيار الهجرة والعكس صحيح . وهذا ما لوحظ مع انخفاض الأسعار حين طردت نيجيريا وفنزويلا أعداداً كبيرة من المهاجرين . وبدأت دول الخليج تستغنى عن أعداد كبيرة

من المهاجرين. وأصبحت سياسية العمالة الوطنية «إحلال الوطنيين محل الأجانب في الوظائف) سائدة وإن ظلت هذه الدول في حاجة إلى وظائف محددة لا يمكن الاستغناء عنها .

وفي دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وأستراليا يشكل المهاجرون من الدول الفقيرة وظائف هامة في مراكز البحوث والجامعات والمستشفيات ووحدات والكمبيوتر والمصانع والبنوك وفي كافة المجالات الاقتصادية الحساسة. وهذا النوع من المساعدات الأجنبية التي تتلقاها الدول الغنية لا تحدث عنه في المؤتمرات. بل دائماً تحدث عن بضعة ملايين من الدولارات التي ترسلها لفقراء العالم في صورة دعائية.

اللاجئون : Refugees

ليست كل حركات عبور المهاجرين للحدود السياسية من النوع الاختياري ولكن تاريخ البشرية مليء بأمثلة من قصص المجازر والرعب التي مارستها بعض الحكومات ضد أقليات . فقد تعيش مجموعات بشرية ضعيفة في وطن آمن لفترات زمنية طويلة وفجأة يجد هؤلاء البؤساء أنفسهم مضطرين إلى مغادرة وطن لا يعرفون سواه إلى خارج الحدود بدون وطن وبدون هوية وبدون سكن وفي أحوال بائسة. وفوق خريطة العالم نلاحظ أن حدوداً كثيرة فوق سطح المعمورة شهدت حركات عبور إجبارية مثل حركة تبادل السكان بين الهند وباكستان إبان حركة تقسيم الهند بعد استقلالها عام ١٩٤٧ . وحركة تبادل السكان بين الأتراك واليونان بعد تصدع الدولة العثمانية وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى. وهذا يخلق نوعاً من الهجرة القصرية، ولكنهم يذهبون إلى وطن معلوم من أجل الاستقرار الدائم.

وأشوأ أنواع الهجرة المؤثرة في الجغرافية السياسية للدولة هي الهجرة الإجبارية أو ما تعرف بهجرة اللاجئين. والمشكلة التي تواجهنا عند الدراسة هو تعريف مصطلح اللاجئين Refugee. ووفقاً لتعريف الأمم المتحدة الذي خرج إلى النور عام ١٩٦٧ يقول:

أى فرد يضطر لترك وطنه لأنه في خوف من الاضطهاد أو القتل أو كليهما معا لعدة أسباب سواء اجتماعية أو عرقية، أو أحد أعضاء مجموعة سياسية أو طرد من

دولته لآراءه السياسية المعادية للحكومية. أو هؤلاء الذين يعيشون بلا هوية قومية. ولا يستطيع العودة إلى وطنه حرصاً على حياته. وهذا التعريف يشوبه بعض الغموض فكيف يثبت هذا اللاجئ أنه في خوف على حياته أو أنه مضطهد؟ وهذا التعريف للأسف لم يتناول هؤلاء الفارين من الحروب الأهلية والدمار المرتبط بها والذين يضطرون لعبور الحدود الدولية.

وتزداد المشكلة سوءاً إذا ما وضعنا في الحساب هؤلاء الذين يعبرون الحدود نتيجة الخوف على حياتهم سبب ظروف اقتصادية «مجااعات» أو ظروف مناخية وطبيعة سيئة (زلازل وفيضانات). ولكي نتخلص من هذا الخلط يمكن أن نفرق بينهم. فالنوع الأول يمكن وصفه باللاجئ السياسي الذي قد يحصل على جنسية دولة جديدة تستقبله. أما النمط الثاني فإنها غالباً ما تكون في جماعات ضخمة وتعيش في معسكرات لحين حل مشكلتهم. وهم يعيشون في معاناة كبيرة سوف يكون الحديث هنا قاصراً على اللاجئ بسبب ظروف سياسية للاضطهاد والحروب الأهلية أي أن خروجهم في جماعات بسبب ظروف سياسية.

وأشهر لاجئ العالم هم الفلسطينيون. فقد أدى غرس دولة إسرائيل فوق أراضي من فلسطين إلى طرد سكانها خارج الحدود وتشريدهم منذ عام ١٩٤٨ ومازال معظمهم يعيش في الضياع والتشتت في معسكرات في لبنان والأردن. أو صرح لهم بالعمل في بعض الدول العربية المجاورة، أو في كثير من دول العالم الأخرى.

وتعد الحروب هي العامل الرئيسي وراء ظاهرة اللاجئ سواء كانت الحرب دولية أو حروب عرقية. ففي النصف الثاني من القرن العشرين رصدت عدة حركات للاجئ عبر حدود السودان والصومال وأثيوبيا ونيجيريا ورواندا وبورندي وليبيريا وأوغندا وكينيا. أما في أوروبا فقد كان للحرب العالمية الثانية أثرها في تشتت أعداد كبيرة من سكان بولندا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا. أما أحدث حركات هجرة اللاجئ والتي لم يشهد لها القرن العشرون مثيلاً سوى في فلسطين هي إجبار سكان إقليم كوسوفا في يوجوسلافيا على ترك الأقليم. فقد خرج أكثر من نصف مليون لاجئ

فى شهر واحد فقط «ابريل ١٩٩٩» إلى دول الجوار ممثلة فى مقدونيا وألبانيا بسبب حركة التطهير العرقى التى يمارسها الصرب.

وفى آسيا نجد أفغانستان وباكستان وكمبوديا وبورما وفيتنام والهند دولاً تعاني من مشكلات اللاجئين الناجمة عن صراخ وحروب لا دخل للأبرياء من الأطفال والنساء وكبار السن فيها. وتكون النتيجة هى أنهم يهدمهم الذين يعانون من التشرد والضياع.

وتتعدد مشكلات اللاجئين وإعادة توطينهم حيث تتدخل العوامل السياسية فيها. فقد يضطر المهاجر أن يغادر مكان الاستقرار إلى مكان أو دولة ثالثة حتى تحل مشكلتهم. أو تعد لهم معسكرات يعيشون فيها لفترة قد تطول على الحدود وفى كلتا الحالتين، فإن الدعم والمساعدة المحدودة للمهاجرين هى المصدر الأساسى للعيش حيث لا عمل ولا مورد للعيش.

وهناك منظمات دوليتان تتوليان أو تحاولان حل مشكلة اللاجئين فى العالم وهما: مكتب الأمم المتحدة لغوث اللاجئين United Nations High Commisison for Refugees (UNHCR) ومنظمة الهجرة الدولية Intergovernmental Organization for Migration (IOM) وكلاهما يتخذ من جنيف مقراً له. ومكتب غوث اللاجئين مسئول عن حماية حقوق اللاجئين وتوفير الطعام والأمن لهم وتقديم المساعدات، واستخراج الوثائق الرسمية وتقديم خدمات التعليم، وبرامج التدريب، ولكنها كمنظمة تقع أسيرة إمكاناتها المادية المحدودة. ويجب عليها أن تنسق مع هيئات أخرى متخصصة تهتم باللاجئين مثل الصليب الأحمر. والهلال الأحمر. ولكن يجب الإشادة بأن مكتب غوث اللاجئين يعمل ببطولة فى مواجهة صعاب سياسية كبيرة دون سلطة حقيقية تمتلكها، ولكنها أنجزت بنجاح عملها فى فلسطين وجنوب شرقى آسيا وموزمبيق وأفغانستان وفى ليبيريا

وتتجسد مشكلة اللاجئين إذا ما استمرت مشكلتهم لفترة زمنية طويلة. فأبناء هؤلاء المهاجرين يولدون فى بيئة تمثل بحق بيئة غضب وحقد شديدين. ومن ثم

فإن إثارة المشكلات سمة تميزهم. بل أن العمليات الفدائية الانتحارية تكون أمراً طبيعياً لشبابها الثائر دائماً. واستمرار معسكراتهم على الحدود من الممكن أن يصدر الإرهاب إلى دول الجوار، بل وقد يتدخلون في شئون بعض الدول التي تستضيفهم، مما يزيد من آلامهم إذا ما اكتشفت الحكومات ذلك فيكون المصير القتل والشتات والطرده مرة أخرى.

وتتفاقم مشكلة اللاجئين لأنها ظاهرة مستجدة. فلاجئ أمس قد يعود إلى وطنه اليوم. ولكن قد يضطر مواطن آمن لترك وطنه اليوم بعد أن يجبر على ذلك مع استمرار القلاقل السياسية وخاصة في بلدان العالم الثالث فقيرة الموارد. وقد أعلنت مفوضية الأمم المتحدة للاجئين أن هناك ما يقرب من ثلاثين مليون لاجئ بين أرجاء العالم. وأن من تشرف عليهم المفوضية لا يصل إلى نصف هذا العدد. وقد نجحت المفوضية في إعادة استقرار أكثر من أربعة ملايين لاجئ في ١٢٦ دولة طوال الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٨٩. والواقع يؤكد أن مشكلة اللاجئين لا تستطيع أن تحلها هيئات اللاجئين، بل الحكومات فقط هي القادرة على ذلك. والحقيقة المرة تقول: أنه على الرغم من تقدم البشرية الهائل إلا أن أعداد اللاجئين تتزايد.

رابعاً: التركيب الاقتصادي للدولة

تعد القوة الاقتصادية عنصراً هاماً معضداً للقوة السياسية والعسكرية للدول. وهذا ما تجسده صورة الولايات المتحدة الأمريكية التي تعد الأقوى في العالم المعاصر. ويعد عنصر الاكتفاء الذاتي للدولة من أهم عناصر القوة التي تظهر أهميتها في وقت الحروب. فقد كان لقوة اقتصاد ألمانيا واكتفائها الذاتي أثره الواضح في مقاومة الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية. وهناك قليل من الدول التي يمكن أن توصف بأن لديها اكتفاء ذاتي في مواردها. وفي الواقع فإن معنى الاكتفاء الذاتي Self. sufficient يكون نسبياً في تفسيره. فقد تكتفى دولة في بعض السلع، وقد تنقصها موارد أخرى ولكن تستطيع أن تتغلب على النقص بصورة أو بأخرى.

وترى الحكومات أن تحقيق الاكتفاء الذاتي في أوقات معينة أمر مرغوب فيه للأمن الذي تحققه هذه السياسة، وخاصة في أوقات الأزمات أو إذا ما تعرضت الدولة

لحصار. وتحظى الموارد الاستراتيجية والسلع الغذائية السائدة الاستهلاك بنصيب كبير من اهتمام الحكومات التي تقدم كافة أنواع المغريات للمزارعين في صورة تشجيع. يرفع الأسعار وتوفير مستلزمات الإنتاج الحديثة Modern Inputs وخفض الضرائب. وقد شجعت بريطانيا الفلاحين على زراعة البنجر وتمويل صناعة السكر من البنجر. وأستطاعت ألمانيا أن تنمي صناعاتها وتصل إلى درجة الاكتفاء الذاتي قبل الدخول في الحرب العالمية الثانية.

ولما تغيرت تكنولوجيا الحروب حديثاً وأصبحت السيادة والتفوق مرتبطاً بالتفوق في سلاح الجو والحركة السريعة فوق سطح الأرض. فقد أصبح للبتترول أثره الكبير باعتباره عنصراً حيوياً أثناء الحروب. وأصبح الصراع للوصول إلى مناطق إنتاج البترول هدفاً للقوى العظمى. وزادت أهمية الدول المنتجة وتغيرت صورتها الاقتصادية والحضارية مع زيادة الطلب عليه. أما الموارد المعدنية الاستراتيجية الأخرى والتي لا يمكن أن تستغنى عنها الدول العظمى لتطوير دفاعها وتعمل دائماً على توفير كميات مناسبة منها كونها مخزوناً استراتيجياً لتطوير معدات القتال تتمثل في القصدير والمنجنيز والكروم والتوتيا والميكا والحديد والزنابق والنحاس والألمونيوم والجرافيت والفانديوم. وتسعى الدول الصناعية في الحصول على حاجتها من هذه المعادن من مواطن إنتاجها وتحاول احتكار مناجم إنتاجه.

أما على مستوى التصنيع؛ فإن مفتاح التقدم الاقتصادي والعسكري ارتبط ارتباطاً بالتقدم الصناعي. ويمكن استخدام قدرة الدولة صناعياً كأحد المقاييس الهامة لقوة الدولة سياسياً. وخير دليل على ذلك أن القوى العظمى الكبرى «مجموعة السبعة الكبار» هي الدول الصناعية العظمى في العصر الحديث. فتقدم الصناعة يؤدي إلى تقدم كل وسائل الإنتاج وزيادة الدخل وتحسن مستوى المعيشة في الدولة. ومن هنا ازداد تأثير الدول الصناعية وأصبحت من القوى السياسية العظمى المؤثرة في إحداث وخريطة العالم السياسية.

ومن وجهة النظر الاستراتيجية. فإن هناك مجموعة من الصناعات الاستراتيجية مثل صناعة صهر المعادن، والصناعات الثقيلة المتمثلة في صناعة تشكيل المعادن،

وصناعة السفن «مجمعات الحديد والصلب والترسانات البحرية»، والصناعات الهندسية «قاطرات وسيارات وطائرات» والصناعات الكيماوية، والصناعات الكهربائية، وصناعة المنسوجات، والصناعات الغذائية. وكل هذه الصناعات من الممكن توجيهها كلية لتخدم العمليات والإنتاج العسكرى المطور.

ويجب أن تتوطن المناطق الصناعية في مكان آمن، وأن تكون بعيدة عن متناول وسائل الحرب المعادية. وهي لا تتركز في المناطق الساحلية حتى لا تكون في متناول ضرب الأساطيل والغواصات البحرية. ولذا لاحظنا أن روسيا قد ركزت صناعاتها الثقيلة فيما وراء جبال الأورال لتحقيق أقصى درجات الأمان. ولكن مع تطور أساليب الحرب الحديثة وشدة فعالية أسلحة التدمير التي تدار من بعد زاد من إمكانية تدمير المناطق الصناعية عن طريق الطيران الحربى، أو عن طريق الصواريخ أرض أرض التي تطلق من قواعد ثابتة، أو من الأساطيل العسكرية، ويكون تأثيرها دقيقاً بصورة فائقة. ولعل حربى الخليج ضد العراق. وحرب حلف شمال الأطلسي NATO ضد المواقع الصناعية ومشروعات البنية الأساسية والمطارات فى صربيا والجبل الأسود، خير دليل على مدى تقدم وسائل الحرب الحديثة فى تدمير قوة الدولة متمثلة فى صناعاتها. وستكون الصورة أكثر تدميراً إذا ما استخدمت الأسلحة النووية، والتي لم تستخدم إلا مرتين أثناء الحرب العالمية الثانية فقط.

ولا تكتمل صورة الدولة إلا بدراسة الرابط الهام بين عناصرها. فطرق المواصلات تعد اهم عنصر يؤدي إلى تماسك أجزاء الدولة. فهى تربط مراكز الإنتاج الزراعى والتعدينى والصناعى بمنطقة القلب أو النواة "Core".

ولكى تكون الإدارة ذات كفاءة فى قيادة الدولة وإدارة شئونها وتوزيع الرخاء والمرافق والخدمات الحكومية وحل مشكلات السكان يجب أن تكون لديها شبكة جيدة من طرق النقل والمواصلات السريعة. فوسائل المواصلات السريعة تذيب الفوارق بين أجزاء الدولة وتجعل يد الدولة فوق كل الأحداث فى كافة الأرجاء. وتساعد المنظمة السياسية فى الدولة لفرض نفوذها الإدارى القومى على كل أراضى الدولة التى تقع ضمن حدودها السياسية. ويجب على دارسى الجغرافية السياسية أن يهتموا

بدراسة التركيب الاقتصادى للدولة التى يدرسونها ويؤكدون هذه الدراسة بإيضاح
اهمية طرق ربط أرجاء الدولة ووسائلها بمنطقة القلب الإدارى.

خامساً: تحليل قوة الدولة

بذل المتخصصون فى الجغرافية السياسية وعلماء السياسة والعسكريون وكبار
موظفى وزارات الخارجية وغيرهم جهوداً مضنية لتعريف مضمون قوة "Power" كثير
من الدولة وتحليلها (إن لم تكن كل دول العالم). وليس هذا الجهد المبذول كنوع
من التدريب للطلاب المهتمين بالشئون السياسية فحسب، بل لأن إيضاح تباين
مضمون القوة بين الدول من الأمور التى تهتم بها دراسة الجغرافية السياسية. فهناك
ضرورة لترتيب أقوى ١٢ دولة من دول العالم أو أكثر من ذلك بقليل فيما قبل عام
١٩٥٠. وما تزال - حتى هذه اللحظة وبدون شك - هناك رغبة بين الكثيرين من
القادة العسكريين والسياسة لمعرفة مدى الضعف والقوة لأعداء الدولة وحلفائها.

ومنذ الحرب العالمية الثانية تغيرت عدة مفاهيم للقوة. وإن نمط التغير الاقتصادى
والعسكرى والتكنولوجى قد تغير بصورة كبيرة بين الدول. من هنا فإن تقييم مدلول
القوة أصبح من الأمور الصعبة وأصبح قياسه من الأمور القابلة للجدل.

ولكن الحقيقة التى يدركها الجميع - ومن خلال إطلاعه على الصحف
اليومية ومتابعة الأحداث العالمية الحالية. إن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر القوة
العظمى الأوحده بعد انهيار الاتحاد السوفيتى فى بداية التسعينيات من القرن العشرين.
ولكن لا أحد ينكر مدى القوة العسكرية لروسيا الاتحادية رغم ضعف اقتصادياتها
نتيجة لتحويلها الى الاقتصاد الحرج، ومن ثم تأتى ثانية أقوى دولة.

ويلى القوتين العظمتين "Superpowers" ما بين ست إلى ثمانى دول من
الدول القوية. ويلى هذه المجموعة الكبرى من الدول بقية دول العالم، والتى ترتب
بصورة تعتمد على التخمين أكثر من اعتمادها على أسس دقيقة. حتى أن استخدام
أجهزة الكمبيوتر فى التخمين لم يعط ترتيباً فعلياً وواقعياً لمدى تفاوت القوة بين دول
العالم المتبقية. وإذا ما نجحنا فى وضع ترتيب فإنه سرعان ما يتغير ويصبح غير فعال

ويجب إعادة الحسابات مرة أخرى لتغيير عدة أمور تدخل في حساب القوة.

من هنا فإن دراستنا في هذا المجال معتمدة على استقصاء ومؤشرات من الصعب تحليلها أو إعطاءها قيم تتفق وحجمها الحقيقي. ولكن هناك محاولة لمعرفة كوامن القوة والضعف في الدولة. ومؤشرات القوة التي سوف تركز الدراسة عليها هي: رقعة الدولة - السكان - الحكومة - اقتصاديات الدولة - نظم الربط - القوى العسكرية - والعلاقات الخارجية، وعناصر التحديد ليست من الضروري أن تكون مرتبة وفقاً لتسلسل أهميتها، بل كلها متداخلة في بعضها البعض. وفيما يلي عرض موجز لكل مؤشر:

١ - رقعة الدولة :

فقد سبقت دراسة أهمية حجم ومساحة الدولة وشكلها. وقد استنتجت الدراسة أنه لا يوجد حجم أو شكل مثالي. ولكن عند قياس مقومات القوة لأية دولة مستقلة، فإن هذه العوامل من الممكن أن تكون ذات مغزى وأهمية. فإذا ما تساوت باقي المقومات الأخرى، فإن الدول كبيرة المساحة ترجح قيمتها بالعمق الاستراتيجي الهام جدا في حالة الحرب. فتستطيع أن تدافع عن نفسها من العمق. كما أن هذه المساحة تقدم فرصة تنوع الموارد الطبيعية وكثيراً من الإيجابيات. والدول صغيرة المساحة تكون أكثر تجانساً وتماسكاً ويسهل ربطها ومن ثم يسهل الدفاع عنها أكثر من الدول ذات الشكل المجزأ. ولكن الدول صغيرة المساحة قد لا تتوافر بها كثير من الموارد. وأن الدول كبيرة المساحة وذات الحدود السياسية الطويلة من الممكن أن تكون عرضة للهجوم من عدة اتجاهات.

والموقع الاستراتيجي عادة ما يكون قاصراً على بعض الدول ويحدد قيمته دول أخرى لها مصالح في هذا الموقع. وقد درس سابقاً بالتفصيل، ولكن يجب أن نشير بأن أهمية المواقع الاستراتيجية تتغير باستمرار بتغير الظروف السياسية والاقتصادية وغيرها. فدولة تطل على واجهة بحرية أو واجهتين أو أكثر من البحار تختلف أهميتها وقيمتها عن تلك الدول الحبيسة، أو تلك الدول العازلة Buffer states. وقد تقع دولة عند موقع هامش على حافة بحرية لفترة طويلة، ثم سرعان ما تتغير قيمتها

وتكون فى بؤرة الاهتمام الدولى لتغير الظروف الاقتصادية أو الرؤية الاستراتيجية للقوى العظمى. ألم يكن ميناء فالبا رايسو Valparaiso ميناء هاماً وذا موضع استراتيجى هام قبل حفر قناة بنما؟.

وحيث أغلقت قناة السويس فيما بين عامى ١٩٦٧، ١٩٧٤ فإن موانئ شرق أفريقيا وجنوبها اكتسبت أهمية جديدة ثم ضاعت منها قيمتها مرة أخرى مع إعادة فتح القناة. وكم من مئات الآلاف من الجنود قتلوا فى معارك عسكرية عند نقاط استراتيجية أما الآن فإن قيمتها الاستراتيجية قد ولت. من هنا فإنه يصعب التنبؤ بالدولة التى سوف تحتل موقعاً استراتيجياً فى المستقبل.

ونظراً لأن الموارد الطبيعية Natural Resources ذات أهمية بالغة، فإنها توضع على رأس القائمة عند المحللين. ولكن ما الموارد الطبيعية؟ فمئذ أكثر من خمسين عاماً مضت كان «التيتانيوم Titanium» يستخدم كأحد مواد الطلاء. أما الآن فإن البحث عنه استدعى فتح المناجم القديمة وإعادة استغلال مخلفاتها. فقد زادت قيمة هذا المعدن بعد أن أصبح أحد مكونات تصنيع الطائرات النفاثة. وكانت الحروب تقوم بين الدول من أجل النترات الطبيعية Natural Nitrates أما الآن فإن عدداً قليلاً من البشر يعرفون اسم هذه المادة. والموارد الطبيعية يجب أن تضم التربة والمياه والإنتاج الغابى والمعدنى والعديد من عناصر البيئة الطبيعية التى يصعب تعويضها. ويجب أن نعرف أين توجد هذه الموارد؟ هل هى بالقرب من الحدود السياسية أو فى أعماق الدولة؟ هل فى منطقة مأمولة أم فى منطقة منعزلة؟ وما قيمتها الاقتصادية وجدوى استغلالها. وما الموارد التى تحتاجها الدولة، ولكن لا تمتلكها؟ هل يمكن جلبها من دول صديقة؟ وما تكلفتها؟ وما البديل فى حالة نضوبها أو صعوبة الحصول عليها؟

٢- السكان :

فى أى دراسة لمقومات القوة للدولة فإنه من المفروض أن تكون الدول ذات الحجم السكانى الكبير ذات مميزات واضحة أكثر من الدول صغيرة الحجم السكانى.

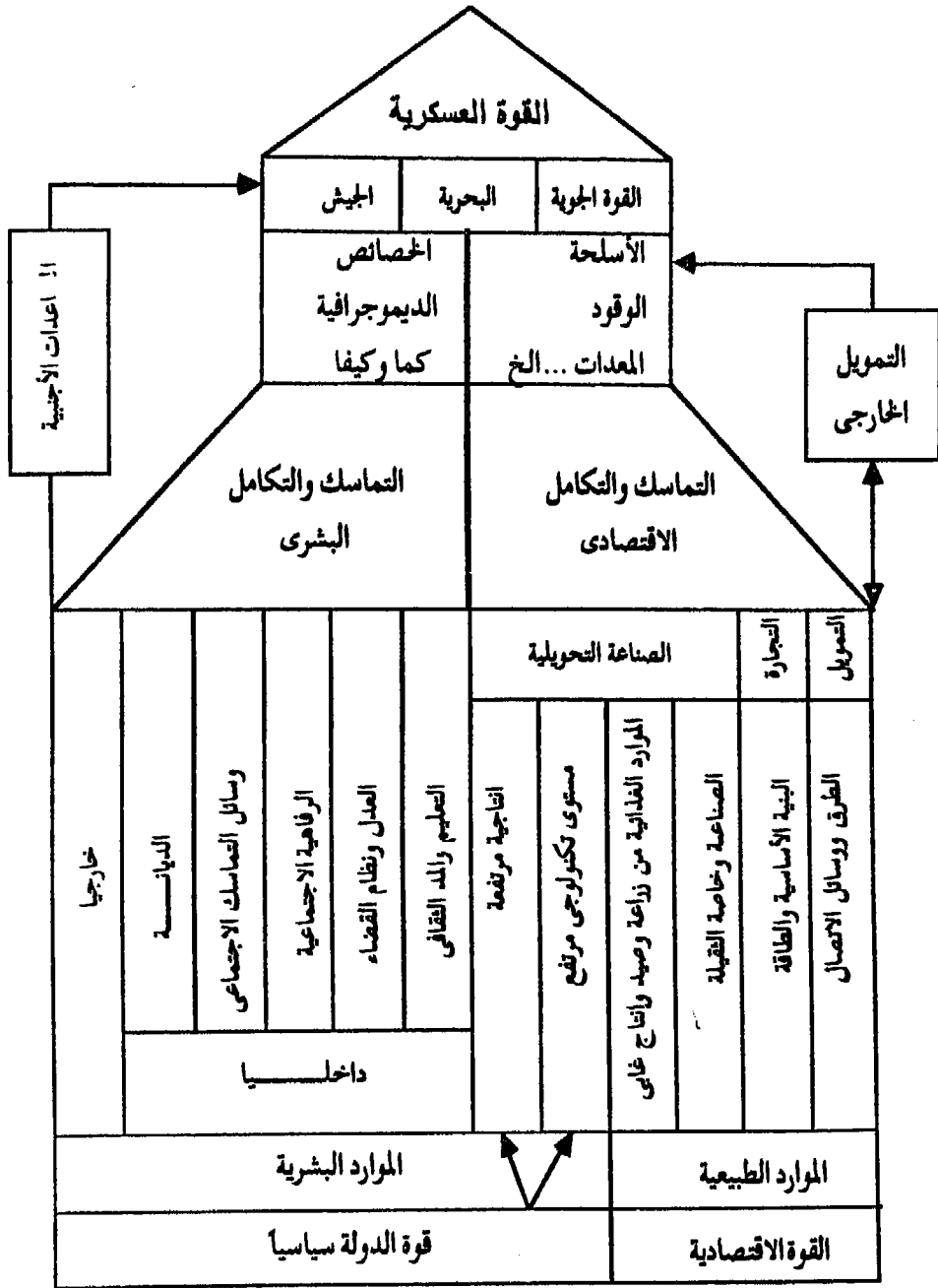
فإذا ما تساوت باقى عناصر تكوين الدولة. وهذا أمر مستحيل تحقيقه. ومن الصعب تقييم دور السكان كعامل مؤثر فى قوة الدولة لأن أهميته من الممكن أن تزدهر أو تتلاشى بسبب بعض العوامل الأخرى المؤثرة فى توزيعه فوق رقعة الأرض أو بسبب نمو السكان أو تناقصه.

والخصائص النوعية للسكان من الممكن أن تكون ذات أهمية أكثر من الخصائص الكمية. فكما سبق فإن دراسة التركيب العمرى والنوعى هام فى تحديد القدرة العسكرية لمن يحمل السلاح، ونسبة النشطين إقتصادياً، ونسبة المستهلكين للسلع فى المجتمع. كما أن نوع الهجرة سواء الدولية أو بين أرجاء الدولة. ومستوى التعليم والمستوى الصحى وتوزيع الثروة ودرجة الفقر كلها نقاط هامة يجب أن توضع فى الاعتبار عند قياس قوة الدولة.

وتلعب عناصر مثل التركيب السلالى واللغوى والدينى دوراً واضحاً فى تقوية الدولة أو إضعافها. وهذا يتوقف على عوامل نفسية داخل الأفراد، ومدى تجانس الأفراد مع بعضهم. كما أن دراسة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للسكان من الممكن أن تكون ذات أهمية كبيرة لقوة الدولة. فالحراك الاجتماعى Social Mobility فى المجتمع، ونظام إيجار الأرض وتوزيع الأراضى الزراعية الجيدة وحجم طبقة الصفوة فى المجتمع. ومستوى الدخل للطبقة الوسطى فى الدولة كلها أمور تفيد فى حالة تعبئة موارد الدولة عند الحاجة. كما أن نظام الدولة الاشتراكى أو الرأسمالى أو غيره من المقومات من الممكن أن تعمل على تقوية قوة سكان الدولة وتقويضهم.

٣- الحكومة

تلعب الحكومة دوراً متغيراً فى قوة الدولة. ولكن دورها يصعب حصره. ويمكن تقييم دور الحكومة من خلال مدى كفاءتها فى فرض سيطرتها وتنفيذ القانون على كل أجزاء الدولة. وهل الحكومة من عامة الشعب؟ وهل هناك أحزاب معارضة لنظام الحكم؟ ومدى قوة أحزاب المعارضة؟ هل الأحزاب يمكن أن تتحالف أم أن وجهات النظر السياسية فيما بينها متباعدة؟ هل النظام الإدارى والموظفون من الشرفاء



شكل رقم ٢-١١

نموذج عن تحليل مقومات قوة الدولة «مثال عن مصر»

Martin Glassner, Political Geograaphy. p. 124.

معدل عن:

وذوى الكفاءة؟ أما أن الحكومة ضعيفة فى إدارة أمور الدولة بالعدل وأن المحسوبة والرشوة هى التى تسود نظام الإدارة؟

كما أن حكومة الدولة قد نجر البلاد إلى مشكلات نتيجة تبنيتها أفكارا استعمارية توسعية. مما يؤدى إلى اشتعال حروب كان من الممكن إلا تدخلها الدولة. وتستنزف مواردها بسبب رغبات طائشة لحاكمها. وهل ستاكم الدولة ناضج سياسياً ويبدل كل الجهد من أجل رخاء ورفاهية شعبه. ويوطد علاقات الحب بين كثير من قادة الدول مما يزيد من الحلفاء الذين يقدمون العون لدولته فى وقت الشدة. لذا فإن زعامة قد تقوى الدولة أو تؤدى إلى تدمير مواردها.

٤ - اقتصاديات الدولة :

من المعروف أن الثروة فى عالمنا صورة للقوة أو قد تكون وسيلة تؤدى الى القوة. من هنا فإن الدول الغنية تصبح مثل الدول كثيفة السكان والموارد تكون لها مميزات وحظ أكبر من تلك التى لا تمتلك ثروة. ولكن ثروة الدولة تتجاوز تملكها لموارد معينة وارتفاع متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى GNP . فإن الدول القوية اقتصادياً تكون ذات قدرة إنتاجية كبيرة. ولا يقتصر الإنتاج على تلبية حاجة أفرادها فحسب بل يجب أن يكون لها فائض ضخم للتصدير إلى الخارج فى وقت السلم ويغضى حاجة البلاد لفترة طويلة أثناء الحرب. والدولة القوية تتسم بتقدمها العلمى والتكنولوجى المطور. وتنفق بصورة جيدة على البحوث والعلم. كما أن صناعاتها يكون لها الدور الرئيسى فى التنمية وجذب رؤوس الأموال والعمالة إليها. والقوى العاملة بها ماهرة. والإدارة ذكية وتستخدم أحدث أساليب الإنتاج. وللزراعة دورها الفعال فى سد حاجة الغذاء إن لم يكن بها فائض للتصدير. كما أن كافة وسائل الإنتاج يجب أن تعمل وفقاً لسياسة العرض والطلب وبحرية تامة فى سوق حرة.

وجدير بالذكر أن شبكة البنوك والتأمينات تعمل على نطاق واسع لتنظيم حركة المال بين منشآت الدولة. وبين الدولة والدول الأخرى وتدعم المشاريع الاستثمارية وتؤثر بصورة كبيرة على تسعير المنتجات المحلية. ولكن كيف نقيس قيمة قوتها المؤثرة وحجمها؟ يمكن أن يقاس بحجم البضائع المنتجة والخدمات المقدمة وحجم فائض

ميزان المدفوعات وحجم رصيد الدولة الاستراتيجى من الذهب، والذي يؤثر على قيمة عملة الدولة.

٥- نظم الربط والاتصال : Circulation

تعد طرق النقل والمواصلات وحركة البضائع والسكان والأفكار من الأسس الهامة المؤثرة فى قوة المجتمع الحديث. ولا يمكن لأى دولة حديثة أن تنهض دون أن يكون لديها نظام اتصال قوى Good Circulation System ليربط كافة أرجاء الدولة. وكل عناصر السكان وكل الوحدات المحلية وكل قطاعات الإنتاج. وكل ما سبق مع دول أخرى. من هنا فإن وسائل النقل والمواصلات قد تؤدى إلى تقوية الدولة أو إلى إضعافها. وليست العبرة بوجود هذا المرفأ الحيوى كأحد مشروعات البنية الأساس Infra structure ولكن الأسم أن تكون به كوادر فنية لتشغيله وصيانته.

تضم نظم الاتصال الهاتف، والإذاعة، والتليفزيون، والبريد، وكل وسائل النقل البرى، والبحرى والجوى. ووسائل الاتصال الأخرى من صحافة وإعلام. ويجب أن يرتبط السكان بوسائل إعلامهم، وخاصة فى وقت الأزمات والشدة.

٦- القوى العسكرية.

كل العوامل السابق ذكرها ما هى إلا عناصر من الممكن ترجمتها إلى قوة عسكرية Military strength. وكل مكان القوة تحسب بقياس كل صغيرة وكبيرة من المعدات العسكرية M. Hardware. وكل فرد يلبس الزى العسكرى. ولكن هل هذا يكفى؟ هل من الممكن أن تقول إن دولة ذات جيش كبير مجهز بعتاد حديث تكون أكثر قوة من دولة أخرى صغيرة فقيرة فى عتادها العسكرى؟ بالطبع فإن الإجابة هنا لا. فلكى نقيس مدى كفاءة القوة العسكرية يجب ان نضع فى الاعتبار عدة أمور هامة مثل المستوى التعليمى والمهارى للأفراد Troops ومدى كفاءة القيادة العسكرية ومدى قدرة هذه الجيوش على ممارسة القتال. ومدى شجاعتها وارتفاع معنوياتها.

ويدعم القدرة العسكرية للدولة وجود قواعد للأسلحة الاستراتيجية فى أماكن

بعيدة عن متناول مدى الأسلحة المعادية «قلت القيمة حالياً مع وجود الصواريخ عابرة القارات» وأن تكون هناك موارد مالية كافية لتوفير سبل الدفاع الحديث عنها. وتدعيم القوة العسكرية يدعها أيضاً التحالف مع الأصدقاء لصد العدوان عند الضرورة وتكوين درع قوى لكل دولة. ولكن هل من المضمون أن يكون التحالف عاملاً مستديماً في ظل ظروف دولية متغيرة؟

٧- العلاقات الخارجية :

نحن نعيش في عالم لا قوة فيه لدولة تعيش منعزلة مثل ألبانيا أو ميانمار، واللذان تعيشان على مواردهما الطبيعية والبشرية فقط. فاليوم كل فرد وكل دولة معتمدة على الآخر بشكل أو بآخر. حتى تلك الدول التي لم تدخل في تحالفات عسكرية إلا أنها تلجأ إلي أصدقاء مقربين لمساندتهم في وقت الحروب. فالدول التي لها دور عالمي سياسى وأقتصادى وحضارى يصبح لديها قدرة كبيرة على التغلب على المشكلات التي تواجه تقوية دفاعها القومى وتجارتها الخارجية ورباطها الثقافى والحضارى. كما أن مساهمة الدولة فى منظمات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الإقليمية والعالمية الأخرى يزيد من قيمتها وتعاطف الدول الأخرى معها، وخاصة فى حالة أية حدوث مخاطر تحيط بها سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً. فالحبة والاحترام أصبحت أقصر الاساليب لكسب ود باقى الدول فى عالمنا المعاصر.

التحليل :

إنه من الصعب أن نعرف أو نقيس مدلول القوة على كافة دول العالم. فإذا كان الأمر سهلاً لتقييم مجموعة الدول العظمى Superpowers وبعض الدول المتقدمة الكبرى. أو بمعنى أدق يمكن أن تتضح صورة التقييم على مجموعة السبعة الكبار "G.7". ولكن يستحيل أن ينطبق مدلول تقييم القوة على باقى دول العالم الأخرى. إذن كيف نرتب دولاً صغيرة قوية جداً اقتصادية مثل : سنغافورة أو سويسرا التي تتوافر بها كل مقومات القوة الاقتصادية، ولكنها ضعيفة عسكرياً. وكيف نرتب الكيان الإسرائيلى الذى اغتصب الأرض الفلسطينية وتعضدت قوته بالدعم الأمريكى وأموال

الصهيونية العالمية، وأصبحت تمتلك سلاحاً نووياً. وكيف نرتب قوة اليابان أو كوريا أو أوكرانيا. وإذا ما وضعنا كوبا في الحسبان فإن قوتها العسكرية لا تتوافق وشح الفقر الشديد وضعف بنيانها الاقصادى. وهل أفغانستان أفقر دول العالم أو بالمثل فيتنام، استطاعا قهر أكبر قوتين عسكريتين فى العالم، فانسحبت الولايات المتحدة من فيتنام بعد فشل عسكري شهد به العالم. وخرجت القوات السوفيتية من أفغانستان. وكانت آخر مسمار فى نعش الاتحاد السوفيتى، والذى تفرقت دولته بعد ذلك. وهل الهند ومستوى دخل الفرد بها لا يزيد عن ٣٤٠ دولار سنوياً، والتي نجحت فى امتلاك السلاح النووى. قوية فعلياً. أما دولة العراق قبل حرب الخليج عام ١٩٩١ اعتبرها بعض الخبراء أنها تمتلك رابع أكبر جيش فى العالم ومسلحة بأسلحة متقدمة وذى عزيمة وخبرة قتالية عالية، اضطرت للطرد من الكويت وتحطمت قواها العسكرية ولم تعد لديه القدرة على حماية سمائه من الطيران الأمريكى والبريطانى الذى يقوم برحلات استكشافية يومية طوال أعوام ١٩٩٨، ١٩٩٩ وحتى هذه اللحظة. ونيجيريا ذات الموارد البترولية والمواد الخام الكبيرة. لماذا لا تعد من أكبر القوى فى أفريقيا. وإيران التى انفقت مليارات الدولارات على التسليح لتصبح قوتها لا مثيل لها فى الشرق الاوسط. كل هذه الاسلحة لم تنجح فى تثبيت جلوس الشاه على عرشه، بل أنها لم تنجح فى رد الهجوم العراقى عليها. وفى حالة مصر، فإنها فى الستينيات كانت من أكبر قوى بلدان عدم الانحياز. ومع انتعاش اقتصادى واضح خرجت بعض جيوشها لدعم قوى التحرر فى كثير من الدول. لقيت هزيمة كبيرة وخسرت ٦٪ من أراضيها فى سيناء فى عام ١٩٦٧. وعلى النقيض فى عام ١٩٧٣ ومع إنخفاض حاد فى مستوى الدخل وخزائن شبه خاوية التى استطاعت أن تقهر الجيش الإسرائيلى المسلح بأرقى انواع الأسلحة وعبرت جيوشها عائق قناة السويس المائى وخط بارليف الحصين.

أما الدول التى لا تمتلك قوة عسكرية، ولكن اقتصادها جيد فتمثلها اليابان (متوسط نصيب الفرد من الدخل ٣٩ ألف دولار) تأتي كأكبر قوة اقتصادية عالمية ولكن يعيب قوتها الضعف الواضع فى اقتصاديها. فهى دولة بلا موارد، وتعتمد على

استيراد غالبية مواردها من الخارج (فهى تستورد الغذاء والوقود والمواد الخام) وتعتمد كلية على تصدير منتجاتها الصناعية. من يصدق اليوم، ونحن فى بداية الألفية الثالثة أن يصبح الاقتصاد اليابانى بهذه الصورة من الضعف قياساً بالأمريكى حتى أنه أصبح مثيراً للسخرية والتساؤل هل اليابان مارد بأقدام من طين؟ Is Japan a giant with feet of clay?

وتعد سويسرا إحدى القوى الاقتصادية العظمى ومتوسط نصيب الفرد من الناتج القومى (٤١ الف دولار سنويا عام ١٩٩٨) وتعتمد أساساً على النشاط البنكى والسياحة. ولا تمتلك نفس البنيان الصناعى اليابانى ولا تمتلك جيشاً. وألمانيا الموحدة حالياً هل هى أقوى أم أضعف منها قبل التوحيد. وهل لها دور فى المنظمات الدولية مثل: فرنسا أو بريطانيا أم أنها ما تزال تعيش منفردة (يبدو أن الصورة سوف تتغير فقد ساهمت بعض وحدات من جيشها مع الناتو لصرب الصرب فى شهر أبريل ١٩٩٩ وهى أول مشاركة دولية منذ الحرب العالمية الثانية)

ومنظمة «الدول المصدرة للنفط (OPEC) الأوبك Organization of the Petroleum Exporting countries) والتي حققت أموالاً طائلة وارتفعت مستويات الدخل لغالبية دولها خاصة فى السبعينيات هل دولة من دولها تعد إحدى القوى العظمى الاقتصادية او العسكرية؟

وأخيراً من كان يتوقع أن يهوى الاتحاد السوفيتى وينهار بهذه الصورة السريعة. فبعد أن كان يوماً ثانياً أكبر قوى عظمى فى العالم «أين قواه اليوم؟ وما ترتيب روسيا حالياً بين دول العالم، وهى عاجزة عن دفع رواتب أفراد جيشها أو تصرف على علمائها أو تصرف على برنامجها النووى أو البرنامج الفضائى وأين هو حلف وارسو؟ ودولة؟ التى انفرط عقدها وانضمت دولة واحدة تلو الأخرى إلى حلف شمال الأطلنطى.

نعتقد أنه من الأفضل أن نترك الحديث عن ترتيب الدول من حيث القوة وأن نتحدث عن تأثير الدول على غيرها من الدول. أو ما يعرف بحجم الدولة دولياً أو

تأثيريا. وهذا أمر بالطبع أقل جغرافياً. وهو أيضا متغير بتغير ظروف الدولة والظروف العالمية. بإيجاز تنتقل كرة القوة بين أقدام الدول، ولا تثبت فأين القوى العظمى فى بداية القرن العشرين. وأين دول الإمبراطورية العظمى التى سادت فى الماضى؟ وما الدول العظمى مستقبلا.؟ الإجابة بسهولة جدا هى : لا نعرف؟؟..

مراجع الفصل الثاني

- (1) Hartshorne R. (1950) "The Functional Approach in Political Geography" **Annals of the Association of American Geographers**, vol. 40 pp. 95-130.
- (2) Hartshorne, R. (1968) "Morphology of the State Area : Significance for the State" , pp. 27-32 in : Fisher. C.A. (Ed.) **Essays in Political Geography**. London. Methuen & co.
- (3) Carison, L. (1971) **Gegraphy and World Politics**, Indian reprint of the original American edition. Dehra Dun. Palit & Datt. P. 26.
- (4) Weigert, H. W. et al. (1975) **Principles of political Geography**. New York. Appleton-Century-Crofts. Inc.
- (5) Pounds. N.J.G. (1972) **Political Geography**; New york. McGraw-Hill. P. 64.
- (6) Bradshaw, P.G. (1971) "**Geography and International Politics : An Attempt at Synthesis**", Ph. D. these accepted by the University of Southampton (UK) P. 32.
- (7) Muir. R. (1975) **Modern Political Geography**, London., p. 52.
- (8) Robinson. E.A.G. (Ed.) (1960) . **Economic Consequences of the size of Nations**. London. Macmillan. P. 17.
- (9) Weigert, H.. W. et . al. **op. cit.** p. 44.
- (10) Haggett, P. R. J. Chorley, and D. R. Stoddart (1965) . "Scale Standards in Geographical Research : A New Method of Area Magnitue" **Nature**, vol. 205 pp. 844 - 847.

- (11) Alexander, L. M. (1963) . **World Political Patterns**, second edition, Chicago, Rand McNally & Co. P. 40.
- (12) Pounds, N.J. (1972) **op - cit**. P. 72.
- (13) Cole, J.P. (1964) "**The Study of Major and Minor Civil Divisions in Political geography**", Paper Presented at 20th I.G.U. Congress.
- (14) Boyce, R.R. and W.A.V. Clark (1964) . "The Concept of Shape in Geography" **Geographical Review**, vol. 54 pp. 561-572.
- (15) Cole, J. P. and C.A.M. King (1968) **Quantitative Geography**, London.
- (16) Whittlesey . D. (1935). "The Impres of Effective Central Authority on the Landscape " **Anal of the Association of American Geographers**. vol. 25 pp. 85-97.
- (17) Wolfe. R.I., (1963). **Trnportation and Politics**. Princeton (N. J.) D. Von Nostrand & Co.
- (18) Dikshit, R. D., (1982) **Political Geography**, Tata Mc.
- (19) Birch, A.H. (1989) **Nationalism and National Integration**, Routledge, New York,
- (20) Glassner, M. (1993) **Political Geography**, John Wiley.

الفصل الثالث مناطق النواة وعواصم الدول

أولاً : منطقة النواة.

١- مفهوم منطقة النواة.

٢- بعض حالات الدراسة (فرنسا - سويسرا - بريطانيا - روسيا - الصين - تركيا - إيطاليا - العالم الجديد).

ثانياً : العواصم :

١- أنواع العواصم.

التصنيف المورفولوجي للعواصم.

٢- العوامل المؤثرة في تطور العاصمة.

٣- العواصم الفيدرالية.

- مراجع الفصل الثالث

مناطق النواة والعواصم

أولاً : مناطق النواة Core - Areas

تنمو الدولة وتوسع رقعتها من منطقة يتركز بها السكان وتتوافر بها كل مقومات التركيز، وهي منطقة القلب. ويمكن تعريف منطقة النواة بأنها إقليم يتميز بنشاط اقتصادى مميز، ويضم بين جنباته مدنا وقرى تضم أعداداً كبيرة من السكان. ولكل دولة منطقة نواة مميزة وواضحة.

ويمكن تقسيم الدول إلي فئتين إحداهما: الدول التي سمت لتصل إلى حالتها الحالية ببطء وعلى مدى فترة زمنية طويلة بدءاً من منطقة رئيسية كنواة، وتلك الدول التي نشأت فى إطار محدد سلفاً.

والأخرى. تلك الدول التي نشأت بشكل فجائى أو انفصالى عن دولة أخرى. (مثل الأردن ، وأرمينيا وأذربيجان وباكستان وكرواتيا وغيرهم. ويمكن أن نؤكد أنه لا توجد دولة لم تنمو حول منطقة قلب أو نواة. ولا يوجد تكوين سياسى قائم إلى الآن، ولا يمكن اكتشاف أصله أو منطقة بدايته الجغرافية. وتظل الحقيقة قائمة بأنه مهما كانت حالة التطور التي وصلت إليها الدول من توسع متأثر بالقوى التي انشأت القومية المعاصرة، فإن معظم دول العالم القديم نمت من خلال عملية نمو التحامى accretion بدءاً من منطقة صغيرة وسرعان ما تتوسع، بضم المناطق الأخرى المجاورة لها. ومفهوم المنطقة الرئيسية Core-Area، والتي تبلورت حولها أو نشأت فيها الدولة يجب أن تكون لها جذور ساقية.

وهناك إتفاق عام يؤكد أن أول من أقر بمثل هذا المبدأ فى الجغرافيا السياسية المعاصرة هو فريدريك راتزل Friedrich Ratzel (أول مؤيدى مفهوم الدولة ككائن حي) عام (١٨٩٧)، حيث أوضح أن الدول خلايا مساحية صغيرة. ويزداد حجمها تدريجياً كلما ضمت مساحات أكثر وتزايد سكانها

تدرجيا بسبب النمو الطبيعي، وياحتواء المجتمعات الصغيرة المجاورة لها. أما في كتابات الجغرافيا السياسية المعاصرة، فإن الجغرافي الأمريكي ويتلسي Whittlesey قد تبنى مجددا فكرة نواة الدولة. ومن ثم أصبح مصدر إلهام للعديد من الجغرافيين السياسيين بل وعلماء السياسة أيضا. الذين استخدموا هذا المفهوم بصورة مختلفة في دراساتهم المتعلقة ببناء الدولة.

وفي الدراسة التي أعدها دويتش Deutsh لتحليل نمو الأمم من خلال تصميمه لنموذج عن التكامل الاجتماعي والسياسي للدولة. لاحظ أن السمة الرئيسية في هذه العملية هي وجود منطقة نواه تتميز بخصوبة ثروتها بما يسمح بإنتاج زراعي وفير مع وجود فائض غذائي يكفي لسد رمق أعداد إضافية من السكان غير الزراعيين. وأن هذه المنطقة تتمتع بملامح طبيعية حصينة تسهل له عمليات الدفاع وصد هجوم المعتدين والغزاة. كما تقع في موقع هام وتشرف على طرق النقل الرئيسية.^(٢) وقد وصف ويتلسي تلك المنطقة بأنها جزء من الدولة يحتوى على عدد ضخم من السكان، ويتصل بالمناطق المجاورة بطرق جيدة، وكما أوضح دويتش أن كثافة السكان المرتفعة تجعل منطقة النواة بمثابة القلب للمنطقة. وأن هذه الكثافة تكون نتاجاً لخصائص موقع يشرف على طرق النقل، بالإضافة إلى وظيفتها الزراعية.

والشرط الأساسي لظهور المنطقة الرئيسية Core-Area هو انتقال الزراعة من النمط المعاشي إلى نظام الفائض والتبادل، وتطور عملية التكامل بينهما لتضمن نمو المدن والمراكز التجارية والصناعية المتخصصة وإنشاء شبكات طرق نقل تربط بين المراكز الحضرية بأرض ظهيرها، Hinterland. وترتبط المدن المختلفة بالعاصمة التي تقع في منطقة النواه، والتي تمثل العصب الحساس The Nerve Centre للدولة.

ويساعد تمركز الوظائف (الأنشطة) التجارية والصناعية بالمدن على جعل المدن في مستوى معيشة أفضل بالمقارنة المناطق الريفية، وعندما يحس الأفراد

بالفروق في مستوى المعيشة يندفع بعض الأفراد للإقامة في المدن وتبدأ عملية هذه المراكز الحضرية واتساعها. فالفرد الذي يترك المجتمع الزراعي البسيط والأمن -نسبياً- إلى مجتمع آخر أوسع يواجه بقيم جديدة يجب عليه أن يسايرها. فاهتماماته تتعدى القرية والحقول المحيطة والمجتمع الصغير الزراعي إلى مجتمع أكبر وأوسع يعتمد على الصناعة والتجارة والخدمات وأكثر تحضراً. وعليه أن يساير حياته الجديدة باحتكاكه بنوعيات مختلفة من البشر تكسبه خبرة جديدة وعادات وتقاليد جديدة وسرعان ما تذوب بعض عاداته القديمة وتلاشى تماماً عند أبنائه وأحفاده ويزداد التحامهم وتماسكهم بالمجتمع.

والآراء السابقة لوتيلسي ودويتشي حول دور مناطق النواه في التطور التاريخي للدولة آراء صحيحة. وأن مفهوم منطقة النواه له قيمته عند تفسير نشأة الدولة وتطورها. وقد أشار هارتسهورن أن مناطق النواه تعد عاملاً هاماً رئيسياً في نمو وظهور الدولة المتكاملة وظهورها. إلا أن أمثلة كالولايات المتحدة والنرويج تبين أن الوحدة والتماسك يمكن الحصول عليهما دون وجود منطقة رئيسية محددة. ونفس الحال بالنسبة للنرويج، فإن مجموعة من الخلايا المتفرقة يجمعها البحر فقط، وفرت القاعدة الأساسية للوحدة القومية والدولة المعاصرة. أما الولايات المتحدة لاتوجد بها منطقة بعينها كانت منطقة انطلاق رئيسية، وإنما كانت مجموعة من المناطق اتحدت مع بعضها البعض في توازن لتوفر الأساس لإقامة الوحدة القومية^(٣).

وكما لاحظ هارتسهورن أن منطقة النواه ليست ضرورية وغير كافية لظهور أمة أو دولة. المهم هو ظهور فكرة الوحدة التي تقنع الأفراد في جميع المناطق بأنهم ينتمون إلى بعضهم البعض^(٤).

مفهوم منطقة النواة :

يعد مفهوم منطقة النواة Core-Area أحد أكثر المفاهيم المستخدمة في تفسير الدولة في أول مراحل تطورها Germinal. وقلما تم تعريف مفهوم منطقة النواة وتحديده. وهذا المفهوم تم استخدامه بصورة واسعة ليضم مناطق السيادة السياسية ومناطق سيادة الوعي القومي، بل وأحياناً لمناطق الريادة الاقتصادية في الدول المعنية.

ويعد ويتلسي Whittlesey أكبر المساهمين في تطوير هذا المفهوم. وعرف منطقة النواة على أنها المنطقة التي تتبلور حولها الدولة وأنها النواة التي تتبنى التكامل. وعلى نفس المنوال فقد وصفها بأنها أكثر أجزاء الدولة سكاناً.

وعرف الجغرافي البريطاني إيست East منطقة النواة Nuclear region على أنها المنطقة التي تقع حول العاصمة، وتضم السكان والموارد والقيادة السياسية الرئيسية^(٥).

بإيجاز: فقد استخدم مفهوم منطقة النواة. ليعبر عن معنيين مختلفين أحدهما متعلق برؤية القلب Core في محتوى معاصر كانت فيه منطقة النواة Core-Area جزءاً من الدولة ليس به أكبر عدد من السكان فحسب، بل وبه أكثر الموارد، وأنه يشكل محور شبكات النقل والاتصالات. ومن ثم ذهب البعض إلى وصف منطقة النواة بأنها منطقة القلب. وكل أطراف الدولة مرتبطة بها بشكل أو بآخر..

المعنى الآخر: لمفهوم منطقة النواة يُعبر عنه بالمصطلح التاريخي أو التطوري Genetic حيث إن المنطقة الرئيسية تعرف على أنها النواة التي نشأت منها وحولها الدولة من خلال عملية تدريجية للتوسع المساحي والالتحام accreion حتى وصلت فيه الدولة إلى مساحتها الحالية. ومع مرور الوقت ترابطت أجزاء الدولة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً من خلال مفاهيم مثل: الأرض الأم Motherland. أو الأرض الأب Fatherland.

ومعظم المناقشات التي دارت حول تحديد مفهوم واضح لمنطقة النواة أدت إلى زيادة التشويه واختلاط الأمور. وفي محاولة لإنهاء هذا التشويش في فهم المصطلح، قام أندرو برجارد Andrew Burghardt بنشر مقال عام ١٩٦٩ اقترح فيه منظوراً تطورياً (Chronological) لتفسير منطقة النواة على أنها: ذات توجه تاريخي Historically oriented أو منطقة النواة الرئيسية المعاصرة Contemporary Core-Areas

ومن منظور هذا الاتجاه التاريخي يمكن أن نلاحظ فئتين :

(أ) النواة Nuclear Core، تمثل مساحة صغيرة من الأرض نمت لتصبح دولة كبيرة من خلال ضم عدد أكبر من السكان والمساحة على فترات طويلة من الزمن.

(ب) المنطقة الرئيسية الأصلية Original core، تمثل منطقة كانت لها أهمية سياسية واقتصادية كبيرة، ولكن نظراً لظروف ما غير ملائمة لم تتمكن من الاستمرار في أداء الدور الرائد من البداية، ولهذا السبب فشلت في أن تكون نواة يتم حولها أو من خلالها ضم سكان وأراضي جديدة.

وهناك أيضاً نوع آخر من مناطق النواة وهي المعاصرة Contemporary Core، تمثل جزءاً من الدولة أصبح ذات كثافة سكانية، وقيمة اقتصادية جديدة. وقد كانت في الماضي خارج نطاق المعمور، ولكن اكتسبت سمات جديدة جعلتها إحدى بؤرات الهيمنة الاقتصادية والسياسية ومراكزها حالياً. يمثل هذه الحالة إقليم حوض نهر البو في شمال إيطاليا.

بعض حالات الدراسة عن منطقة النواة

١ - منطقة النواة في فرنسا:

كان يشار إلى فرنسا على أنها حالة كلاسيكية للدولة التي لها منطقة نواة core مميزة نمت حولها مناطق أخرى على فترات طويلة من الزمن أدت إلى ظهور الهيكل الحالي للدولة. وعلى مدى آلاف السنين تم تحديد منطقة

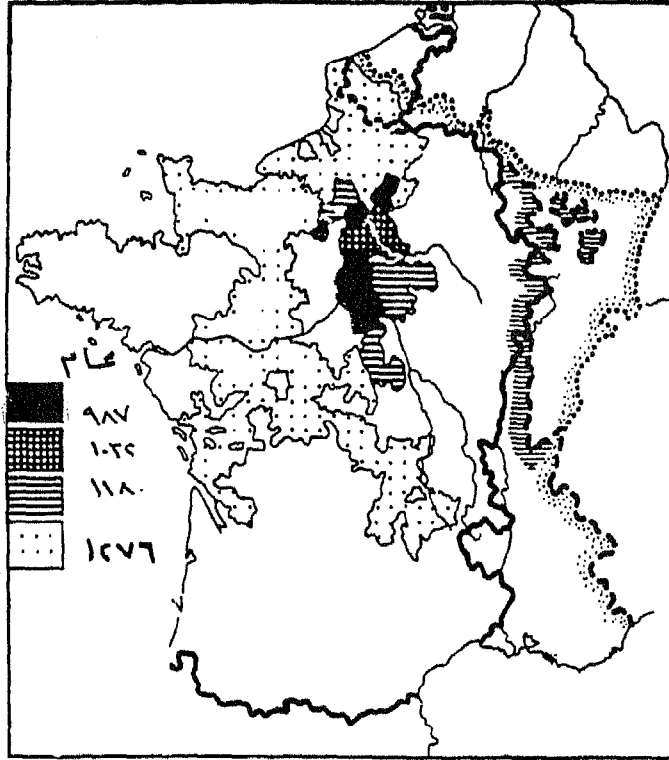
النواه الرئيسية في فرنسا على أنها منطقة باريس .

ففي عام ٨٤٣ ميلادية قسمت الإمبراطورية الكارولينجية Carolingion إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، والتي وانقسم كل جزء منها لاحقاً إلى إمارات صغيرة، وكانت وقتها السلطة الحقيقية حينئذ لمن يحكم أكثر عدداً من تلك الإمارات. من هذه الإمارات كانت منطقة باريس التي ازدادت قوتها بعد أن قاومت الغزو من الشمال. ونظراً لسيادتها على المنطقة، تم إعلان حاكمها باريس كاييه Capet ملكاً على فرنسا عام ٩٨٧. وفي الواقع فإن سلطة الملك لم تتعد حدود منطقته، ولكن كانت البداية في القرون التالية، والتي جعلت من باريس قلباً للدولة الفرنسية. (كما يظهر في الشكل ٣-١) .

وتحتل باريس مكاناً طبيعياً جيداً على ضفتي نهر السين Seine، وتبعد ١٥٠ كم عن البحر. وتقع أيضاً على الطريق ما بين رافدى نهري مارن وايز Oise & Marne. ويقال دائماً أن تاريخ فرنسا مكتوب في أنهارها: فسلطة الملوك الفرنسية تحركت أعلى النهر وأسفله، مما انعكس على المدنية. ولم يكن هناك أى احتمال لظهور الوحدة السياسية والثقافية لفرنسا: فالأنهار التي تقع إلى الجنوب من باريس كانت غير صالحة للملاحة، ولم تكن الوحدة الفرنسية حول منطقة باريس نتيجة لتحركات الأفراد خارج منطقة باريس حاملين معهم سلطان الملك. بل كانت الوحدة نتيجة لعدم رغبة السكان في استمرار الإقطاع والإقطاعيين وكانت بداية ظهور القيم الثقافية والدستورية الفرنسية في إقليم باريس.

٢- سويسرا Switzerland :

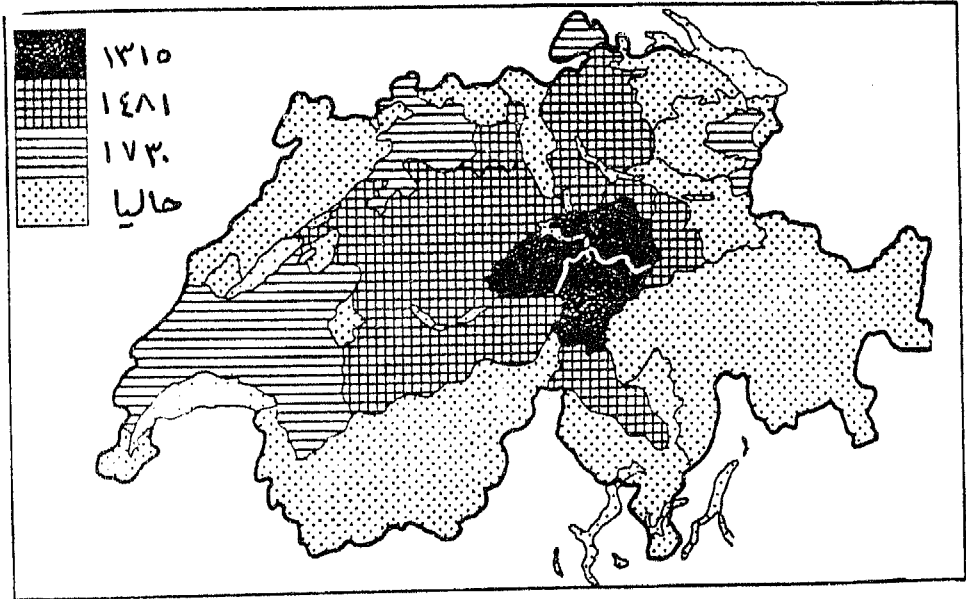
كانت منطقة النواة دائماً مكونة من أربعة كانتونات Cantons من الغابات، والتي يمر عبرها الطريق المنحدر المؤدى إلى ممر سانت جوثارد St Gothard الإستراتيجي. وفي هذه المنطقة بدأت حرب الاستقلال عن هايسبورج Hap Sburg، وهي أيضاً تشكل الموضوع الذي كانت تحدث



شكل رقم (٣-١)
منطقة النواة في فرنسا

فيه كل الأساطير البطولية للشعب السويسرى. وكما كتب تشارلز جيلياند Charles Gilliard فإن سويسرا هى هبة ممر سانت جوثارد تماماً. كما يقال إن مصر هبة النيل.

وكان افتتاح ممر جوثارد فى القرن الثالث عشر مصدر رخاء لأهالى المنطقة نظراً لتزيد حركة النقل والتجارة من خلاله، ويقال إن الحرية التى تم الدفاع عنها بالمنطقة حرية الربح Freedom to profit من التجارة التى كانت تمر عبر تلك المنطقة. وبمجرد تأسيس الكونفيدرالية السويسرية وبدأت تمارس صلاحيتها وسلطتها، حيث انجذب عدد من المجتمعات المجاورة الكونفيدرالية سعياً للحصول على منافع سياسية واقتصادية أكثر، ولم تعد الوديان المؤدية إلى الممر محوراً اقتصادياً أو منطقة للنواة المعاصرة لسويسرا. فقد انتقل هذا المحور إلى الهضبة السويسرية Swiss plateau حيث المكان أكثر ملائمة لظروف المدن والحياة المعاصرة. (انظر الشكل ٣ - ٢).

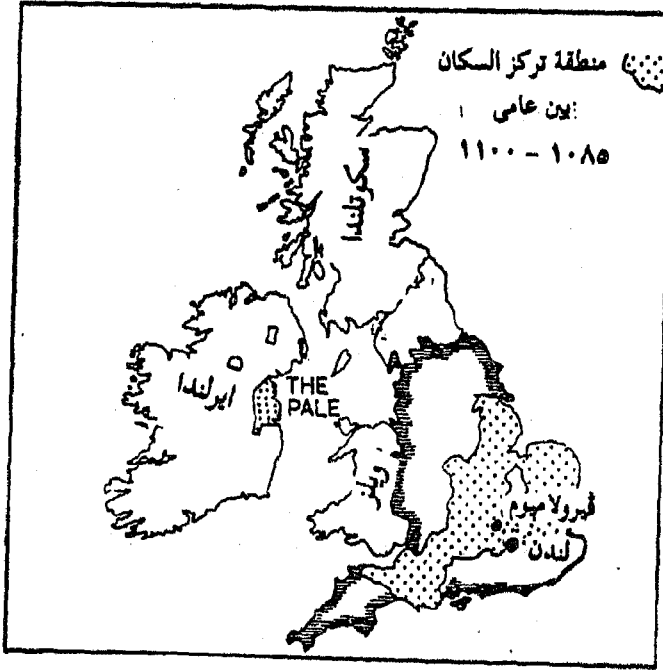


شكل رقم (٣-٢)
منطقة النواة فى سويسرا

٣- بريطانيا العظمى Great Britain :

بريطانيا الرومانية هي نفسها إنجلترا الحالية، وكان وادي نهر التيمز Thames هو منطقة النواة الرئيسية لها. وعلى الرغم من أن العاصمة كانت فيرولاميوم Verulamium، والتي تبعد ٣٠ كم عن لندن، إلا أن لندن ظلت أكبر المدن. وحين دمر الغزاة الأنجلوساكسون Anglo-Saxon وغزاة الشمال (الفايكنج) Norsemen معظم الوحدة السياسية لبريطانيا الرومانية، ومنطقة نواتها في وادي التيمز نتج عنه انقسامها إلى وحدتين، وهما وسكس ودنلو Wessex & Dnelaw. وسرعان ما أعاد أحد الملوك الأنجلو ساكسون توحيد الدولة وأعاد لمدينة لندن الأهمية باعتبارها منطقة نواه. ثم استكملت تلك العملية خلال الغزو النورماندي لإنجلترا حيث أصبحت لندن ذات أهمية وقيمة سياسية ودينية واقتصادية وتجارية للدولة، وأصبحت كل الطرق

تؤدي



شكل رقم (٣-٣)
منطقة النواة في بريطانيا

إلى لندن. وتم ضم المناطق المجاورة لإنجلترا إلى النظام السياسي المتمركز في لندن فتم غزو ويلز Wales في القرن الثالث عشر ولكن النظام الإنجليزي للحكومة المحلي امتد إليها في القرن السادس عشر. كذلك أسكتلندا Scotland ضمت إلى المملكة المتحدة عام ١٦٠٣، ولكن نظام الحكومة امتد إليها بعد قرن من ذلك التاريخ.

وعلى الرغم من خاصية موقع مدينة لندن مقارنة بالمناطق الأخرى إلا أن أسباب الغزو السابق ذكرها تفسر استمرار نمو الشعور القومي القوي في ويلز واسكتلندا وتمسكهم الشديد بها.

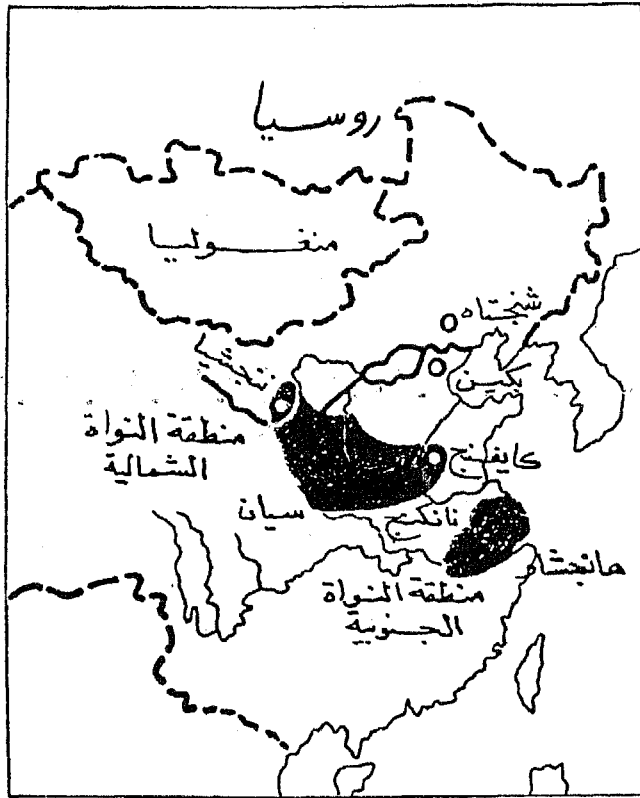
٤ - روسيا Russia :

موسكو، النظير الروسى للندن وباريس، تقع فى منطقة بين اعالي نهر الفولجا وأحد روافده أوكا Ora. فى هذه المنطقة من الغابات نشأت مدينة موسكو على ضفاف نهر موسكفا Moskva (أحد روافد أموكا) بعيداً عن الغارات الهمجية للتتار الذين دمروا النوايا الروسية الأصلية حول مدينة كييف Kiev، والتي تقع فى منطقة السهول الجنوبية. وظلت موسكو امارة صغيرة معزولة حتى القرن الخامس عشر حيث بدأت تتسع على حساب الغابات المحيطة بها، ثم امتد النفوذ الروسى إلى الجنوب فى الوقت الذى أمكن فيه استيعاب الغارات الهمجية تدريجياً. وكما قال هالكى Halecki أن نمو موسكو، على مدى ستة قرون ونصف، لا يمكن تفسيره.

٥ - الصين China :

تركزت مواطن الحضارة الأولى فى الصين فى الجزء الشمالى الغربى عند حوض نهر هوانج هو Hwang-Ho حيث هيات خصوبة الأرض العالية بيئة جغرافية ملائمة لنمو الزراعات البدائية. وبدأ الانتشار السكانى والجغرافى للدولة صوب وادى اليانجتسى Yangtse فى الجنوب الشرقى حيث الطقس

المعتدل والموسم الزراعية الأطول. وقد أدى ذلك إلى انتقال مركز الدولة من وادي هوانج هو إلى منطقة يانجتسي، والتي أصبحت مخزن الغلال الرئيسي للإمبراطورية.



شكل رقم (٣-٤)
منطقة النواة في الصين

هذا التحول في مركز الثقل الاقتصادي تبعه تغير في مركز الثقل السياسي، ومن ثم تحولت العاصمة القومية من هوانج هو إلى يانجتسي حيث انتقلت إلى نانكينج Nanking ثم إلى هانشو Hanchow. هذا التحول في مركز الثقل السياسي لم ينته. فبعد أن بسط الحكم المغولي نفوذه على البلاد تحولت العاصمة إلى الشمال مرة أخرى، حيث انتقلت إلى حدود السهل من حيث أتى الغزاة. وعندما أطاح مانشوش Manchus بحكم أسرة

منج Ming اختار بكين Peking عاصمة لهم، وهي مدينة أدت تلك الوظيفة لفترة قصيرة. وخلال الحكم المغولي ظلت بكين العاصمة القومية حتى ١٩١١. وحين أصبح بمانشوش انتقلت مقاليد الحكم إلى نانكنج في الجنوب الشرقي. ولكن الاتصال بالإتحاد السوفيتي ساعد في إعادة الريادة لبكين وانتقال مقاليد الحكم إليها مرة أخرى واعتبارها العاصمة القومية للبلاد.

٦- تركيا Turkey :

أقدم منطقة نواة لتركيا تلك التي غطت المنطقة التي تحد المضائق التركية، والتي تقع في منتصف إمبراطوريتها المترامية الأطراف، والتي شملت أجزاء من أوروبا وآسيا. وعلى ذلك فإن استانبول كانت أنسب موقع لمركز الحكومة.

وبعد أن فقدت تركيا المواقع الأوروبية في البلقان، فأصبح موقع أستانبول جسراً بين القارتين غير ذي أهمية للدولة التركية وتوقفت - تقريباً - التجارة بينها وبين الدول التي تقع على البحر الأسود والبحر المتوسط، وخاصة بعد الثورة البلشفية في روسيا، واستمرار الدولة في حالة اكتفاء ذاتي حتى تبنى نفسها. وقد لخص فايجرت Weigert^(٧). الأسباب التي أدت إلى انتقال العاصمة من استانبول إلى أنقره في قوله: لم تكن استانبول أبداً مركزاً صناعياً، ولكنها كانت ملتقى أو نقطة تجمع لكل الأمم والدول الواقعة تحت الحكم العثماني وكانت تمتلك عنصراً إغريقياً قوياً في خصائصها، وكان ذلك ميزة للإمبراطورية العثمانية حيث إنها كانت تستخدم الأتراك كجنود وحكام وتملئ الوظائف الإدارية باليونانيين والأرمن. لذلك فإن هذا الخليط القومي من الجنسيات جعل أستانبول غير مؤهلة لتكون قلب الدولة التركية.

وكان إختيار أنقره منطقة نواة للدولة لموقعها الجغرافي في قلب الأناضول وفي منطقة كل سكانها من الأتراك وازدادت قيمتها بعد أن نقلت إليها الدواوين الحكومية وبعض الصناعات وربطها بالسكك الحديدية والطرق بكافة أرجاء الدولة.

٧- إيطاليا Italy :

تتركز منطقة النواة الرئيسية بإيطاليا في مدينة روما والسهول المحيطة بها. فهذه المنطقة كانت مركزاً للسياسة والثقافة القومية ومحوراً (قلباً) للدولة على مدى ٢٥٠٠ سنة تقريباً منذ بداية الحضارة الرومانية القديمة.

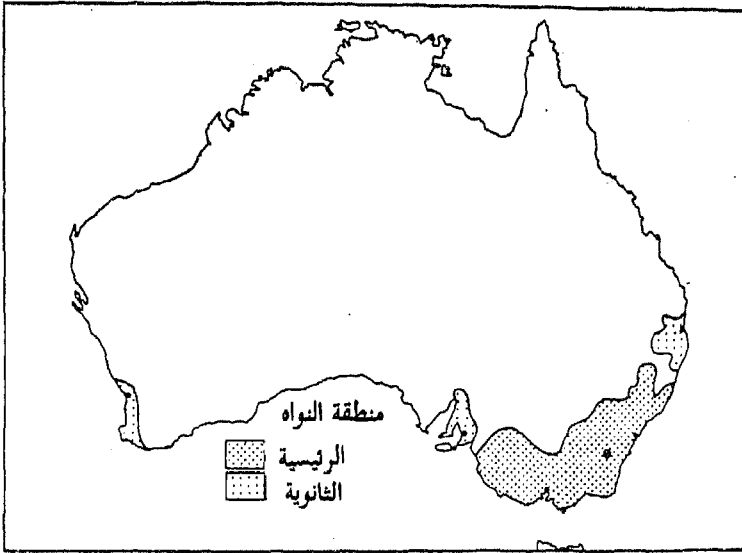
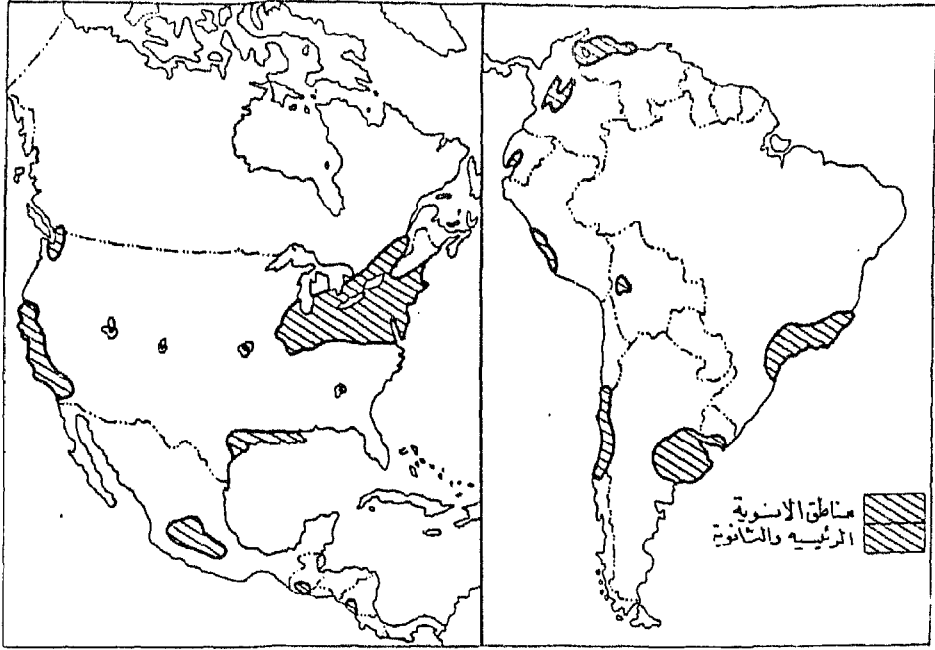
ورغم أن المركز الإقتصادي في الوقت الحالي انتقل إلى الشمال حول ميلان Milan، فإن روما بقيت لها الدور الريادي في الأمور السياسية والثقافية، وذلك بسبب تقاليد العريقة كونها مركزاً مرموقاً للعلوم والفنون والآداب في الحضارة الغربية.

٨- أستراليا والأمريكتان :

تعد عملية تكوين منطقة النواة Core بأستراليا والعالم الجديد ظاهرة قصيرة الأجل . فمناطق النواة بالولايات المتحدة وكندا هي في المقام الأول مناطق التركيز الصناعي في الأمريكتين. تشكل ١٠٪ من مساحة الولايات المتحدة وكندا. ويتركز بها نصف أعداد السكان وثلاثة أرباع القوى البشرية العاملة بالصناعة^(٨). وهذه المنطقة ليست منطقة النواة المعاصرة، ولكنها كانت كذلك منذ بداية اكتشافها جغرافياً ومع قدوم المستوطنين وتولد فكرة الانتشار والتوسع في اتجاه الغرب. فمنها بدأت فكرة الدولة وشرارة التوسع. وبها تتركز كل المدن الرئيسية في كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية^(٩).

أما في أمريكا اللاتينية؛ فإن مناطق النواة الرئيسية تمثل مواطني أقدام القوى الاستعمارية القديمة على السواحل (انظر الشكل ٣-٥).

وبالمثل في أستراليا فإن الموانئ الساحلية ميلبورن وسيدني تقعان في منطقة النواة الرئيسية. بالإضافة إلى أنها تمثل مراكز الكثافة السكانية ومراكز للصناعة وتمثل كل من بريسبان Brisbane وأديليد Adelaide منطقة نواة ثانوية متصلة بمنطقة النواة الرئيسية (أي : ميلبورن وسيدني)، في حين أن بيرث Perth تمثل منطقة أخرى هامشية على الأطراف.



شكل رقم (٣-٥)
منطقة النواه بقارات العالم الجديد

ثانياً : العواصم Capitals

العواصم مدن تحتوى على أكبر تركيز للقوى السياسية فى الدولة التى تقع بها، فهى مقر الحكم والهيئة التشريعية والتنفيذية. وعادة ما تكون العاصمة هى القلب الثقافى لكن فى حالات كثيرة، وخاصة فى الدول الفيدرالية، فإن العاصمة تتجلى أهميتها الصناعية والتجارية بصورة أقل من باقى المدن فى البلاد، وذلك لأن العوامل التى تؤثر على اختيار موقع العاصمة عادة ما تكون سياسية واستراتيجية أكثر من العوامل الاقتصادية. والعاصمة يجب أن تكون كما قال جفرسون Jefferson من المدن المهيمنة Primate cities التى يتركز بها أكبر عدد من السكان وتكون ذات عمق تاريخى ورمزاً للمشاعر القومية . وقانون جفرسون عن المدن المهيمنة غير قابل للتطبيق على الدول الفيدرالية. وذلك لأن العواصم الفيدرالية ذات مواقع متوسطة. وفى معظم الحالات هى مدن جديدة. فعواصم الولايات المتحدة وكندا وأستراليا والهند والمانيا الغربية أصغر حجماً من مدن أخرى فى البلاد.

لكن أمثلة مثل: فينا وبوينس أيرس Buenos Aires لا تتفق وهذا الرأي حيث أن فينا هى عاصمة النمسا (والتي يراها العديد من الدارسين على أنها فيدرالية) أما الأرجنتين (فتعتبر ذات فيدرالية زائفة Sham federalis) (٩).

وسواء أكانت العاصمة هى المدينة المهيمنة Primate city فى البلاد أم لم تكن فمن المفترض - مع مرور الزمن - أن تصبح المثال المصغر Epilone للحياة القومية للدولة، والتي يتمثل بها تقاليد البلاد وتاريخها وسلطتها. وتزداد قوة هيمنة العاصمة بزيادة سكانها وزيادة ثرائها، والذي يصاحبه مضاعفة الأعمال الإدارية والقيمة التجارية. وينعكس ذلك على خريطة النقل حيث تتشعب خطوط النقل المختلفة (طرق سيارات - مطارات - نهريّة أو بحرية أو جوية) من العاصمة إلى باقى المدن والأقاليم المجاورة. وهذا التشعب يكون سبباً ونتيجة لأهميتها الاقتصادية وتزايد دورها السياسى.

أنواع العاصم

العواصم الطبيعية والصناعية Natural & Artificial capitals

العاصمة الطبيعية هي التي تطورت على مر الزمان من محلة عمرانية صغيرة كانت بمثابة قلب لمنطقة نواة ونجحت باستمرار في وظيفتها كقلب للمناطق الجديدة التي أضيفت إلى رقعة نواتها. وعلى النقيض، فإن العاصمة الصناعية هي عواصم مستحدثة Created أى أسست وبنيت كقطعة واحدة لتقوم بوظيفتها الإدارية وقلب للدولة وفي موقع متوسط.

واعترض سبيت Spate على هذه المقارنة بين العاصمة الصناعية والطبيعية بقوله: «قد يكون بناء مدينة جديدة ملائماً وطبيعياً بصورة أكبر من اتخاذ موقع قائم ذي هيمنة وأنشطة قيادية. وكانت نشأتها لظروف تاريخية سابقة لا تتفق مع التطور الحالي للدولة».

على ذلك فإنه من الطبيعي أن تقوم الدولة الفيدرالية بإنشاء عاصمة جديدة (والتي يطلق عليها صناعية وفقاً لتلك المقارنة) قد لا يتوفر بها مقومات النشاط الاقتصادي أو تشتهر بتقاليدها التاريخية وروابطها الاقتصادية بالمدن الأخرى، ولكن سرعان ما تكتسب هذه الأمور وترتبط بكافة أجزاء الدولة وينمو سكانها بسرعة كبيرة.

ومن ثم فإن واشنطن عاصمة طبيعية أكثر من نيويورك. كذلك كامبرا أكثر من سيدني وميلبورن؛ وأيضاً أوتاوا عاصمة طبيعية أكثر من تورنتو ومونتريال^(١١).

ويرى ويتلسي Whittlesey في ملاحظاته عن مدينتي واشنطن Washington وأوتاوا Ottawa كمثال للعواصم. يصفهما بأنهما ظاهرة جديدة (غير مألوفة وقد اختارتهما حكومتا الدولة لتكونا عاصمة لهما بغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية وأما سبيت فيقول إنهما ظاهرة ليست جديدة تماماً فعلى سبيل المثال تم اختيار مدينة مدريد Madrid عاصمة لإسبانيا - كمثال أقدم-. لم يكن لأسباب اقتصادية - حيث لا يتوافر لها

مقومات اقتصادية بالمرّة- ولكن اختيارها جاء رغبة في تجنب تركيز كل من السلطة السياسية والاقتصادية في مدينة واحدة. وقد أوضح سبيت أيضاً أن مدريد حالة مخالفة. ففي حين أن العواصم الفيدرالية يتم اختيارها لتحقيق التوازن بين أجزاء الدولة وجعل السلطة المركزية في موقع متوسط. فإن اختيار مدريد عاصمة لأسبانيا قد أختارته حكومة مركزية، وليست فيدرالية.

التصنيف المورفولوجي للعواصم

باستخدام التصنيف المورفولوجي يتم تصنيف العواصم حسب مواقعها من أراضي الدولة. ومن منطقة النواة Core-Area في الدولة. وفي عام ١٩٧٣ صنف دي بليج De Blij العواصم إلى ثلاث فئات على هذا الأساس:

(١) العواصم التاريخية أو الدائمة Permanent or historic capitals

هي العواصم التي أدت وظيفتها باعتبارها مركزاً اقتصادياً وثقافياً ريادياً في الدولة على مدى عدة قرون، ووفقاً لهذا التقسيم؛ فإن تاخ الدولة يمكن تقسيمه إلى أربع مراحل، والعاصمة التي تظل على وظيفتها خلال مرحلتين على الأقل يطلق عليها عاصمة دائمة. وأوضح الأمثلة للعواصم التاريخية أو الدائمة هي روما ولندن وباريس وأثينا وبكين والقاهرة ودمشق وبغداد.

(٢) العواصم المستحدثة Introduced capital

على مدى فترات طويلة من الزمن تتغير (تتحرك) مناطق النواة، وهذا التغيير قد يؤدي إلى تغيير مكان الحكومة ووظائفها إلى مكان آخر أكثر ملائمة. والمراكز الحكومية التي يتم اختيارها على هذا الأساس يطلق عليها العواصم المستحدثة، تمثل معظم عواصم الدول الفيدرالية الجديدة مثل: واشنطن، أوتاوا، كانبيرا، برازيليا، وإسلام آباد، والرياض، وأبو جى.

(٣) العاصمة المقسمة : Divided capital

يلاحظ في بعض الدول أن وظائف الحكومة ليست مركزة في مدينة واحدة، ولكنها مقسمة بين مدينتين أو أكثر. وكما لاحظ دى بليج De Blij أن في هذه الحالة يكون سبب الاختيار هو توزيع الهيمنة فضلاً عن الملائمة، مثال ذلك : هولندا، حيث نجد أن هاج Hague هي العاصمة التشريعية في حين أن أمستردام هي مقر القصر الملكي أى: العاصمة الرسمية.

وفي بوليفيا، تعد لا بلاز La Plaz العاصمة الفعلية ومقر الحكومة، في حين أن سوكره Sucre مقر السلطة القضائية. وفي جنوب أفريقيا، حيث كان الاتحاد نتيجة لدمج مجموعتين متحاربتين: البوير (الهولنديين) والبريتون Briton (الإنجليز)، وكانت بريتوريا Pretoria عاصمة للبوير، واحتفظت بالوظائف الإدارية للدولة، في حين كان المركز الرئيسي للبريطانيين يتمركز في كاب تاون Cape-Town التي أصبحت مقراً للهيئة التشريعية القومية.

وفي سويسرا وقبل اختيار برن Berne عاصمة دائمة للبلاد عام ١٨٤٨ . كانت سويسرا -وفقاً للدستور النابليوني لعام ١٨١٥- تتكون من ثلاثة كانتونات Cantons هي زيوزخ وبرن ولوزان Lucerne وكانت هذه المدن مقراً للهيئة التشريعية السويسرية بالتناوب على فترة امتدت عامين. وقبل سنة ١٨١٥ . وبدستور سنة ١٧٩٨ كانت اجتماعات الهيئة التشريعية السويسرية تقام في ست كانتونات - ثلاثة كاثوليكية وثلاثة بروتستانتية^(١٢) .

وفي بعض الحالات ومع تشابه خصائص المدن وقوة هيمنتها على مستوى الدولة يصعب تحديد العاصمة، وهذا المثال نجده في استراليا (كانبرا-سيدنى). وفي كندا (أوتاوا - مونتريال).

العوامل المؤثرة في تطور العاصمة:

هناك مجموعة من العوامل تؤثر بصورة واضحة على مدى استمرارية الوظيفة القيادية للعاصمة. فكلما استمرت العاصمة في وظيفتها كلما كان لها دور في الحفاظ على شخصيتها. أما إذا ما تدخلت بعض العوامل في إختيار مدينة أخرى للتولى قيادة البلاد كعاصمة؛ فإن التدهور يصيب العاصمة القديمة ويرز نجم العاصمة الجديدة. وفي الواقع فإن هناك مجموعة من العوامل تؤثر بصورة فعالة في تطور العواصم وهي:

- ١- العامل التقليدي.
- ٢- عامل المحاكاة التاريخية.
- ٣- الوقوع على نقاط اتصال رئيسية.
- ٤- توجه الدولة.
- ٥- القومية السائدة.
- ٦- التسويات السياسية.
- ٧- الموقع المتوسط.

وفيما يلي عرض لكل عامل على حده:

(١) العامل التقليدي :

احتفظت عدة عواصم بوظيفتها على مدى معظم فترات تاريخ دولتها السياسي ومع مرور الوقت أصبحت رمزاً قومياً حتى أن حقها الواضح في أن تظل عاصمة أصبح منقوشاً في عقول أفراد الدولة. ومن أشهر الأمثلة لذلك مدن لندن، وباريس وروما، وأثينا، والقاهرة وبغداد، وهذه العواصم استطاعت أن تحافظ على استمراريتها كعاصمة.

وأشار سبيت إلى أنه في حالة وجود أى عاصمة كبيرة فإن المزيج من الضرورة الجغرافية وضرورة وجود العامل البشرى، أمر في غاية التعقيد. وأن هذا التعقيد في أوضح صورة يمكن ملاحظته في عاصمة الإمبراطورية

البريطانية. فخلال فترة حُكم الرومان للمنطقة كانت لندن أهم مدينة في الدولة ولكن أهميتها كانت تجارية فضلاً عن كونها سياسية ولقد وصفها سبيت على أنها مثال جيد للعاصمة الطبيعية حيث إن ريادتها الاقتصادية جمعت حولها القوة السياسية .

ففي تلك الأوقات كانت الأهمية السياسية للندن نابعة من قوتها الاقتصادية وموقعها الاستراتيجي. وكونها المدينة التي تضم بين جوانبها أغنى رجال المنطقة وأقوى العتاد الحربى، مما جعلها مدينة ذات أهمية عسكرية ومن الطراز الأول.

وفى تاريخ الحروب الأهلية البريطانية، فقد كان الفريق الذى يتحكم فى لندن كان دائماً هو الفائز. فخلال السنوات الأخيرة للسكسونيين كانت لندن بمثابة القلعة الحصينة ضد الدانمركيين والعائق فى وجه الغزاه عبر مدخل مصب نهر التيمز السفلى. وقد عزز غزو نوماندى أهمية لندن، حيث أكد على أن إنجلترا يجب أن تنظر عبر المانش إلى فرنسا، وليس عبر بحر الشمال - بالنسبة للإمبراطورية الكانوتية Canute Empire والتي كانت تضم الدنمارك والنرويج، وعلى مدى العصور الوسطى Middle Ages كانت لندن هى حلقة الوصل ما بين القارة الأوروبية والجزيرة الإنجليزية، وكانت المدينة تضم أكثر مناطق الجزيرة سكانا وبها أغنى الأفراد.

وكما يشير سبيت Spate أنه من المستحيل - إلا بحدوث كارثة - أن تتوقف لندن عن أداء دورها كونها عاصمة للبريطانيين. ونظراً لقدم المدينة فإن مجموعة معقدة من العوامل تتدخل فى تكوينها فقد يكون العامل الاقتصادى هو الذى أنجب لندن، ولكن العامل السياسى هو الذى تبنها.

"Economic may have begotten London and Politics fostered it".

ومن ثم يستحيل معرفة الأسباب الرئيسية التى أدت إلى نموها حيث تتداخل كل العوامل لتشكّل لنا المدينة على مر العصور.

(٢) عامل المحاكاة التاريخية :

إن قوة التقاليد التاريخية عادة ما كانت ذات تأثير قوى على إعادة اختيار موقع العاصمة. فتغيير موقع العاصمة الروسية من سان بطرسبورج إلى موسكو مرة أخرى قد يكون بسبب نوع من الاحتياط العسكرى، ولكن ظلت موسكو منطقة متوسطة بين آسيا وأوروبا محتفظة بقيمة موقعها لأن موسكو بكل ما تعنيه الكلمة كانت جغرافيا وتاريخيا منطقة القلب الحقيقية Heartland لروسيا، وبالتالي كانت العودة لها دلالتها الجغرافية والسياسية وأوضح سبب أن تغيير موقع عاصمة الهند البريطانية من كلكتا إلى دلهي (نيودلهي) يمثل كلاً من عاملى المحاكاة التاريخية وكذلك إنشاء عاصمة فيدرالية جديدة.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

(٣) عامل الوقوع على نقاط اتصال رئيسية :

عندما قدم سبيت Spate مفهومه حول العواصم التي تقع عند نقاط تقاطع طرق هامة كتب أن العاصمة أحيانا ما تكون الرباط Link الذى تحصل من خلاله الدولة فى مرحلة التكوين على المؤثرات الخارجية التى تدعم طاقاتها المحلية. وكما يؤكد الجغرافى الفرنسى الشهير فيدال دى لابلاش V.De la Blache أنه لا توجد دولة متحضرة أسست حضارتها بذاتها.

ويمكن تعريف العاصمة التى تنتمى إلى هذه الفئة على أنها العاصمة التى توفر الاتجاه المنظم لنمو الدولة. وفى نفس الوقت فهى تمثل الجسر الذى تعبر من خلاله التأثيرات الخارجية ليتم ترجمتها إلى حوافز للثقافة والحضارة المحلية. فالدور الكنسى الذى قامت به مدينة كانتربرى Canterbury شرقى لندن قد تأثرت به لندن سواء على مستوى سكانها أو سياستها. توغلت مؤثرات عديدة من كل من ألمانيا وفرنسا والدنمارك إلى كانتربرى وانتقلت بدورها إلى لندن.

وفى الهند فقد كان لموقع كل من كلكتا وبومباى على الساحل الغربى الأثر فى إبراز أهمية هاتين المدينتين الساحليتين فى كونهما نقطة الاتصال الرئيسية مع الإمبراطورية البريطانية والبوابة الرئيسية التى دخلت منها الحضارة الغربية إلى الهند لتدمر وتبنى.

(٤) عامل توجه الدولة :

مفهوم العاصمة الموجهة أعده وقدمه لأول مرة فوجان كورنيش Vughn Cornish فى كتابه العواصم العظيمة: دراسة فى الجغرافية التاريخية Great capitals An Historical Geogriaphy (١٩٢٣). وهذا المفهوم يمثل تقدماً كبيراً فى دراسة العواصم، حيث يوضح أهمية العنصر الديناميكي والتاريخي فى توجه الدولة. فالموقع الأمامى، أى الموقع الأقرب للحدود كان دائماً المكان التقليدى للعاصمة، وتجدر الإشارة إلى أن الموقع الذى كان أمامياً قد يكون مع مرور الوقت والتوسع المساحى موقعاً داخلياً فيما بعد.

وكما حذر سبيت أنه ليس كافى فى هذا الموضوع أن ننظر فقط إلى الخرائط، ولكن يجب أن نعلم أن لكل خريطة تاريخاً معيناً، فالعوامل التاريخية يجب أخذها فى الحسبان والفكرة الأساسية كما يقول فبفر Febvre يجب ألا نتجاهل العامل التاريخي والا نقع فى خطأ تفسير المظهر الحالى للعواصم على أساس جغرافى فحسب لأن موقع العاصمة نتاج لأبوين الجغرافيا والتاريخ.

فمدينة سان بطرسبورج العاصمة السابقة لروسيا التى تقع على الحدود الغربية للإمبراطورية الروسية، هى مثال لهذا النوع من العواصم، والذى يدل على رغبة روسيا فى التعامل مع الدول البحرية فى غرب أوروبا.

ومن أمثلة تلك العواصم الموجهة، مدينة إسلام آباد عاصمة باكستان، فلقد تم اختيارها لتكون مشرفة على الحدود السياسية الملتهبة مع الهند.

وتمثل مدينة برازيليا عاصمة البرازيل الجديدة مثلاً آخر جديداً حيث تم اختيارها لتوضح تغير الانتباه إلى المناطق الداخلية لتطويرها، وهي تعتبر مثلاً للعاصمة الأمامية التي توضح أن اهتمام الدول أصبح داخلياً بعد أن كان مرتبطاً بنقطة على الساحل موجهة لدولة استعمارية سابقة.

ونفس الصورة نجدتها في غالبية العواصم الأفريقية في الدول المطلة على بحار. فكل عواصمها تقع على الساحل لتجسد توجه الدولة اقتصادياً وسياسياً ناحية البحر «الدولة الأوروبية المستعمرة». فكل دول شمال أفريقيا (باستثناء مصر) ودول غرب أفريقيا. وشرق أفريقيا باستثناء كينيا) تطل عواصمها على البحار. لتعلن أنها موجهة إلى أوروبا. وقد تغير بعض الدول توجه عاصمتها إلى الداخل. وخير مثال لذلك عندما اختارت حكومة نيجيريا مدينة أبوجي في جنوب وسط الدولة لتحل محل لاجوس

(٥) عامل القومية السائدة The dominant national factor

يتضح مثل هذا العامل في الدول متعددة القوميات والجمهوريات Multinational states. وتوجد العاصمة بالطبع في قلب القومية السائدة أو القومية الأقوى، والتي دمجت القوميات الأخرى معها في الدولة. وتمثل هذا النوع موسكو وبلجراد - عاصمتا روسيا الاتحادية ويوجوسلافيا (صربيا). وبراغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا (قبل أن تنفك). والعاصمة هنا لا تمثل قبلة لكل القوميات في الدولة.

وتوضح دراسات التاريخ الشعور بالغيرة من قبل سكان الدولة تجاه هذه العاصمة. فقد كانت كل من كرواتيا وسلوفانيا تحت راية كنيسة الروم الكاثوليك. أما بلغراد فكانت تحت حكم البيزنطيين، ومن ثم كانت ديانتها المسيحية هي الأرثوذكسية. ومن هنا زرعت بذور الكراهية للصرب في كافة أرجاء الدولة لتعصب الصرب الشديد لقوميتهم، مما أدى إلى تفكك الدولة حديثاً. ولم تعد بلغراد سوى عاصمة لصربيا والجبل الأسود وكوسوفا. وقد

تنفصل الأخيرة أيضا عنها لتمسك إدارة يوجوسلافيا بها رغم الكراهية الناجمة عن التوجه الثقافي لحساب بلجراد.

أما براج Brague، عاصمة بوهميا، وزهرة الحضارة السلافية، على الرغم من تقبل البوهيميين والمورافيين Bohemian, Moravian لها كعاصمة بما تملكه من أصول ثقافية مشتركة، وحيث إنها ذو خبرة سياسية مشتركة عندما كانتا تحت حكم الإمبراطورية الرمانية، فإن سلوفاكيا Slovakia فلم تتقبلها. حيث إن سلوفاكيا لم تكن أبداً جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، وحتى في عهد إمبراطورية هابسبورج Hapsburg المجرية فإن إدارتها لم تكن متصلة ببوهيما ومورافيا.

وعلى ذلك فقد كان لسلوفاكيا مركزها الثقافي المتمثل في برايتسلافا Bratislava. وكان من نتاجه أن انفصلت القومية السوفاكية عن التشيكية في سلام وكونت دولة مستقلة وعاصمتها أصبحت برايتسلافا عاصمتهم التاريخية.

وموسكو هي عاصمة القومية السلافية في روسيا، وهي التي وحدت الإتحاد السوفيتي، فأصبحت عاصمة له. في نفس الوقت كان سكان القوميات الأخرى يتجهون إلى عاصمة قوميتهم. فالأوكرانيون اتجهوا إلى كييف، وروسيا البيضاء إلى منسك والسكان القوقازيون في آسيا الوسطى تجاه بعض المراكز الإقليمية مثل: يرفان Yerevan وسمرقند وعشق آباد التي تمثل عواصم قومياتهم.

(٦) عواصم التسويات السياسية :

وتشمل عواصم الدول الفيدرالية، والتي تم اختيارها بعد محادثات وتسويات طويلة بين أجزاء (مقاطعات) الدولة المتنافسة، والتي اتحدت بعد ذلك لتكون الدولة الفيدرالية.

(٧) عامل الموقع المتوسط :

بافتراض ثبات باقى العوامل الأخرى؛ فإن الموقع المتوسط للعاصمة يسهل قيام الدولة بدورها الإدارى، حيث إن المسافة بين العاصمة وأطراف الدولة تكون عند حدها الأدنى. وعلى ذلك فإن الحواجز - سواء طبيعیه أو نفسية - بين الحكومة والأفراد فى المناطق البعيدة من الدولة يتم تقليصها إلى حدها الأدنى، ورغم ذلك تظل المناطق التى تقع على الأطراف تشعر بقله اهتمام العاصمة والحكومة بهم، حتى فى حالة الدول صغيرة الحجم مثل المملكة المتحدة، نجد أن الأسكتلنديين يشعرون أن الحكومة فى لندن بعيدة عن فهم مشاكلهم المحلية والخاصة بإقليمهم لأنها تقع فى موقع متطرف بعيد عن إقليمهم.

والعاصمة هى المركز الإدارى لأفراد الدولة وأيضاً لكل الأراضى التى تحكمها - ومن هنا يجب أن تكون فى موقع متوسط للدولة. وفى إستراليا حيث تركز معظم السكان فى الجزء الجنوبى الشرقى للبلاد - فى حين أن المناطق الداخلىة تكاد تكون خالية من السكان - كان موقع العاصمة رغم تطرفه مناسباً جداً

العواصم الفيدرالية

إن اختيار العاصمة ذو أهمية كبيرة للدول الفيدرالية، حيث إن العواصم أحياناً ما تلعب دوراً هاماً فى نجاح النظام الفيدرالى أو فشله. لكن على الرغم من أن الفيدرالية تعتبر شكلاً من أشكال الحكومات التى تنتشر بين بعض الدول إلا أن الاهتمام بدراسة عواصمها. كان قليلاً جداً، فكل الدراسات - حتى عام ١٩٧٥ - كانت مجرد ملاحظات عامة. ويعود ذلك إلى أن دراسة العواصم باعتبارها موضوعاً متطوراً بصورة كبيرة فى الدراسات الأوروبية فى الجغرافية السياسية. فى حين أن الجغرافيين الأمريكيين تجاهلوا دراسة العواصم. وهذا يعنى بالطبع تجاهل العواصم الفيدرالية.

وإذا كانت العواصم مصنفة إلى طبيعية (وصناعية)؛ فإن هذا التصنيف قد اعتبره سيبت غير دقيق - لأن العواصم الفيدرالية فى جميع أنحاء العالم

هى عواصم صناعية. لأنها ليست المدينة المهيمنة Primate city بالدولة. وفى معظم الأحوال لم تتطور العاصمة الفيدرالية بصورة تدريجية من خلال النمو حول نواة أصلية فى الدولة.

ويكمن السبب فى أن معظم العواصم الفيدرالية قد أنشأت حديثاً أكثر من كونها مراكز تأسست فى نواة قديمة وتطورت مع مرور الوقت. فالبناء الفيدرالى ظاهرة حديثة. كما أن ظهور حكومة جديدة بديلاً عن حكومات قديمة والحاجة إلى عاصمة جديدة -تجمع هذه الوحدات السياسية المنفصلة- كان دافعاً للبحث عن مكان جديد تقام عليه هذه العاصمة، ولكن هذا لا يبرر أن نطلق على العاصمة الجديدة مصطلح «عاصمة صناعية».

والدول الفيدرالية ذات الطراز القديم مثل: الولايات المتحدة وكندا وأستراليا- حيث إن بناء الدولة الجديد لم ينشأ من وحدات متكاملة- قد أقامت عاصمة جديدة لها، ذلك لأن الحكومة الفيدرالية قد تأسست لتكون أداة الوصل بين من الوحدات المكونة للدولة الجديدة. لذا فإن العواصم الفيدرالية عادة ما تفضل أن تكون على أرض محايدة.

وتقع واشنطن عاصمة الولايات المتحدة تقريباً بين الحدود الشمالية والجنوبية للولايات الشرقية. وتبعد بحوالى ٥٠ ميلاً تقريباً عن خط ماسون وديكسون Mason&Dixon، وهو الحد الفاصل بين الأراضى الحرة والأراضى التى كانت تتبنى العبودية. على ذلك فإن موقع واشنطن بكل المقاييس موقع متوسط ومحايد، وعليه فإنه يعد أفضل موقع لمقر الحكومة الفيدرالية.

ونفس الحال نجده فى كندا التى تتكون من أربع وحدات إدارية تم اختيار أوتواوا لتفادى الشعور البغيض الذى كان من المتوقع أن ينشأ إذا ما اختيرت إحدى عواصم الوحدات الأربع المكونة لكندا. فالمدينة حددت نهاية الأراضى المتحدثة بالفرنسية داخل أونتاريو وكويبك. وعلى ذلك فهى أرض محايدة ومناسبة لمقر الحكومة الفيدرالية.

وفي استراليا كان اختيار كانبرا Canberra عاصمة على أرض محايدة بين سيدنى وميلبورن، الشريكين الرئيسيين فى الاتفاقية الفيدرالية لعام ١٩٠٠.

وأختيرت برن Berne عاصمة للكونفيدرالية السويسرية عام ١٩٤٨. وهى لاتقع على أرض محايدة على نفس المنوال الذى تمت عليه عواصم أكبر ثلاث فيدراليات أنجلو ساكسونية فى العالم. فهى فى موقع متوسط بين التكتلات الكاثوليكية والبروتستانتية من ناحية، المجموعات المتحدثة بالفرنسية والمتحدثة بالألمانية من ناحية أخرى وكانت بداية الاختيار للعاصمة منحصرة بين مدينتى برن وفريبرج Friburg، وكلتاهما يمثل الألمان البروتستانت والفرنسيين الكاثوليك (على الرغم من أنه ليست للحدود بين اللغات والديانة فى سويسرا أية دلالة أو أهمية).

وفى عام ١٨٤٨ كان العامل الدينى هو المحور الأساسى لانقسام سويسرا ، فبعد هزيمة المجموعة الفرنسية الكاثوليكية فى حرب سوندر بوند Sonder bund ، كان قرار مجموعة الألمان البروتستانت المنتصرة، بأن تكون العاصمة فى غرب إقليمهم حيث يمثل منطقة القلب الجغرافى للبلاد. وانتهى الأمر باختيار برن باعتباره مكاناً مناسباً للعاصمة. وكما ذكرنا سابقاً فإن العواصم فى الدول الفيدرالية دائماً ما تقع على أرض محايدة أو موقع تسوية سياسية، فإننا نجد أن برن، على خلاف العواصم الفيدرالية ليست عاصمة جديدة.

وهناك نقطة هامة قد أغفلت، وهى أنه فى الدول التى يكون فيها الهيكل الفيدرالى أمراً جديداً، -فضلاً عن كونه مجرد توحيد أو إعادة تشكيل وحدات ما-، تظهر الحاجة إلى اختيار عاصمة جديدة ومحايدة. وهذا ماظهر مع الدول الفيدرالية الجديدة فى أمريكا اللاتينية، أو فى آسيا وأفريقيا بعد عام ١٩٤٥ حيث ظلت العاصمة القديمة (وقت الاستعمار) هى نفسها المقار للعاصمة الفيدرالية الجديدة.

عواصم أمريكا اللاتينية :

ظلت دول أمريكا اللاتينية (كونها سياسة استعمارية) دولا لا تستطيع أن تعيش في حالة اكتفاء ذاتي وحققت تكاملاً سياسياً واقتصادياً من خلال منفذها على البحر، والذي يمثل العاصمة. ومن ثم كانت العاصمة رمزاً لحل العضلات في الاكتفاء الذاتي. وزادت قيمتها عند غالبية السكان، ومن ثم استمرت العواصم (التي أقامها المستعمر سابقاً) مقراً للحكومات الجديدة. وخير مثال على ذلك في دولة فنزويلا التي انتقلت الريادة والقيادة إلى عاصمتها القديمة كاراكاس بعد استقلالها عن كولومبيا.

أما فيما يخص بونيس إيريس، فإن مكانتها الريادية في الأرجنتين كانت ومازالت لا يعلوها أي شك، ولكن ذلك لم يمنع أن يتم اختيارها كونها موقعاً محايداً عندما تكونت الدولة الفيدرالية.

على نفس المنوال نجد أن ريودي جانيرو Rio de Janeiro تم اختيارها عاصمة للبرازيل عام ١٧٢٦ في الوقت الذي زادت فيه أهميتها نظراً لاكتشاف الذهب في الجزء الشمالي من المدينة. رغم ذلك فإنه يمكن النظر إليها على أن موقعها متوسط بين الجنوب ومنتصف الشمال الشرقي. ونظراً للتنوع الكبير في البشر والأنشطة في البرازيل ظلت ريودي جانيرو عاصمة بعد إعلان استقلال البلاد عام ١٨٢٢. وحينما تم تطبيق الدستور الفيدرالي عام ١٨٩١ ظلت ريودي جانيرو عاصمة للبلاد على الرغم من إدخال تعديل على الدستور، وكان بمقتضاه يلزم تغيير موقع العاصمة من ريودي جانيرو إلى موقع أقرب إلى وسط البلاد^(١٤). رغم ذلك ظلت ريودي جانيرو عاصمة للدولة على مدى سبعين عاماً بعد تعديل الدستور الفيدرالي حتى تم اختيار موضع مدينة برازيليا لتبني فوقه عاصمة جديدة. ولا يمكن اعتبار برازيليا نموذجاً وسطاً في الدولة الفيدرالية، كما هو الحال في الدول الفيدرالية الكلاسيكية السابق ذكرها. ولكن اختيارها لتكون بمثابة محور

للوحدة القومية فى عصر الثبات والاستقرار فى الحياة القومية المشتتة لدولة البرازيل^(١٥).

وكان الاعتراض الوحيد والمقنع عليها هو أن موقعها كان فى منطقة نواة هامشية خالية. فى الوقت الذى كانت الدولة مرتبطة بمؤثرات واتصالات خارجية تأتى عبر البحار.

عواصم الدول الفيدرالية خلال فترة مابعد سنة ١٩٤٥ :

كانت قضية اختيار عاصمة لأى من الدول الفيدرالية، التى ظهرت على خريطة العالم السياسية فى فترة مابعد سنة ١٩٤٥ - أى بعد طول فترة استعمار عانت منها معظم دول العالم الثالث - من الأمور التى مرت دون مشكلات فقد أستمرت العاصمة القديمة التى كانت مقرراً للحكومة الاستعمارية تؤدى وظيفتها مقرراً للحكومة الجديدة. فكان اختيارها صائباً خلال الفترة الاستعمارية، وكانت تمثل محوراً للتنقل والاتصالات فى تلك البلاد. لذا فإنه فى حالة اختيار موقع آخر جديد كعاصمة كان بمثابة إرباك للشكل المستقر للحياة الاقتصادية والسياسية للدولة. أما اختيار عاصمة جديدة للدولة الفيدرالية كان أمراً مرغوباً فيه فقط فى الدول التى ظهرت باعتبارها دولاً فيدرالية حديثة ولأول مرة بعد الحرب الثانية.

فقد كان اختيار عاصمة لألمانيا الفيدرالية الجديدة، التى وجدت نفسها بدون عاصمة بعد أن اقتطقت برلين لتكون عاصمة لألمانيا الشرقية من الأمور المحيرة. وكانت هناك عدة مواقع مرشحة لتولى قيادة ألمانيا الجديدة. وكانت مدينة كولون Cologne إحدى المدن المرشحة بقوة لثقلها القومى والاقتصادى، ولكنها كانت مدمرة تماماً بقنابل الحلفاء. ومن ثم كان اختيار بون Bonn كعاصمة جديدة موفقاً لأنها تمثل صورة مثالية للمدن ذات الموقع المحايد Neutral بين القوميات الألمانية. والان وبعد اتحاد ألمانيا فى دولة واحد فى عهد هيلممت كول، أصبح موقع بون غير مناسب مما دعا ساسة ألمانيا يفكرون فى العودة إلى عاصمتهم التاريخية (برلين) مرة أخرى

وبدأت أولى الخطوات بعودة مجلس النواب الألمان (الهوستا) إليها في أبريل ١٩٩٩ كبادرة لردتها عاصمة للدولة الفيدرالية الموحدة.

نفس الصورة نلاحظها في مدينة كوالالمبور Kuala Lumpur عاصمة الملايو سابقاً. وعاصمة إتحاد ماليزيا حالياً. أصبحت مدينة كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية، وتم اختيارها عاصمة لولايات الملايو الفيدرالية عام ١٩٤٨. نظراً لأنها تقع في المركز الإداري المعقول. فهي تقع تقريباً في منتصف منطقة التركيز السكاني. والمنطقة الأكثر تطوراً اقتصادياً في الملايو، بالإضافة إلى السهول الساحلية الغربية^(١٦). وكانت كوالالمبور مقراً لدولة الملايو الفيدرالية. وعندما تم إنشاء دولة ماليزيا عن طريق ضم أراضي بورنيو-CoBor neo وصباح وساراواك Sabah & Sarawaak لم تظهر مشكلة. اختيار عاصمة جديدة رغم أن كوالالمبور كانت بعيدة عن مكونات الفيدرالية الجديدة إلى الشرق من أراض شبه جزيرة الملايو.

بالمثل فإن مدينة لاجوس Lagos عاصمة نيجيريا تمثل ميراثاً استعماريًا ماضيًا، وظلت تمثل عاصمة للبلاد بالرغم من الخاصية العرقية للمدينة. التي استبعدت ولا تختلف لاجوس عن عاصمة اليوروبا Yoruba التقليدية مدينة ايبادان Ibadan نتيجة لموقعها بالقرب من حدود المنطقة الغربية، وأيضاً موقعها المتطرف بالنسبة للمساحة الكلية لنيجيريا^(١٧).

وفي حالة الهند. فقد كان اختيار كلكتا Calcutta، والتي تقع على مصب نهري حيث إنها ميناء شهير وذات توجه بحري ظلت هي العاصمة حتى عام ١٩١١. وحين تم نقل مقر الإدارة الاستعمارية إلى دلهي (نيودلهي). وهذا التغيير أو النقل كان محاولة لخلق انسجام بين المستعمر والتقاليد التاريخية للبلاد، بالإضافة إلى أن ميناء كلكتا تدهورت أهميته عن باقي البلاد فموقعه على أرض منخفضة يحدها من الغرب صحراء ومن الشمال جبال، ومن الجنوب الغربي مجموعة تلال فتح الطريق أمام سهول الكانج Cange المنتجة وسهل الطريق إلى جنوب البلاد. أما دلهي فلها مميزات لا يمكن لمن يريد التحكم في شبه القارة الهندية أن يغفلها. وكما ذكر

مورفي Murphey بأن دلهي باعتبارها مركزاً إدارياً ذا موقع مناسب. ومن ثم فهي العاصمة الطبيعية للهند، وأنها استمرت كنقطة تحكم رئيسية في الهند منذ القرن العاشر، وكانت كذلك منذ عدة قرون قبل ذلك^(١٨).

وموقع نيودلهي محايد بين كلكتا ومدراس وبومباي. وهذه المدن الثلاث كانت تشكل نقط تحكم الإدارة البريطانية ونقط التوغل إلى الهند. لكن قرار نقل العاصمة من كلكتا إلى منطقة النواة المركزية للدولة كان بقرار إداري من قبل المستعمر.

وبمقارنة كل من كانبرا Canberra في استراليا، ونيودلهي في الهند كعاصمتين فيدراليتين يلاحظ أن لهما دوراً جغرافياً سياسياً متشابهاً تماماً على الرغم من اختلاف أصلهما الجغرافي والتاريخي. فمدينة نيودلهي عاصمة طبيعية روحية عند الهندوس نمت مع نمو الهند منذ القدم. أما كانبرا Canberra فهي مثال للعاصمة الصناعية والمحايدة. وفي الواقع فإن العاصمتين رغم أنهما لهما نفس الوظيفة تقريباً، فإنهما لم يكونا نتاجاً لقوة جغرافية سياسية متشابهة، فهما لا يقعان في منتصف الدولة، بل في نقط متوسطة من منطقة النواة.

وتتسم مدن العواصم القومية في غالبية دول الجنوب، والتي عانت من الاستعمار بموقع هام بالنسبة لمساحتها الكلية، ولذلك بسبب موقعها الأصلي كموطئ قدم للاستعمارين Colonial footholds، والتي كانت تختار في موقع متوسط بين منطقة الظهر Hinterland من جانب (وكانت تمثله منطقة الميناء والمنطقة الحيوية التي يمكن أن تمده بالمادة الخام اللازمة للغرب). ومنطقة النظير غير المرئي (وكانت تمثله موانئ غرب أوروبا Invisi-ble Metropolitan Foreland). ولكن في فترة ما بعد الاستقلال فإن موقعها المتطرف بالنسبة لباقي مساحة الدولة أثبت أن عيباً مؤثراً، وخاصة في الدول كبيرة الحجم، والتي تفتقر إلى وسائل النقل والاتصالات، في مثل هذه الظروف تضعف قبضة العاصمة على باقي المقاطعات في الدولة، وهو الأمر الذي يفضي نزعاً أقليمية على العاصمة. لذلك فإن تحريك العاصمة من خط الساحل إلى داخل الدولة يمكن ملاحظته في معظم الدول الفيدرالية أو

غير الفيدرالية. لكن هذا التحريك للعواصم يمكن اعتباره نتيجة للملائمة الإدارية والعودة للتقاليد القومية القديمة، وليس نتيجة للوسطية الفيدرالية Federala compromise فتحريك العواصم من سان بطرس برج إلى موسكو، ومن كراتشى إلى اسلام آباد ومن لاجوس إلى أبوجى ومن ريودى جانيرو إلى برازيليا، والتحريك المتوقع فى المستقبل من رانجون إلى ماندلاى، كلها أمثلة تجسد هذا الرأى.

ويجدر بالذكر أن هناك عدة عقبات تحول دون تحرك العواصم إلى مواقع متوسطة من منطقة النواة فى الدول النامية، منها وأهمها العقبات المالية. فهذه الدول الفقيرة لاتمتلك القدرة المالية لبناء عاصمة جديدة أو تحسين مرافق البنية الأساسية Infra-Structrue لهذا المكان الجديد أو بمد شبكة طرق جيدة من وسائل النقل لتربطها بباقي أجزاء الدولة. ومن ثم فإذا كانت الرغبة شديدة فى الأنتقال ولكن الإمكانيات لاتسمح لتزايد العجز فى ميزان مدفوعات غالبية هذه الدول. وفى أمثلة قليلة نجد مواقع هذه العواصم الساحلية مناسباً لبعض الدول التى تتسم بتركز السكان الشريطى كمثال لدول شمال أفريقيا وغربها لذا ظل الحال على ما هو عليه.

مراجع الفصل الثالث

- (1) Pounds. N.J.G. and S.S. Ball (1964). "Core Areas and Development of the European States System". **Annals of the Association of American Geographers**. vol. 54, pp. 24-40.
- (2) Deutsch, R.D. (1952), "The Growth of Nations: Some Recurrent Patterns", **World Politicss**, vol. 5, pp. 168-195.
- (3) Dikshit, R.D. (1975), **The Political Geogrophy of Federalism: An Inquiry into Origins and Stability**, London & Delhi, Macmillan; New York, John Wiley.
- (4) Hartshorne, R. (1954), "Political Geography" in: James, P.E. and C.F. Jones (eds.), **American Geography: Inventory and Prospect**, Syracuse, Syracuse University Press.
- (5) East, W.G. (1937), "The Nature of Political Geography", **Politica** vol. 2, pp. 259-286,
- (6) Burghardt, A. (1969), "the Core Concept in Political Geography: A Definition of Terms", **Canadian Geographer**, vol. 13, pp. 349-353.
- (7) Weigert, H. et al. (1957), **Principles of Political Geography**, New york, Appleton Century Crofts.
- (8) Philbrick, A.K. (1963), **This Human World**, New York, Joh Wiley.
- (9) De Blij. H.J. (1973), **Systematic Political Geography**, New York, John Wiley.

- (10) Whittlessey, D.S. (1939), **The Earth and the State**, New York, Holt and Co.
- (11) Spate, O.H.K. (1942). "Factors in the Development of Capital Cities" **Geographical Review**, vol. 32, pp. 622-631.
- (12) Dikshit, R.D. (1980). **op.cit.** p. 93.
- (13) Spate, O.H. (1942). **op. cit.** p. 627.
- (14) James. P.E. an S. Faissol. (1956). "The Problem of Brazil's Capital City". **Geographical Review**, vol. 46, pp. 301-317.
- (15) Crease, D. (1962), "Progresss in Brasilia", **Architectural Review**, vol. 133. p. 257.
- (16) Murphey, R. (1956-57). "New Capitals of Asia", **Economic Development and Cultural Change**, vol. 5, pp. 216-243.
- (17) Hamdan, G. (1964). "Capitalss of New Africa". **Economic Geography**, vol. 40., pp. 418-439.
- (18) Murphey. R. **op.cit.** p. 225.

الفصل الرابع

الحدود السياسية «جغرافياً»

- مقدمة
- التخوم والحدود
- تصنيف الحدود السياسية
- أولاً : التصنيف التكويني أو الوظيفي (الحدود السابقة - الحدود اللاحقة - الحدود المنطبعة - الحدود الأثرية).
- ثانياً : التصنيف المورفولوجي أو الوصفي (الحدود الطبيعية - الحدود الهندسية- الحدود الأنثروجغرافية).
- الأهمية المتغيرة للحدود الدولية باعتبارها عنصراً مؤثراً في علاقات الدولة.
- مراجع الفصل الرابع.

دراسة الحدود السياسية «جغرافيا»

مقدمة :

على الرغم من أن مصطلحي الحدود Boundaries والتخوم Frontiers تتداخل معانيهما في العلوم غير الجغرافية، إلا أن الأمر يختلف في الجغرافيا السياسية. فكل منهما له دلالة مختلفة، ولا يمكن اعتبارهما متشابهين. فالحدود هي الخطوط التي تشكل الإطار الخارجي للمساحة التي تقع تحت سلطة الدولة. أما التخوم فهي مناطق مختلفة المساحة تفصل بين سكان دولتين. وتمثل مساحات للصلاحيات الحدية حيث إن الدولة التي لها تخوم مشتركة لا يوجد لديها الرغبة في تحديد حدودها السياسية. لذلك فإن الحدود والتخوم تمثلان مرحلتين من تطور ظاهرة واحدة، وهو ما يفسر تداخل معانيها أحيانا.

وقبل أن يتم تقسيم سطح الأرض إلى دول مستقلة، كانت هناك مناطق غير أهلة بالسكان تستخدم كحواجز للحماية تستطيع وراءها أن تنمو الدول في أمان نسبي تدريجيا، هذه الحواجز تم استيطانها لاحقا. نظراً لأن التخوم تم دمجها مع أرض (مساحة) الدول، وهكذا تم استبدال مناطق التخوم بخطوط الحدود، وهذا التبديل فرضته طبيعة الدول المعاصرة والتي التزم تطورها بضرورة تأسيس حدود جغرافية واضحة لتحديد مناطق سلطاتها ومنظماتها وحماية سكانها وأنشطتها الاقتصادية من المؤثرات الخارجية وتحديد المناطق التابعة لها إداريا، والتي تكفل لها حق الدفاع ونشر النشاط التجاري... وغير ذلك من الأنشطة. وتطلب ذلك وجود حدود واضحة لمناطق التخوم Frontier areas ثم تطور إلى حدود دولية غير قابلة للخطأ بدونها يتقلص النظام المعاصر للدولة ويتحول إلى حالة فوضوية حيث يصبح من المستحيل تحديد موضع إبتداء سلطات دولة موقع ابتداء سلطات دولة أخرى.

الحدود والتخوم :

يتضح الفرق بين الحدود والتخوم من خلال تتبع معانيهما في إيتمولوجيا Etymology (وهو العلم الذي يعنى بدراسة أصل الكلمات وتاريخه) الكلمتين.

فالتخوم Frontiers هي المنطقة التي تقع في المقدمة أو منطقة الظهير لأي دولة، ولهذا كان يطلق عليها أحياناً الأرض الأمامية Foreland أو المنطقة الحدودية March وبالمثل في إيتومولوجيا فإن الحدود Boundaries تعنى تلك الخطوط التي تحد وحدة سياسية. وإن كل ما هو داخل هذه الحدود يربطها بعضها البعض برباط قومي. و تعد الحدود المصطلح الذي يلائم المفهوم المعاصر للدولة كوحدة مستقلة.

ونظراً لأن سيادة الدولة سيادة مساحية Territoria، فإن المساحات التي تحكمها الدول يجب أن يتم تحديدها بوضوح. وقد أوضح كريستوف^(١) Kristof الفارق بين الحدود والتخوم فيما يلي :-

١- التخوم ذات دلالة خارجية في حين أن الحدود ذات دلالة داخلية. ففي حالة التخوم يكون الاهتمام الأساسي منصباً على المناطق الخارجية والتي تشكل مصدر خطر، وأيضاً غنيمة مشتهاة. أما الحدود فهي على العكس ذات دلالة داخلية حيث يتم ترسيمها والحفاظ عليها بواسطة الحكومة المركزية

٢- تمثل التخوم نتاجاً لقوى الطرد المركزية «أى المناطق المجاورة التي ترغب في تفتيت الدولة» في حين أن الحدود هي نتاج للتجانس والتماسك داخل الدولة. وهذا التمييز تم اشتقاقه من التوجه الخارجى والداخلى للمنطقة وعلاقته بالمعمور.

٣- التخوم Frontiers عامل تكامل Integrating Factor بين الدول الواقعة على جانبيها، في حين أن الحدود عامل فصل Separating factor بكونها منطقة انتقالية (متوسطة) ما بين منطقتين مختلفتين في أساليب المعيشة. والتخوم توفر فرصة ممتازة للتداخل المتبادل بين المجتمعاتفى كل من الدولتين، ولذا فإن التخوم عامل تكامل على النقيض، فإن العديد من العوامل الطبيعية والثقافية والسياسية جعلت من الحدود حواجز تعرقل التكامل عبر الخطوط الحدودية.

٤- التخوم مناطق انتقالية بين الأقاليم الجغرافية، وليس بين الدول وعلى ذلك فهي جغرافية في طبيعتها، وليست سياسية. وعلى العكس نجد أن الحدود سياسية في أصلها ووظيفتها.

٥- تشكل التخوم طبيعة مساحية Areal في حين أن الحدود ذات طبيعة خطية Linear فالتخوم يمكن وصفها بأنها طبيعية حيث إنها جزء من سطح الأرض. في حين أن الحدود ظاهرة صناعية اختارها وحددها ورسمها الإنسان.

٦- تنتمي ظاهرة التخوم إلى الماضي، أما الحدود فتنتهي بصورة كبيرة إلى الحاضر، حيث إن الحدود شيء لاغنى عنه في العالم المعاصر.

٧- أخيراً، فإن التخوم سواء أكانت ظاهرة طبيعية أم لغوية أم دينية أم عرقية، لا يمكن تحريكها، فهي قد تتغير فيما يتعلق بوظيفتها الحدودية ولكنها، تبقى في ذات المكان الذي كانت به. أما الحدود فهي بكل المقاييس غير ثابتة فحتى الحرب العالمية الثانية كان كل نزاع بين أي دولتين متحاربتين يصاحبه تغيير في موقع الخطوط الحدودية.

تصنيف الحدود الدولية :

هناك نظامان مستخدمان في تصنيف الحدود الدولية : أولهما التصنيف الوظيفي، والذي يعتمد على طبيعة العلاقة بين خط الحدود، وإنتشار المظاهر الثقافية للدولة فالمفروض أن تكون الحدود فاصلة ومحددة لهذه الثقافات.

فحدود بعض الدول في العالم المعاصر تم تحديدها ورسمها قبل أن يتم استيطانها. وفي بعض الدول فحدودها رسمت بعد أن اكتملت المظاهر الثقافية للمجموعة السكانية في المنطقة وفي مثل هذه الحالات، فإن مناطق التخوم قد تضمها الدولة، ويتم تبديلها بخطوط حدودية من خلال مراحل طويلة من التعديل وفقاً للتحديد الدقيق.

ثانياً : يمكن تصنيف الحدود على أساس مكانها ومدى ثباتها فوق سطح الأرض، فقد تم تعيينها تبعاً للملامح الطبيعية الواضحة مثل : الجبال أو الأنهار أو البحيرات أو المستنقعات أو أطراف الغابات والصحارى، وهذه يطلق عليها الحدود الطبيعية.

وأيضاً قد يتم ترسيم الحدود تبعاً لخطوط هندسية (أى : الحدود الهندسية) أو يتم رسمها للفصل بين المجتمعات العرقية (أى : الحدود العرقية أو الحدود الأثروجغرافية)، وتتطلب معظم الحدود الكثير من المنايير لتخطيطها أو تعيينها. وعلى ذلك فإن معظم الحدود ذات طبيعة معقدة. وهذا التصنيف المبني على أساس شكل الحدود الدولية يطلق عليه التصنيف المورفولوجي.

أولاً : التصنيف التكويني Genetic أو الوظيفي :-

وهذا التصنيف وصفه هارتسهورن عام ١٩٣٩، ويهدف إلى ربط نشأة الحدود بوقت وجود المظاهر الحضارية واختلافها في المنطقة عند ترسيم هذه الحدد ويمكن الاستدلال على نمطين مختلفين : نمط الحدود التي نشأت قبل مظاهر الحياة البشرية Nomenclature، ونمط الحدود التي نشأت بعدة وينقسم كلاهما إلى أنواع وهي :-

(١) الحدود السالفة (السابقة) Antecedent

هي حدود تم ترسيمها قبل تطور معظم المظاهر الحضارية أو تها، أى : هي حدود شائعة في دول العالم الجديد حيث إن تعيين الحدود اندرته مساهم نفوذ القوى الاستعمارية المتنافسة تم الاتفاق عليه على مائدة المؤتمرات قبل أن يتم استكشاف المناطق المعنية واستعمارها. وفي هذه الحالة تم اعتبار تلك الحدود حدوداً طبيعية قامت الدول المتجاورة بتكييف تطورها التسياسى الاجتماعى تبعاً لتلك الحدود منذ البداية. رغم طبيعة الحدود المتحركة والمتغيرة، فتلك الحدود تمثل حدوداً ثابتة وخطوطاً فاصلة ناجحة بين الدول، ومثل تلك الحدود هي الحدود ما بين أمريكا وكندا.

(٢) الحدود اللاحقة (التالية) : Subsequent

الحدود اللاحقة هي التي تم تحديدها وتخطيطها بعد تطور المعالم الحضارية أو تقدمها. تلك الحدود خططت وفقا للتقسيمات السياسية العريقة، وخاصة تقسيمات اللغات والأديان. ومثل تلك الحدود هي التي توجد في شرق أوروبا أو الموجودة بين الهند وباكستان.

(٣) الحدود المنطبقة المفروضة Superimposed

وهي حدود لاحقة لكنها من نوع خاص، ومثل هذه الحدود قد تم تعيينها بعد التطور الكامل للمعالم الثقافية للدول. وفي حين أن الحدود اللاحقة رسمت على أساس تقسيمات ثقافية بين المجتمعات المعنية. وتم تحديدها بعد مفاوضات، وتجد أن الحدود المفروضة تم فرضها على المجتمعات المعنية بواسطة قوى خارجية أو بواسطة الدولة الأقوى وتمثل، الحدود الاستعمارية في مناطق الاستيطان بأفريقيا تلك الحدود. وهي أيضا حدود فرضت لتفصل بين أفراد مجتمع واحد وتقسمه إلى دولتين أو أكثر فمثلا : شعب الإيفي (٧١٥ ألف نسمة) مقسم بين كل من غانا وتوجو وشعب الصومال المقسم بين ثلاث دول (بريطاني - فرنسي - إيطالي). بالمثل وهناك حدوداً خطوط الهدنة Truce Line Boundaries كتلك الموجودة بين كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية. وقد تتلاشى هذه الحدود لاحقا عندما تتغلب الدول عليها بتوحيد الشعوب مثل : جمهورية الكمرون وفيتنام والصومال واليمن وألمانيا.

(٤) الحدود الأثرية: Relict Boudaries

وهي تمثل الحدود السياسية التي فقدت وظيفتها السياسية، ولكنها مازالت موجودة في المعالم الحضارية، ومثل هذه الحدود تجدها عندما تحتوي دولة كبيرة أخرى صغيرة أو عندما يتم تجاهل الحدود السابقة، ويتم إعادة

رسمها لتحديد التقسيمات الحضارية، وكما أشار هارتسهورن أن مثل هذه الحدود قد نجدتها بين روسيا وألمانيا في المنطقة الصناعية سيسيليا Silesia وذلك من خلال ملاحظة (دراسة) الأسلوب الهندسى للمنازل والمنشآت العامة والتي اختلفت من امبراطورية إلى أخرى. وهناك مثال آخر مثل تلك الحدود هي التي تقع بين بولندا وألمانيا، أو تلك الموجودة بين أمريكا الإسبانية المكسيك والأقليم الجنوبي الغربى من الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: التصنيف المورفولوجى الوصفى Morphological

ويربط هذا التصنيف بين الحد السياسى والمظاهر الطبيعية التى تمر بها من جبال أو هضاب أو مسطحات مائية أو بحيرات أو سبخات ومستنقعات أو صحارى وما إلى ذلك. ويمكن تقسيم هذه الحدود إلى قسمين:

الأولى وهى الحدود الإصطناعية Artificial، وهى صنعها الإنسان لتسير مع مظاهر بشرية ثقافية.

والثانية، وهى الطبيعية التى تسير مع ظواهر طبيعية مختلفة، وفيما يلي عرض لكل منها :-

الحدود الطبيعية:

وهى الحدود التى يتم رسمها على أساس مظهر طبيعى واضح مثل السلاسل الجبلية أو مجارى الأنهار أو المستنقعات أو الغابات الكثيفة أو الصحارى. ونظراً لأنها تخطط على أساس المظاهر الطبيعية التضاريسية، فأحياناً يطلق عليها الحدود الطبيعية على خلاف الحدود الهندسية أو تلك المبنية على أساس التقسيمات اللغوية أو الدينية، وهى يطلق عليها الحدود الاصطناعية. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا التمييز (الاختلاف) غير صحيح حيث إن كل الحدود من صنع الإنسان، وعلى ذلك فكلها حدود إصطناعية. لذا يجب أن نقول إنها حدود تسير مع الظواهر الطبيعية .

والدول الأوروبية تقدم أفضل مثال لاستخدام هذا النمط من الحدود. فحينما بدأت مرحلة ترسيم الحدود بين دول القارة فإن سلاسل الجبال ومجاري الأنهار والمظاهر الطبيعية الأخرى، والتي كان لها مظهر حدودي، قد تم اختيارها لتكون بمثابة حدود بين الدول. والميزة الرئيسية لتلك المظاهر الطبيعية تكمن في أنها كانت خطوطاً حدودية واضحة في الوقت الذي كان فيه رسم الخرائط وأساليب المسح لسطح الأرض لم يتطور بعد. وعلى ذلك فقد اعتبرت أساساً لرسم الحدود الدولية، واعتبارها حواجز أمنية تحقق الحماية وأصبحت مفضلة باعتبارها حدوداً بين الدول عن باقي أنواع الحدود الأخرى. وفيما يلي عرض موجز لأنواع الحدود الطبيعية:

أ- الحدود الجبلية :

كانت دائماً النوع المفضل لترسيم الحدود حيث إنها تشكل خطوط دفاع طبيعية فضلاً عن كونها ثابتة على الأرض، مما جعلها مستمرة بصورة كبيرة. لكن مع التغيرات والتطورات التي طرأت على وسائل النقل والاتصال واختراع الطيران قلت القيمة الدفاعية للحدود الجبلية.

وفي خرائط الحدود السياسة ذات المقياس الصغير نجد أن الجبال تظهر في صورة خطوط تقسيم ذات قيمة، إلا أن الدراسات المفصلة أظهرت أن مناطق الجبال لها وحدة وظيفية خاصة بها. فلا تعنى وعورتها استحالة الانتقال بين أجزائها ولا تشكل عوائق أمام البشر. فلم تجد جبال روكي من توغل الرواد الأوائل صوب الغرب. كما أن الجبال لم تكن عائقاً أمام تقسيم دول أمريكا الوسطى. وقد تكون بعض حواف الجبال في المناطق الجبلية أسهل في عبورها من الأودية.

ويعيب الحدود الجبلية أنها سكنى مفضلة لجماعات بشرية متجانسة ذات حضارة واحدة. وتقسيم الجبال بين الدول يعنى إعاقه حركة الهجرة الفصلية Transhumance⁽³⁾ لهؤلاء الرعاة. وينتشر هذا النمط من الحدود الجبلية بين كثير من دول العالم. مثل: الحدود الهندية الصينية لمسافة تزيد

عن ٣٥٠٠ كيلومتر. والحدود بين شيلي والأرجنتين. وبين النمسا وإيطاليا وبين فرنسا وإيطاليا. وبين فرنسا وأسبانيا، وبين بولنده وجمهورية التشيك وبين السويد والنرويج.

(ب) الأنهار كحدود دولية:

كثير من الحدود الدولية رسمت على أساس مجارى الأنهار حيث تتعدد مميزات اختيارها باعتبارها حداً سياسياً لذلك:

١- تظهر بصورة واضحة على الخرائط على صورة خط مثل الحد السياسى تماماً.

٢- تمثل ملامح طبيعية واضحة على سطح الأرض على خلاف الجبال واسعة الانتشار.

٣- تعتبر الأنهار الواسعة قنوات اتصال، وعلى ذلك كان لها قيمة حربية لأنها توفر خطاً دفاعياً ومانعاً مائياً. ويصعب على الجيوش الغازية اجتيازه.

وعلى الرغم من المميزات السابقة لاختيار الأنهار باعتبارها حدوداً فلقد أثبتت عدم صلاحيتها، وذلك لأن أحواض الأنهار لها تأثير موحد وليس مفرق. حيث إن الأنهار تمثل قنوات للنقل والتحريك، مما يشجع التبادل التجارى والاجتماعى. وأحواض الأنهار تضم بين جنباتها سهولاً فيضية خصبة تجذب أعداداً سكانية مرتفعة الكثافة. فإن استخدام الأنهار كونه حداً دولياً يعنى تفرق فى المجتمعات الزراعية المتماسكة اجتماعياً، والتي تعيش فى أمان على ضفاف الأنهار وتخلق صعوبات فى استخدام مياه النهر وإدارتها.

وتستخدم الأنهار على أنها حدود إدارية داخل الدولة. وتسد م. أيف على نطاق واسع كحدود دولية لتفصل بين القوميات والدول المختلفة. وفيما يلي عرض موجز لكل منها:

١ - الأنهار باعتبارها حدوداً إدارية داخلية :

تستخدم الأنهار في معظم الأحيان كحدود بين المحافظات والأقاليم داخل الدولة. فالأنهار والمجاري المائية التي يصعب اجتيازها أو يتخوف الناس من عبورها تشكل حدوداً واضحة المعالم لهذه الوحدات الإدارية. وهناك أمثلة كثيرة لحدود الأنهار الداخلية. ففي مصر فالحدود بين محافظات الدلتا عادة ماتسير مع النيل أو فروعها وقنواته المائية مثل حدود محافظة المنوفية مع القليوبية شرقاً والجيزة غرباً، ومحافظة الغربية مع البحيرة غرباً والدقهلية شرقاً وحدود محافظة البحيرة مع كفر الشيخ.

أما حدود محافظات الوجه القبلي فإنها لا تسير مع النيل حيث تمتد مراكز العمران غالباً في الجانب الغربي، والامتداد الشرقي غالباً ما يقل به العمران أو بعض المناطق الزراعية في بعض المحافظات «باستثناء أسوان».

وفي استراليا يفصل نهر موراي Murray بين مقاطعتي نيوسوث ويلز وفيكتوريا. وفي الولايات المتحدة نجد الأنهار أكثر استعمالاً في الحدود الإدارية. فالمسيبي وأوهايو غرب الأبلاش يعتبران وروافدهما حدوداً إدارية بين الولايات. وفي الواقع فإن كل الدول التي تخترقها أنهار، فإنها تستخدم بنجاح حيث إنها حدود بين مقاطعاتها.

٢ - الأنهار كحدود دولية :-

يعد استخدام الأنهار - كحد سياسي دولي - من أكثر الأساليب المتبعة في ترسيم الحدود بين الدول في كافة قارات العالم. ففي آسيا فإن نهر الميكونغ Mekong (بين تايلاند ولاوس). ونهر الآمور Amur بين الصين وجمهورية روسيا. ونهر أموداريا Amu-Darya في جزئه الأعلى يفصل بين أفغانستان وجمهورية طاجكستان. أما في أوروبا لم تستعمل الأنهار كثيراً كونه حدوداً دولية إلا في مناطق محدودة في نهر الراين Rhin ونهر الدانوب Danube فهناك أجزاء من حدود سويسرا مع ألمانيا، وبين ألمانيا وبولندا (الأودر).

والحدود بين فرنسا وألمانيا وبين رومانيا وبلغاريا تسير مع الأنهار. وفي أفريقيا فإن الحدود بين جمهوريتي الكونغو تسير مع نهر الكونغو. ويفصل نهر الأورانج أراضي جنوب أفريقيا عن ناميبيا. ونهر اللمبوبو يفصل بين جنوب أفريقيا وزيمبابوي.

وفي الأمريكتين. فقد لجأ الساسة إلى ترسيم الحدود الدولية لتتفق مع الأنهار، وفي أمريكا الجنوبية تسير الحدود مسافات طويلة على مجرى نهر البوتومايو ونهر الأورجواي Putumayo (بين كولومبيا وبيرو) وأجزاء من جوبوري Guapore (بولكومايو Bilcomayo (بين الأرجنتين وباراجواي) ونهرى الأورجواي ونهر بارانا Parana (بين البرازيل والأرجنتين)

أما في أمريكا الشمالية، فإن الحد الشمالي للولايات المتحدة مع كندا تسير في معظمها مع الحدود المائية نهرياً أو بحيرية. ويصل طول الحدود المائية بين الدولتين إلى حوالي ٢١٩٨ ميلاً تقريباً (٥٥٪ من طول الحدود). وتسير الحدود المكسيكية وحدود الولايات المتحدة الأمريكية مع الحدود النهرية لمسافة تبلغ ١٢١٠ ميل على طول نهر ريوجراند Rio Grande وإمتداد يصل إلى عشرين ميلاً مع نهر كولورادو في أقصى الغرب.

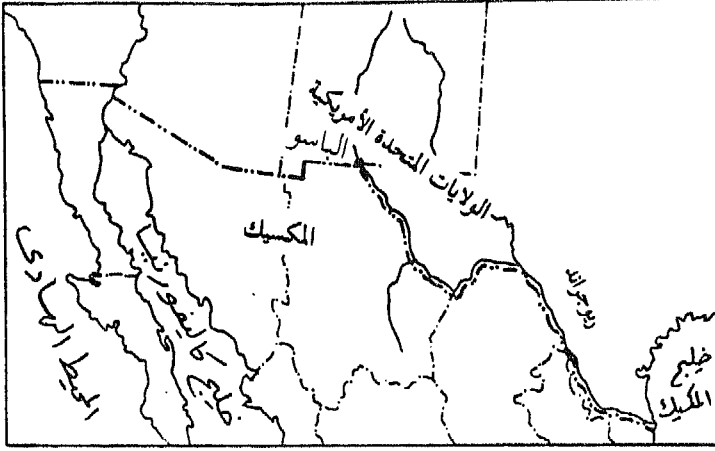
المشكلات المرتبطة بالأنهار كحدود سياسية :-

تواجه تحديد الحدود النهرية وترسيمها عدة مشكلات معقدة، وخاصة في المناطق المأهولة بالسكان ونوجزها في نقطتين :-

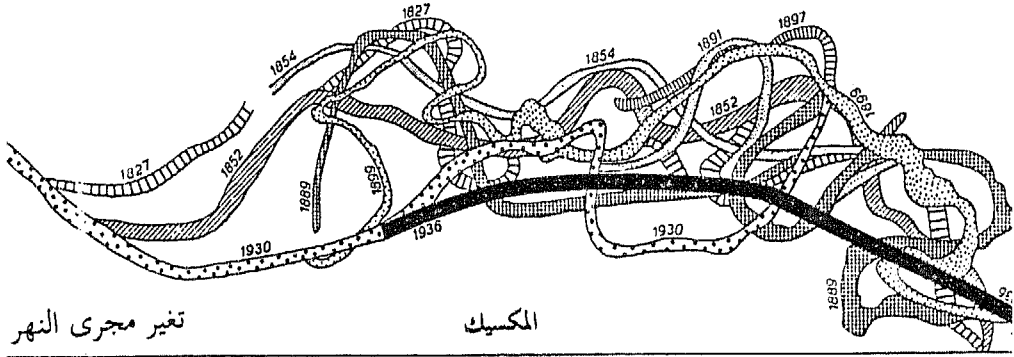
١ - قد تغير الأنهار مجاريها.

٢ - تقسيم مائة النهر بين الدول، وخاصة المناطق الجافة.

وتزداد مشكلة النهر كونه حداً سياسياً إذا كان مجرى النهر غير مستقر. ومن ثم يمكن أن يثير المشكلات من وقت إلى آخر. وفي هذه الحالة يكون الحل الأفضل ولتحاشي المشكلات المستقبلية - هو كبح جماح النهر وتثبيت مجراه بالإنشاءات الهندسية «سدود» باتفاق الطرفين.



الولايات المتحدة الأمريكية



تغير مجرى النهر

المكسيك

شكل رقم (٤-١)

نهر ريو جراند كمثال لاستخدام الأنهار في الحدود الدولية

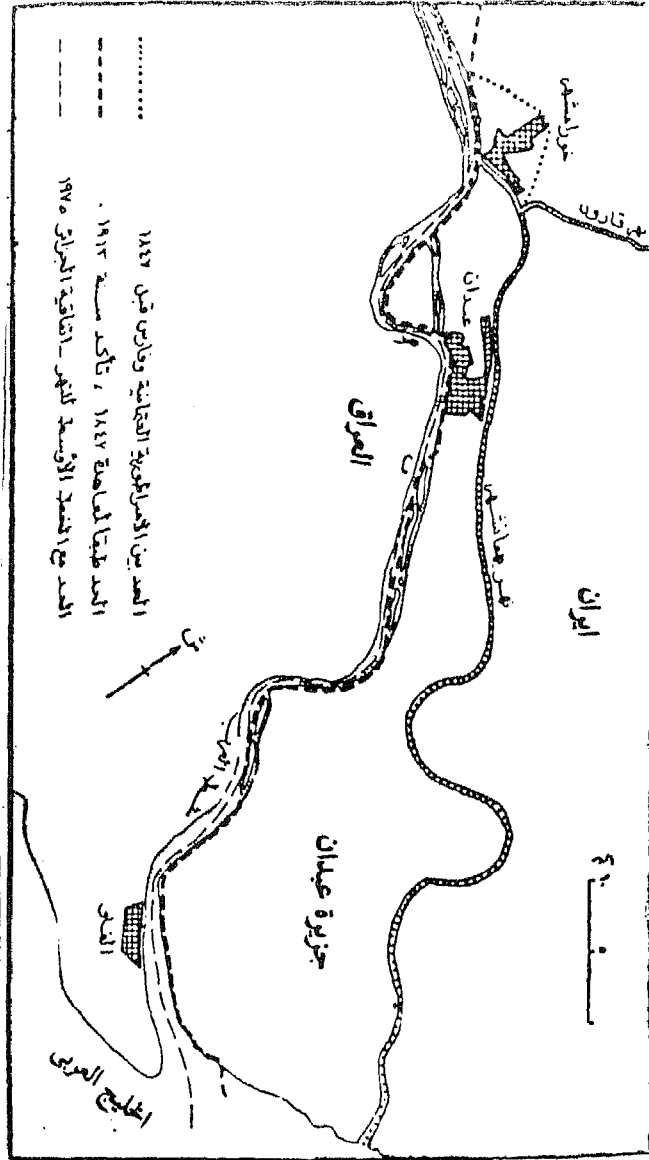
وأكثر الأمثلة تعبيراً عن مثل تلك الصعوبات المرتبطة باختيار الأنهار كحدود بين الدول، هي حالة الحدود الأمريكية المكسيكية عبر نهر الريو جراند Rio Grande في الشرق، فنهر ريوجراند ينحدر من الباسو El Passo ويمر من خلال سهول فيضية واسعة، وهذه السهول التي يشكلها النهر لها مسار متعرج ذو موقع متغير بصفة دائمة، مما أدى إلى تغير مجرى القناة الرئيسية فقيما بين عامي ١٩١٧، ١٩٣٣ إرتفع قاع النهر بسبب الإطماء الأكثر من ٨ قدم مما أدى إلى تغير مجرى النهر وكان من نتاج ذلك تقسيم الأراضي الناجمة عن تغير المجرى (٣٥٠٠ هكتار) بين الدولتين (٤) وفي عام ١٩٣٣ تم إعداد برنامج للتحكم في الفيضان وتعديل مسار نهر ريوجراند. وحالياً يمثل خط المنتصف لأعمق نقط في مجرى النهر الخط الفاصل بين الدولتين

وعلامات الحدود من الصعب وضعها في المياه وخاصة إذا كان النهر يجري بسرعة أو يستخدم في الملاحة وصيد الأسماك. وعلامات الحدود تظهر على الخرائط فقط. ويتم التحديد الدقيق للحدود النهرية بعدة طرق (٥) مثل:

- ١- تلتزم الحدود بأحد شطوط النهر.
- ٢- الخط المتوسط في مجرى النهر.
- ٣- محور الوادي «أكثر النقاط عمقاً في قاعة».
- ٤- الخط المحدد بواسطة المحكمين والقوانين الدولية.

والنوع الرابع هو السائد حالياً باتفاق الدول فيما بينها. أما النوع الأول فإنه نادر الحدوث والمثال الرئيسي له هو الحد الشمالي الشرقي للعراق مع إيران في منطقة شط العرب.

حيث تم في عام ١٩١٤ رسم الحدود لتسير بمحاذاة خط المياه في الضفة الإيرانية ومن ثم فهو يحرم إيران من استعمال النهر للملاحة. لذا نشأت عدة منازعات بين البلدين على شط العرب قبل توقيع إتفاقية صداقة بين البلدين. وقضت الإتفاقية بعمل منافذ لإيران على شط العرب في منطقتي عبادان وخور مشهر Khoriamashar (انظر الخريطة رقم ٤-٢).



شكل رقم (٤-٢)
الحدود النهرية بين العراق وإيران في منطقة شط العرب

والنوع الثالث لا ينتشر كثيرا بين الدول: أما النوع الثاني، وهو رسم علامات أو تحديد الخط بوسط النهر، ينتج عنه دائماً عدة مشكلات مع تغير مجرى النهر مثلما رأينا في الحدود الأمريكية المكسيكية. أو بين الأرجنتين وشيلي في منطقة التقاء ريو بالينا Rio Palena مع نهر ريو إينكونترورو Rio Encuentro التي تغيرت بتغير مجرى النهر وانتهت المشكلة بالتحكيم الدولي في عام ١٩٦٦ لصالح شيلي.

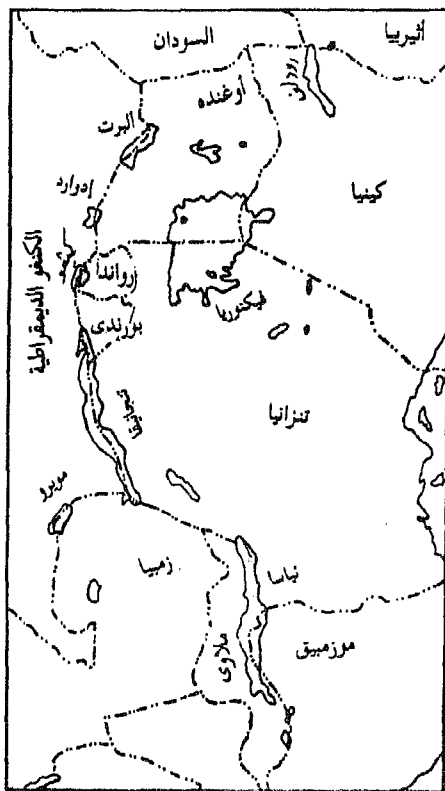
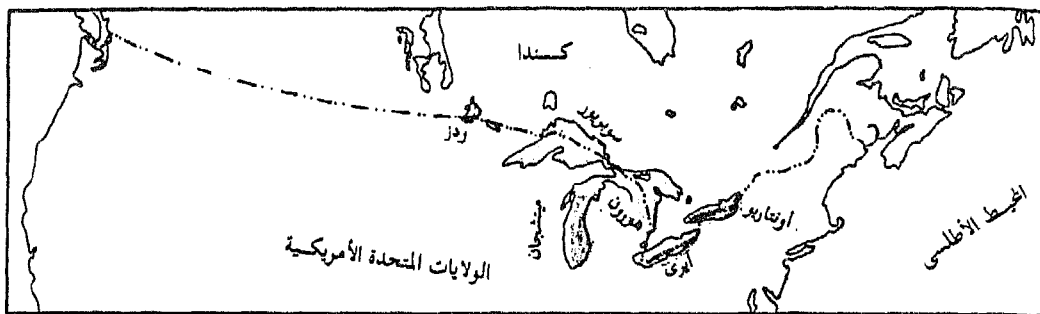
ج- الحدود في مناطق البحيرات :

أما في مناطق البحيرات فإن المشكلة أقل حدة لاتساع المسطح المائي وأستقرار حركة المياه وأصبح من السهل تحديد خط الحدود الدولية في المناطق الوسطى إذا كانت البحيرة تقع بين دولتين مثل الحدود الأمريكية الكندية في بحيرات إيرى وأونتاريو وهورن وسوبريور. أما في أفريقيا فأشهر الأمثلة للحدود تلك التي تسير داخل بين بحيرة تنجانيقا بين تنزانيا والكونغو الديمقراطية. وبحيرة إدوارو بينها أوغنده. وأيضاً بحيرة كيشو التي تفصل بين الكونغو أيضاً وبين رواندا. أما إذا كانت البحيرة تقع بين عدة دول، فإنها تقسم بالتساوي بين دول الجوار باتفاق دولي ومثال ذلك بحيرة فيكتوريا بين كل من أوغنده وكينيا وتنزانيا. «انظر الشكل رقم ٤-٣».

(د) الحدود السياسية في أقاليم الغابات والمستنقعات والصحارى:

تعد من مناطق الانقطاع البشري وتمثل فواصل بين الأقاليم (الحضارية). فعلى سبيل المثال فصلت الصحراء على مدى التاريخ ما بين أحواض البحر المتوسط، والتي تسود فيها الحضارة الإسلامية عن مناطق الحضارة الأفريقية الزنجية في الجنوب. كما فصلت بين الروس والفنلنديين وبين الشام وحضارته وساحل الجزيرة العربية الجنوبي.

والمستنقعات: تمثل حواجز حضارية أقل فاعلية، فهي تمثل حواجز (فواصل) بين الدول. فالمستنقعات الموجودة جنوب نهري الراين والميز Rhine & Meuse لم تلعب دوراً قط كمناطق فصل على جوانبها. ومن خلال



شكل رقم (٤-٣)
 مثال للحدود السياسية في البحيرات

تأثيرها العسكرى لعبت المستنقعات دزراً مؤثراً في ترسيم الحدود بين بلجيكا وهولندا. ونادراً ما تستخدم هذه الظاهرة الطبيعية كونها حدوداً دولية بين الدول، وأهم المستنقعات التي يمكن أن تساعد في الفصل بين الدول بوصفها حداً سياسياً، مستنقعات تشاد «غرب بحيرة تشاد» التي تمتد فيها الحدود السياسية لكل من تشاد مع النيجر، ومع نيجيريا، ومع الكمرون.

الحدود الهندسية Geometrical Boundaries

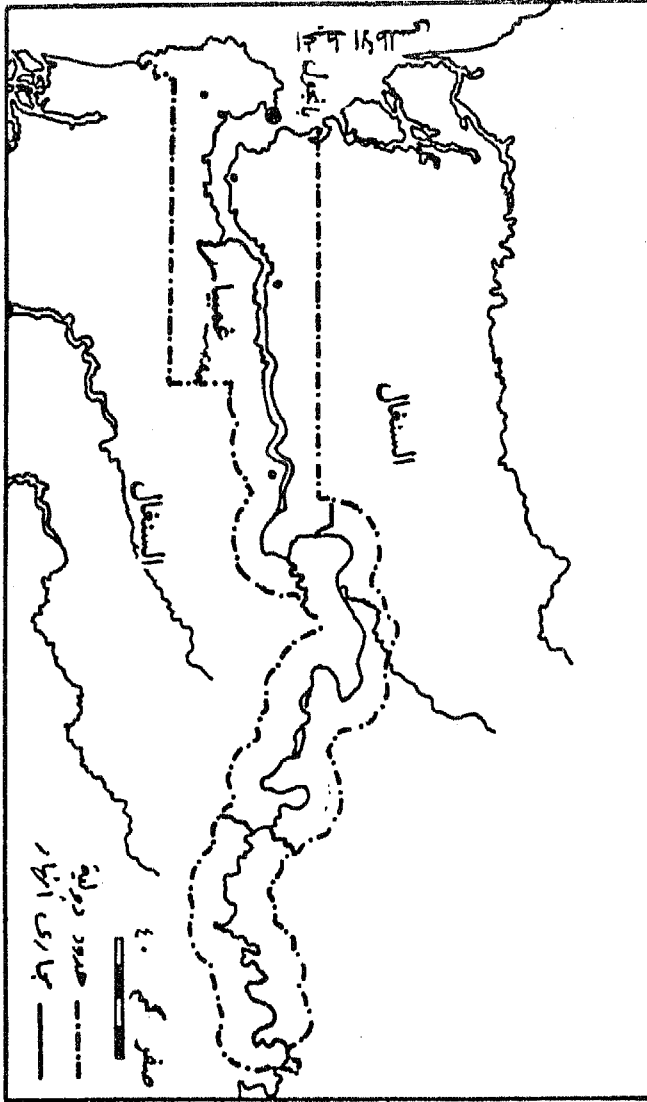
هي خطوط حدود مستقيمة تتبع خطوط الطول ودوائر العرض، وفي بعض المناطق يتم رسم أقواس مركزها نقط ثابتة، مثال ذلك حدود غمبيا في الغرب الأفريقي التي رسمت حدودها على شكل أقواس مركزها نهر غمبيا (شكل ٤-٤).

واتخاذ خطوط الطول والعرض أساساً لتعيين الحدود هو أمر شائع في الأمريكتين وأستراليا وأفريقيا، حيث إن مثل هذه الحدود أحد خصائص المناطق المستعمرة الجديدة.

وقد تم ترسيم تلك الحدود في الوقت الذي لم يتم فيه استكشاف تلك المناطق ولم تتوافر المعرفة الكاملة عن طبيعة الأراضي، وعلى ذلك فإن الخطوط المستقيمة كانت فواصل مناسبة لإقامة حدود بين القوى الاستعمارية المتنافسة. وخاصة في تلك البقاع التي تخلو أو تكاد تخلو من السكان.

والعديد من الحدود الأفريقية المستقيمة الشكل تم تحديدها عام ١٨٨٤-١٨٨٥ في مؤتمر برلين لتحديد مناطق نفوذ القوى الأوروبية الاستعمارية المتنافسة.

أما في دول العالم الجديد (الأمريكتين وأستراليا) فكان للفراغ النسبي للأرض من البشر. وعدم دراية المستعمر بطبيعة الأراضي في تلك المناطق دور مؤثر في إقامة الحدود الهندسية. وكانت تلك الحدود حينئذ لا تثير المشكلات نظراً لترسيمها في المناطق الخالية من السكان. وتتعدد أشكال



شكل رقم (٤-٤)

حدود غمبيا كمثال للحدود الهندسية المستقيمة وعلى أساس أقواس دوائر

١- حدود تسير فعلياً مع خطوط الطول ودوائر العرض :

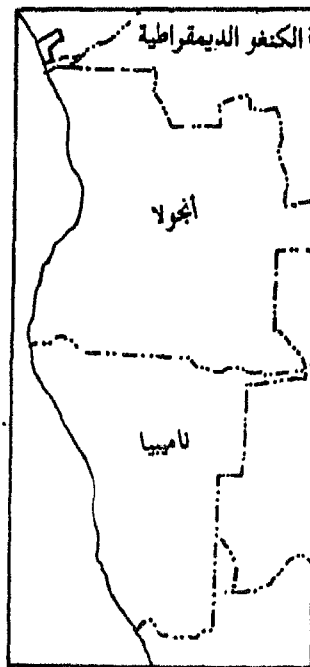
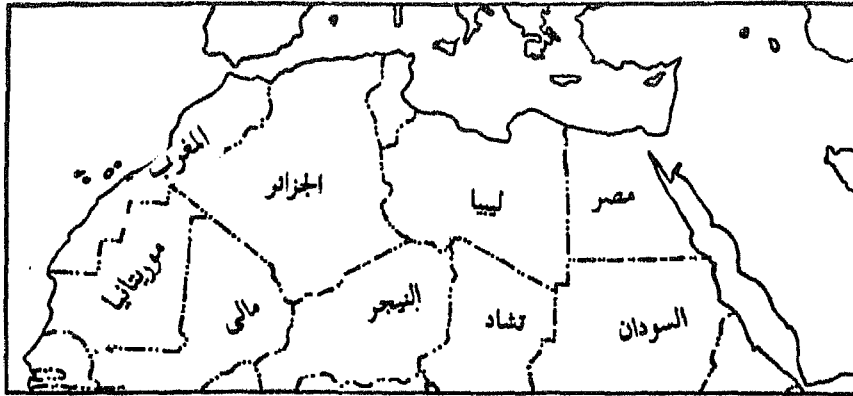
وهي سهلة التوقع نظرياً ولكن يصعب تحديدها فعلياً وغالباً ما تشير المشكلات إذا كانت الاتفاقات التي رسمتها تجهل طبيعة المنطقة التي تخترقها. وأشهر الحدود السياسية التي تسير مع دوائر العرض الحدود المصرية السودانية التي تسير مع دائرة العرض ٢٢° شمالاً. وخط الحد الذي يفصل الكوريتين ويتفق مع دائرة عرض ٣٨° شمالاً. والخط الذي يفصل بين كندا والولايات المتحدة عند دائرة عرض ٤٩° شمالاً. لمسافة لحوالي ٢٤٠٠ كيلو متر.

أما خطوط الطول فتحدد كثيراً من الدول مثل الحد الفاصل بين مصر وليبيا ٢٦° شرقاً. والخط الفاصل بين الاسكا وكندا مع خط طول ١٤١° غرباً. وأهم الخطوط الطولية الخط الفاصل بين روسيا والاسكا «الولايات المتحدة»، والذي يسير مع خط الطول ١٧٠° غرباً، يعتبر خط التوقيت الدولي «يتغير اليوم عند عبوره».

٢- خط مستقيم رسم بصورة هندسية بين نقط معلومة في الطبيعة :-

وخير مثال له غالبية الحدود الأفريقية مثل : حدود ليبيا والجزائر وتونس وموريتانيا وغانا وتوجو ومالي والنيجر. وفي آسيا تمثلها وحدود اليمن مع كل من سلطنة عمان والمملكة العربية السعودية والحدود الأردنية. وهذا النمط الحدودي يعتبر من أكثر الأنواع انتشاراً بين غالبية دول العالم.

وأشهر أنواع الحدود الهندسية التي رسمت على أساس أقواس دوائر كل من خط الحدود الدولية لدولة غمبيا في غرب أفريقيا، والذي يسير موازياً لنهر غمبيا. ولما كان النهر كثير التعاريج Meandering فقد رسمت الحد على أساس أقواس دوائر مركزها يقع على النهر وبأنصاف أقطار متساوية.



شكل رقم (٤ - ٥)
أمثله من الحدود الهندسية

والمثال التي تمثله حدود الدول في قارة أنتاركتيكا «القارة القطبية الجنوبية» على أساس رسم قطاعات من الدائرة التي تتركز عند القطب الجنوبي وأصبح للدول التي تطالب بتملك أراضيها قطاع أرضي على شكل مثلث رأسه عند القطب وقاعدته عند الكتلة اليابسة للقارة.

ثالثاً: الحدود الأنثرو جغرافية Anthropogeographic Boundaries

هي حدود رسمت للفصل بين مجتمعات سياسية متجاورة تتحدث بلغات مختلفة أو تتبع ديانات مختلفة أو مقسمة تبعاً لعناصر ثقافية أخرى تعبر عن الفروق القومية بينها.

هذه الحدود هي أحد ملامح فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى حيث تم تعديل الحدود في أوروبا الوسطى والشرقية بيمين الجنسيات المختلفة لتصبح كل جنسية ممثلة في وحدة سياسية مستقلة. وخير مثال لهذا النوع من الحدود هي حدود المكسيك والولايات المتحدة والحدود الهندية الباكستانية والحدود الهندية البنجلاديشية بين المسلمين والهندوس. التي رسمت على أساس ديني.

والأفراد الذين يتحدثون لغات مختلفة ويتبعون ديانات مختلفة غالباً لا يعيشون في مساحات محدودة ومعرفة بدقة. وأحياناً يتداخلون في المجتمع في صورة أقليات متماسكة. وعملية التوزيع الجغرافي للعناصر العرقية على أساس السيادة السياسية قد يتطلب عمليات نقل للسكان واسعة النطاق ينتج عنها العديد من المصاعب للأفراد الذين يتم نقلهم. فمشكلة اللاجئين عند حدود الصرب والبوسنة والهرسك في عام ١٩٩٧ هي أوضح مثال لعمليات تبادل عرقي واسعة النطاق في العصر الحديث. كان من نتائجها العديد من المآسي الإنسانية. كذلك فإن المثال الهندي الباكستاني يجسد كيفية إرباك الخطوط الحدودية للوحدة الاقتصادية في المنطقة، وكيف أنها خلقت مشكلات خطيرة على مستوى الدول والأفراد.

ورسم الحدود على أساس أثنوجرافى يعد من أفضل أنواع الحدود السياسية. ولكن للأسف، فإن عدد الدول التى ترسم حدودها على أساس الفصل الثقافى قليلة لأن مناطق الحدود غالباً ماتكون مأهولة بالسكان فى المناطق المعتدلة والديفئة، ومن ثم فإنها تصبح مناطق اختلاط حضارى واضح. وتصبح الحدود الانثروجرافية «أو الأثنوجرافية» واضحة، وتصبح عامل فصل حقيقى إذا ما أرتبطت بعوائق طبيعية مثل: الحدود الفرنسية الإسبانية «جبال البرانس» وينتج دائماً عن رسم الحدود فى المناطق المأهولة وجود أقليات داخل حدود الدول، ويتم التغلب عليها أحياناً بحركة تبادل بين الدولتين أو تنصهر هذه الأقليات مع الدولة الجديدة. أو تظل منطقة جيب Clave للدولة داخل جارتها.

الأهمية المتغيرة للحدود الدولية المؤثرة في علاقات الدول

منذ أكثر من تسعين عاماً مضت، كتب كرزون^(٧) Curzon عام ١٩٠٨ أن الحدود (أو التخوم) بمثابة حد السيف المعلق عليه مسألة الحرب أو السلام أو الحياه أو الموت للأمم. وبعده بثمانى سنوات لاحظ اللورد هولديش^(٨) Holdich أن فى التاريخ المعاصر للعالم كانت معظم الحروب الهامة والصراعات الدولية التى أدت إلى حتمية الحرب كانت صراعات حول الحدود

وفى الوقت الحاضر ونحن على مشارف الألفية الثالثة، ومنذ كتابات هولديش وكرزون، لم يتغير معنى الحدود السياسية عن ذلك كثيراً. بل وأصبحت أقل أهمية. ويعود الفضل للمنظمات الدولية التى يطالب بعضها بحرية التجارة ويطلب البعض الآخر بحرية التحرك والعمل، مما أدى إلى حرمان الحدود من وظيفتها. ومع الانفتاح وزيادة المد الثقافى قل التعصب القبلى والقومى، مما أدى إلى زوال عدم الثقة بين الأفراد والمجتمعات. وإلى حد ما فإن مشكلات الحدود طغت عليها المشكلات الداخلية التى لها ضرورة وأهمية أكبر. وأصبحت المطالب الحدودية بين الدول الأوربية ومعظم دول العالم منعدمة فى وقت تسعى فيه كل الدول إلى التحالف الإقليمى الاقتصادى والعسكرى، بل يسير العالم بخطى واسعة نحو العالمية وكلما ابتعدت الدولة جغرافياً وأيديولوجياً عن مناطق القلق بين القوى العظمى، كلما خفت صراعات الحدود. وإثارة مشاكل الحدود قد يأتى من الخارج. وكما كتب إستيفن جونز Stephen Johnes منذ خمسين عاماً مضت أن المصدر الأساسى للصراعات الحدودية هو الحالة الاقتصادية فضلاً عن ترسيم الخط الحدودى نفسه. وعلى ذلك فإن كل تغيير لمواقع الحدود يضمن السلام. بالفعل حتى وإن تم حل المشكلة الحدودية التى تهدد سلام الأمم، فإن الصراع يظل باقياً. والحدود ستظل أبداً كحد السيف^(٩).

الحدود كحواجز اقتصادية Boundaries as Economic Barriers

في كتاباته القوية التي نشرت عام ١٩٣٢، ابتعد بوجز^(١٠) Boggs تماماً عن المنظور التقليدي لدراسة الحدود في الجغرافيا. قام بوجز Boggs بانتقاد الدراسات السابقة في هذا المجال. وقد أسف لاعتقاده بالإفتراس الخاطيء بأن الحدود لها وظيفة منتظمة وساكنة (غير متغيرة)، ولقد لفت الانتباه إلى أن وظائف الحدود في تغير مستمر ونادى بأن تؤخذ مثل هذه الوظائف المتغيرة للحدود السياسية في الاعتبار

وقد عرض بوجز أول محاولة لإيجاد مدخل علمي يقيس أثر الحدود على حركة المواصلات في دراسات الجغرافيا السياسية. وعلى الرغم من أن هناك محاولات سابقة قام بها هارتسهورن من خلال دراسته (الحدود السياسية والجغرافية) في منطقة سيليزيا العليا (١٩٣٣) وتعتبر تلك الدراسة أول دراسة جغرافية تحليلية لأثار التغيرات الحدودية.

ومنذ السنوات التالية للحرب العالمية الثانية كان الاهتمام الرئيسي في دراسة الحدود في الجغرافيا السياسية متعلقاً بالتصنيف والتحديد والتعيين وكان ذلك أمراً طبيعياً خلال الفترة التي كان فيها الدارسون للسياسية مهتمين بالبحث حول أسباب الصراع الذي ينشأ بين الدول وكيفية تجنبه.

أما بعد نهاية الحرب بدأت الأمور تتغير وبدأ الاهتمام بدراسة الحدود يرتبط بحقيقة أن الحدود السياسية هي بالضرورة نتاج للحس الإنساني للأرض Man's Sense of Territoriality ورغبته في تحديد المساحة التي يستطيع فيها الإنسان أن يحفظ هويته الثقافية، ويشكل مستقبله السياسي. هذا التغير في النظرة لدراسة الحد السياسي كان أمراً حتمياً في وقت فيه الروح الاستعمارية وبداية تكوين نظام دولي ينشر نظام الحرية وحقوق الإنسان في العالم.

وللحدود قيمة هامة ودور هام في حياة البشر حيث تقوم بوظيفتها

كحواجز حماية للدول من القوى الخارجية. مما يؤثر على كافة الملامح السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية للدولة.

ومن الناحية النظرية (أو المنهجية) فإن من اقيم المساهمات لابرار قيمة وظيفة الحدود الدولية كحواجز ظهرت في عام ١٩٣١ من خلال كتاب اغسطس ليش August Losch المكتوب بالألمانية تحت عنوان اقتصاديات الموقع. والذي ترجم إلى الإنجليزية في عام ١٩٥٤ وقام ليش بمقارنة المبيعات السنوية للمدينتين الكنديتين وندسور ولندن (أونتاريو) اللتان لهما نفس عدد السكان ووجد أن مبيعات التجزئة للبضائع الرخيصة في كندا كانت أكبر في وندسور، والتي تقع على الحدود الدولية. في حين أن لندن تقع على مسافة بعيدة عنها، ولكن نظراً للبضائع الرخيصة في الولايات المتحدة كان الأمر مختلفاً، حيث لاحظ ليش أن وجود حدود سياسية يخلق اختلافات في أسعار بعض السلع، وأن هذه الاختلافات لهاتأثير على مخارج بضائع التجزئة بصفة خاصة.

ولعل أعظم إسهامات ليش إبرازة للتأثير الذي تحدثه الحدود الدولية على تدفق السلع والبضائع، ونموذج توزيعها الجغرافي. وحيث قام بمسح خرائط النفوذ المالي لمدينة الباسو Passo في تكساس على جانبي الحدود الأمريكية المكسيكية. فالنموذج الناتج عن إعداد خرائط تدفق رأس المال كان مماثلاً تماماً لاستنتاجه النظري لحركة البضائع. وعلى ذلك فإن لوش يعد أول من درس تأثير الحدود السياسية على العمليات الاقتصادية عبر تلك الحدود، ومن خلال النموذج التوضيحي وتحليل المثال الفعلي لمدينة الباسو وقد أوضح اغسطس ليش Losch كيفية قياس تأثير الحدود السياسية على النواحي الاقتصادية على جانبي الحد.

وفي عام ١٩٥٨ قدم ماكاى J.R. Mackay دراسة تحليلية أوضح فيها أثر الحدود الأمريكية الكندية على الاتصالات التليفونية بين مدن كندية مختارة (مونتريال) ومدن أخرى على الجانب الآخر من الحدود^(١٢).

وأحدثت كتابات ماكاى تقدماً ملحوظاً في دراسة الحدود حواجز وكتاباته تعتبر أول تعبير كمى عن أثر الحدود حجاز منذ كتابات لوش.

وباستخدام معادلة خط الانحدار Regression Lines استنتج ماكاى أن التفاعل بين مدينتى كويك وأونتاريو يتراوح ما بين ٢٠% و ١٠% من نظيره بين المدن داخل كويك.

وبمقارنة التفاعلات بين مدن كويك ومدن الولايات المتحدة وجد ماكاى أن معدل التفاعل بين مدن كويك ومدن الولايات المتحدة يعادل ٥٠ مرة ذلك التفاعل بين مدن كويك نفسها. وعلى ذلك فإن الحدود اللغوية والثقافية بين كويك وكندا المتحدة بالإنجليزية لها أثر أقل كحاجز للاتصالات من الحدود الأمريكية الكندية الدولية لهما كانت علاقات الصداقة بين الدولتين.

وفى دراستهما عن الحدود كحواجز نشر فى عام ١٩٦٨ لكل من رينولدز وماكنولتى Reynolds McNulty^(١٣) تحت عنوان (تحليل الحدود السياسية كحواجز مدخل إدراكى) والذى نشر بعد عشرات السنين من دراسة مكاي، كتب فيه أن الأفراد الذين يعيشون عند الحدود -ولكن بعيداً عن نقط العبور- لا يمتد نشاطهم الاقتصادى إلى المناطق الواقعة على الجانب الآخر من الحدود نظراً لبعدهم الوظيفى عن تلك المناطق. وهم وأقل تأثراً بانتشار المعلومات المتبادلة بين المنطقتين، بالإضافة إلى أن المسافة الوظيفية التى تفصل بين الأفراد على الناحيتين أكبر من وقت السفر الفعلى بسبب وجود مناطق أسهل للوصول داخل المساحة المسكونة على أحد الجانبين. على ذلك الذين يعيشون بعيداً عن نقط العبور فالأفراد تعتبر حدودهم حواجز لا يمكن عبورها Impossible barrier أما بالنسبة للذين يعيشون عند نقط العبور، فإن نظرتهم إلى الحدود أنها مجرد عقبة يمكن تجاوزها.

الحدود كحواجز لتدفق المعلومات (١٧) :-

استخدم كل من جولد Gould ووايت White كتابات ماكاى لقياس قيم المسافات التي تنتشر بها المعلومات عبر الحواجز التي تصنعها مجموعة مختلفة من الحدود السياسية سواء أكانت طبيعية مثل: الجبال والبحيرات أم لغوية أم دينية. وقد أوضح أنه في مساحة متجانسة لغويا وحضاريا يمكن قياس تدفق المعلومات. حيث تناسب المعلومات والتيارات الفكرية بسهولة عبر الخط السياسي والمسافات تتفق مع مدى الاستجابة لتلقى هذه المعلومات. ويزداد الاستيعاب لهذه المعلومات إذا كانت تتفق وميولهم والعكس. وتفرض كثير من الدول قيوداً صارمة على حدودها لمنع تسرب ودخول ثقافات ومعلومات وأيدلوجيات غير مرغوب فيها، ولا تتفق وتقاليد وديانه الدولة. فقد تتسرب مطبوعات أشد خطراً على الدولة من المخدرات.

أما في الوقت الحاضر ومع جود السماء المفتوحة وانتشار أقمار البث التليفزيوني الموجة زاد خطر تدفق المعلومات، وأصبح الحدث ينتشر عالميا في نفس لحظة وقوعه. وأصبح العالم بمثابة قرية صغيرة. فأحداث كوسوفا وضرب حلف الناتو للصرب والجبل الأسود وتشريد اللاجئيين من ألبان كوسوفا (ابريل ١٩٩٩) حدث يسمعه ويقرأه ويراه سكان العالم بسرعة البث والنشر. كل ذلك أدى إلى تدمير قيمة الحد كمانع لانتشار الفكر والمعلومات بين الدول.

بايجاز :

فإن دراسة الحدود الدولية في الجغرافية السياسية أخذت اتجاهين مميزين أولها: اختيار المفاهيم العامة التي تؤدي إلى وضع تصنيف للحدود السياسية. الثاني : اختيار دراسات الحالة Case Study لبعض مناطق الحدود، وتأثير الحد على المساحات الملاصقة.

وقد أكد هاوس House في بحث عن مناطق الحدود^(١٤) أن الجغرافيين السياسيين السابقين ركزوا بصورة زائدة على دراسة تصنيف الحدود كونها

نهاية في حد ذاتها وتناسوا النتائج التي تحدث بسبب وجود هذه الحدود وما تحدثه من مشكلات أو تصبغ المنطقة بصبغة حضارية وثقافية مميزة.

وكما يذكر هاوس أن الدراسة في الجغرافيا السياسية يجب ألا تتوقف عند دراسة أشكال الحدود وأنواعها. وهذا ما كرره هارتسهورن في دراسته عن الحدود، أى يجب أن يكون الاهتمام الرئيسى لدراس الجغرافيا السياسية عن مناطق الحدود وليس الحد السياسى. حيث إن التركيز سابقاً في معظم الدراسات الحدودية كان منصباً على قضايا الدفاع والأمن وتعديل التغييرات التي تفرضها الاتفاقيات. وكان ذلك أمراً طبيعياً في الوقت الذي كانت فيه دول غرب أوروبا منشغلة بالاستعمار والتوسع.

وكما لاحظ هاوس أنه كان من المناسب في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أن يكون المنظور العام لوظيفة الحدود السياسية. هو الدفاع وسلامة حدود الدولة الأم Nation-state ولكنه من غير المناسب أن نفكر من خلال هذا المنظور القاصر فقط في الوقت الحالي. فالدفاع والأمن ليس لهما الإهتمام الرئيسى في معظم الحدود الموجودة في العالم المعاصر، فغالبية الحدود الدولية لانزاع عليها ولها وظائف اقتصادية واجتماعية على ذلك. فإن على الجغرافيين السياسيين في الوقت الحالي أن يركزوا على دراسة الحدود كونها عنصراً مؤثراً في المعالم الإقتصادية والإجتماعية للمناطق المجاوره الحدود .

المظاهر الجغرافية عندمنطقة الحدود : Border Landscape

فى عام ١٩٦٥ نادى بريسكوت^(١٥) Prescott بدراسة المظاهر الجغرافية فى منطقة الحدود ويرى أنه يجب على دارسى الجغرافية السياسية أن يهتموا بتعريف الأقاليم السياسية ووصفها، وتأثير العوامل السياسية على مظاهرها الجغرافية Landscapes وقد وضع فى الاعتبار هذه النقاط الأربع ذات الدلالة الخاصة عند دراسة الحدود كظاهرة فى الجغرافية السياسية وهى:

(١) اعتبار الحدود عنصراً من المظاهر الحضارية :

تنتج النشأة الطبيعية للحدود من ترسيم الحدود Demarcation على الأرض وتشبيد المباني وأنظمة الدفاع ووسائل النقل والاتصالات لتظهر الوظيفة كحقيقة فى منطقة الحدود على الجانبين. ويمكن الاستدلال على طبيعة وظائف الدولة والعلاقة بين الدولتين المنفصلتين، من طبيعة التعيين الفعلى للخط الحدودى. وكما أوضح بريسكوت أنه إذا لم يتم ترسيم الحدود الدولية، فإن ذلك يعود إلى ثلاثة أمور:

الأول : فقد ترى الدول المعنية أن تعيين الحدود غير ضرورى، والعديد من الحدود الدولية لم يتم تعيينها خلال المرحلة الاستعمارية نظراً لتكلفتها المرتفعة أو بسبب حسن العلاقة بين الدول الاستعمارية المعنية.

ثانياً : قد لا يتم تعيين الحدود نظراً لأن موقعها المحدد قد يكون محل جدال وصراع أو بسبب الغموض الذى يشوب التعريف الأصلى للحدود.

ثالثاً وأخيراً هو مرور هذه الحدود عبر مناطق غير مأهولة وبعيدة جداً عن مراكز العمران مثل: المستنقعات والجبال والصحارى.

(٢) تفسير درجة التباين فى المظهر الجغرافى واستخدام الأرض فى منطقة الحدود على جانبى الخط السياسى فى الوجدتين السياسيتين :

يزداد مدى اختلاف المظاهر الحضارية على جانبى الحدود باختلاف مستويات الحياة الاقتصادية والحضارية بين الدولتين. ولكن كل الحدود

مهما كانت طبيعتها تعد عوامل مؤثرة في تغير المظاهر الأرضية، فوجود نقطة حدود بين دولتين يخلق تناسقاً في النقل والخدمات الأخرى الضرورية على الجانبين. وتعكس هذه المظاهر مستويات المعيشة والدخل في كل دولة. وتتضح الفروق إذا كانت الأحوال الاقتصادية في الدولتين مختلفتين. كما أن توزيع السكان ونشاطهم الاقتصادي إن وجد في منطقة الحدود يرتبط بوظيفة الحد السياسي. فتنشر حوانيت بيع العاديات إذا كانت حركة السياحة قوية. وتنشط حركة التجارة أو تقل وفقاً لحجم الحركة عبرنقاط الحدود.

(٣) دراسة الأثر الذي تحدثه الحدود على سلوك الأفراد الذين يعيشون في المناطق الحدودية:

هذا الأثر غالباً ما تحدثه فرص الكسب السريع للأفراد عند منطقة الحدود. والمعوقات التي تمثلها الحدود للحياه اليومية، ومدى إدراك متطلبات الأمن للدولة. وفي مناطق الحدود التي تشهد صراعاً بين دولتين فمن الطبيعي أن يكون هناك إدراك لضرورة الاستعداد العسكري عند الأفراد الذين يعيشون عند الحدود أكثر من الذين يعيشون بعيداً عن الحدود السياسية العسكرية النشطة. فمن المتوقع أن يكون شعور الأفراد بالمتطلبات الأمنية على الحدود الهندية الباكستانية أكثر منه عند الأفراد الذين يعيشون في مناطق بعيدة عن الخطر والاحتكاك العسكري. فسكان الجنوب اللبناني مثلاً تختلف خصائصهم ومطالبهم عن سكان الشمال. وقياس سلوك الأفراد الذين يقطنون المناطق الحدودية عن طريق إجراء أو دراسات ميدانية أمراً حيوياً في دراسات الجغرافية السياسية ومنه يمكن استنتاج واستخلاص معلومات في غاية الأهمية.

(٤) اختبار أثر الحدود على سياسات الدول:

وكما أشار برسكوت أن هناك صعوبة في تحديد أثر الحدود على سياسات الدولة نظراً لأن المادة التي تحوى تلك المعلومات غالباً ما تكون في سجلات لا يمكن الوصول إليها. ولكن يمكن الحصول على تلك المعلومات من التقارير البرلمانية والمقالات الإخبارية المتعلقة بذلك. وهذا التحليل يجب أن يتضمن مجموعتين هامتين من السياسات:

- (١) الاقتصادية خاصة الجمارك وسياسات التصدير والاستيراد
(٢) سياسات الدفاع ودراسات المظاهر الجغرافية فى المنطقة الحدودية قليلة العدد.

ويمكن أن نذكر بعض الدراسات الجغرافية التى تناولت منطقة الحدود منها^(١٦) دراسة الحدود الهولندية الألمانية لبلات Platt (١٩٥٨). المنطقة الحدودية الفرنسية السويسرية فى جورا Jura لدافر Daveau، الحدود الفرنسية الإيطالية فى جبال الألب لهوس Hous، والدراسة التى قام بها منجى Min-ghi (١٩٦٣) عن الجنسية واختيار البرامج التليفزيونية فى منطقة الحد الكندية والأمريكية. ودراسة الحدود الكندية لأمريكية، التى قام بها رتيسما Reitsma عام ١٩٦٢، ودراسة اقليم الحدود الألمانية الفرنسية التى قام بها مارتن Martin عام ١٩٧٣. ودراسة الحدود اللبنانية الإسرائيلية التى قدمها دافيدى عام ١٩٧٥. وأخيراً دراسة سينغ Singh عام ١٩٨١ عن الحد السياسى الهندى الباكستانى وتأثيره على السكان واستخدام الأرض فى ولاية البنجاب.

مميزات الحياة وعيوبها فى المناطق الحدودية

عادة ما نجد الحياة الاقتصادية والاجتماعية على الحدود ذات التجهيزات الحربية والعسكرية غير مستقرة، وذلك لعدة أسباب. فنظراً للقرب من حدود غير آمنة يتم وضع قيود على استغلال الأرض، ويؤدى هذا فى أغلب الأحيان إلى بوار الأرض الزراعية. وأبرز أنواع المشكلات تلك التى تجدها فى المجتمعات التى تشطرها حدود دولية حديثة. فمع مرور الوقت قد تتأقلم من النموذج الجديد من الحياة الذى يفرضه عليهم وجود الحدود الدولية، إلا أن الحدود فى حد ذاتها تظل عاملاً مؤثراً على ظروف المعيشة المحلية. إذا كانت منطقة الحدود فقيرة الموارد أو من الصعب الوصول إليها، فهنا قد تتضخم المشكلة بوجود العامل السياسى وعوامل أخرى مثل تناقص أعداد السكان الريفيين. أو انعدام كثير من الخدمات الضرورية فى المدينة. كنتيجة مباشرة لعدم الاستقرار والهجرة أو التجهير الجبارى.

وعلى النقيض ففي مناطق الحدود الآمنة فإن كثيراً من المميزات يتمتع بها بعض قاطنى منطقة الحدود عند أو بالقرب من نقاط العبور، حيث تتركز تجمعات للخدمات تقع بالقرب من الحدود بقدر المستطاع من أجل التمتع بالبضائع المهربة، والتي يقل سعرها عنه فى الداخل. ومن يرصد البضائع الموجودة فى كثير من المحال التجارية فى مدينتى السلوم ومرسى مطروح (عند أو بالقرب من الحدود المصرية الليبية) يؤكد ذلك. كما تنشط الوظيفة السياحية فالفنادق والمطاعم الواقعة بالقرب من نقاط العبور هى أكثر المعالم شيوعاً فى تلك المناطق.

وقد ينشط النشاط الصناعى فى بعض الأحيان. ففي منطقة الحدود الأمريكية الكندية وعبر البحيرات العظمى تتجمع المنشآت الصناعية التى تتمتع بالتخفيضات الجمركية ومن ثم فإن العمالة تأتى من جانبي الحدود. وفى بعض الأحيان يكون لرخص الأيدي العاملة أثره فى تشجيع بعض المصانع لإنشاء أفرع لها بالقرب من الحدود للاستفادة من هذه العمالة الرخيصة الموجودة عبر الحدود. بالطبع فإن هذا النوع من التفاعل يحدث عندما يكون الخط الحديدى يفصل بين دولتين صديقتين مثل: الولايات المتحدة وكندا. وقد نجد مثل هذا التعاون والتفاعل موجوداً عند الحدود الهندية النيبالية، ولكن لا نجد عند الحدود الهندية التبتية أو الحدود الهندية الباكستانية - وهذا بسبب وجود حدود مفتوحة بين نيبال والهند. وعلى النقيض فالحدود مغلقة بين الهند وباكستان وبين الهند والتبت، وهذا الأمر الذى يجب أن ينتبه إليه الراغبون فى دراسة أثر الحدود.

مراجع الفصل الرابع

- (1) Kristof, L. K. D. (1959), "The Nature of **Frontiers** and Boundaries". **Annals of the Association of American Geographers**, vol. 49. pp. 269-382.
- (2) Hartshorne. R. (1936). "Suggesstions on the Terminology of Political Boudariess". **Annals of the Association of American Geographers**, vol. 26. pp. 56-57.
- (3) Moodie, A. E. (1963), **Geography Behind Politics**, fifth edition, London, Hutchinson University Library.
- (4) Beckinsale, R. P., (1979) Rivers as Political Boundaries, in: **Water, Earth and Man**, edited by: Richard J. Chorley, Oxford University Press, London. pp. 344-354.
- (5) **Ibid.** p. 348.
- (6) Pounds, N.J.G. (1972), **Political Geography**, New York, McGraw-Hill.
- (7) Curzon, Lord. (1908). **Frontiers**. London. Oxford University Press.
- (8) Holdich. Sir T. H. (1916). **Political Frontiers and Boundary Making**, London. Macmillan & Co.
- (9) Jones. S. B. (1945) . **Boundary Making**. Washington. D. C. Carnegie Endowment for International Peace. p. 13.
- (10) Boggs. S. W. (1932). "**Boundary Functions and Principles of Boundary Making**". **Annals of the Associatio of American Geographers**, vol. 22, pp. 48-49.

- (11) Losch, August (1931). **The Economics of Location** (translated by W. H. Woglom) English edition, first published in 1954, New Haven (Conn), Yale University Press.
- (12) Mackay, J. R. (1958), "The Interactance Hypothesis and Boundaries in Canada". **Canadian Geographer**, vol. 11. pp. 1-8.
- (13) Reynolds, D. R. and M. L. McNultry (1968). "On the Analysis of Political Boundaries as Barriers: A Perceptual Approach". **East Lakes Geographer**, vol. 4 (December), pp. 21-38.
- (14) House, J. W. (1968). "A Local Perspective on Boundaries and the Frontier Zone: Two examples in the European Economic Community". chapter 18, pp. 327-244, in: C.A. Fisher (ed). **Essays in Political Geography**, London. Methue & Co.
- (15) Prescott, J. R. V. (1965). **Geography of Frontiers and Boundaries**. London. Hutchinson University Library. Reissued (with minor changes) in 1978, by Croom Helm, London.
- (16) Dikshit, R.D., (1982). **Political Geography**, Tata McGraw Hill Publishing, New Delhi.

الفصل الخامس الجغرافيا السياسية للبحار

- * تحديد المياه الإقليمية
- * كيفية حساب عرض المياه الإقليمية
- * نطاقات المياه البحرية
- * المضائق البحرية
- * مراجع الفصل الخامس

الفصل الخامس الجغرافيا السياسية للبحار

مقدمة:

تهتم الدراسة في الجغرافيا السياسية بالبحار كونها تمثل مساحات شاسعة من الكرة الأرضية، بالإضافة إلى إنها تمثل عصب التجارة والإتصال والموارد لكثير من الدول. والغالبية العظمى من دول العالم لها واجهة بحرية، سواء أكانت واجهة محدودة جداً مثل: الأردن أو العراق أو الكونغو «زائير» شكل (٥ - ١)، أم تطل على واجهات بحرية عدة، أو تحاط كلية بالبحار، ومن ثم أصبحت حدودها الدولية حدوداً مائية مثل: اليابان أو بريطانيا أو مدغشقر أو سرى لانكا، وغيرها من الدول الجزرية. وليست القضية هنا بمدى إشراف الدولة على البحار، إنما المشكلة تتعلق بكيفية تحديد ملكيتها على مدى محدد من البحار التي توجد أمام شواطئها.

وقد زادت مشكلات الدول المطلة على البحار في حال توجيهها لاستغلال ثرواته، وخاصة إذا كانت تعاني من فقر واضح في مواردها الأرضية. وأصبحت مساحات كبيرة من البحار الملاصقة لدول قوية تحت إمرة هذه الدول تستغلها وتفرض سيطرتها على السفن العابرة. حتى أصبحت هذه البحار بمثابة بحار مغلقة. وهذا ما كان يميز البحر الأدرياتيكي الذي كان تحت سيطرة فينيسيا، وبحر الشمال الذي كان تحت سيطرة إنجلترا، والمحيط الأطلسي الذي كان تحت سيطرة كل من إسبانيا والبرتغال وظل هذا الأمر سائداً في البحار طوال العصور الوسطى.

تحديد المياه الإقليمية:

ويرجع الفضل إلى أحد رجال القانون الهولنديين ويدعى جروتس H. Grotius في القرن الـ ١٧. الذي نادى بأن البحر ملك للجميع، وأن السيادة على مناطق من البحار تكون للدولة المشرفة على البحر ويحدود ومسافة محدودة. وقد بدأت محاولات التحديد للمياه الخاضعة للدولة «المياه

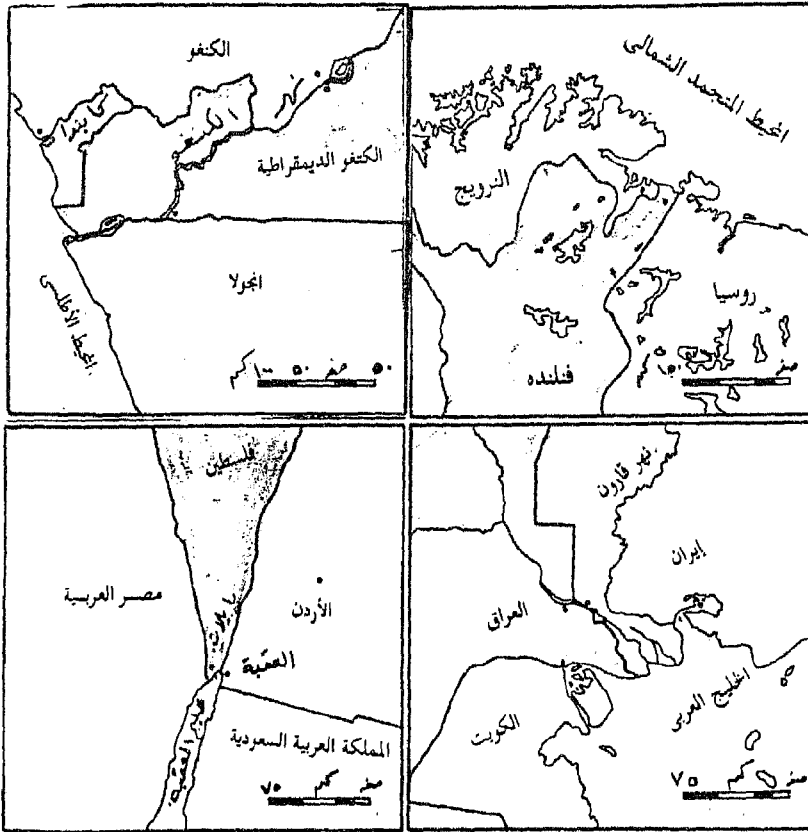
الإقليمية» بالأنا تقرار عن ١٠٠ ميل بحرى. ثم رؤى تحديدها بعد ذلك بمدى رؤية إنسان يقف على الشاطئ. ثم كان أدق تحديد فى عام ١٧٠٣ عندما أقترح رجل قانون هولندى آخر ويدعى بينكر شوك Bynker Shook أن يكون عرض المياه الإقليمية يتناسب مع مرمى المدفعية الساحلية للدولة، وخاصة فى المناطق المجاورة للساحل (بدون الخلجان).

وفى عام ١٧٨٢ وضع تحديداً أدق من مرمى المدفعية والذي قد يختلف من دولة إلى أخرى، وهو أن يكون عرض المياه الإقليمية فى حدود ثلاثة أميال بحرية تقاس من الشاطئ. وقد لقي هذا المبدأ إستحسان وقبول معظم الدول البحرية. وإن كانت بعض الدول قد زادت المسافة لتصل إلى أربعة أو إلى ستة أو عشرة أو إثني عشر ميلاً بحرياً^(*). وأخيراً فقد كان لتطور الصواريخ كونها سلاحاً للبحرية أثره فى أن نادت بعض الدول بمياه إقليمية أوسع، خاصة إذا كانت تعاني من فقر فى بيئتها القارية.

من هنا نجد أن الدول إختلفت فى تحديد عرض مياهها الإقليمية. فالدول البحرية العظمى ذات الأساطيل القوية ترى أن المياه الإقليمية للدول صغيرة ولا تزيد عن ثلاثة أميال. والعكس فإن الدول الفقيرة ترغب فى توسيع مياهها الإقليمية لتكون ملاذاً واحتياطياً إستراتيجياً لها. ومن هنا فقد نادت بعض الدول بأن يكون إتساع مياهها الإقليمية ٢٠٠ ميل بحرى.

ومن أهم أسباب تباين وجهات نظر الدول حول عرض المياه الإقليمية هو إكتشاف موارد معدنية فى منطقة الرصيف القارى مثل البترول والغاز وبعض المعادن مثل: الرصاص والنحاس. من هنا سعت بعض الدول الكبرى أن تضع حداً واضحاً للملكية الدول من المياه الإقليمية فعقدت عدة مؤتمرات وأهمها مؤتمر لاهاي فى عام ١٩٣٠ الذى نجح فى تحدى المياه الإقليمية بصورة قاطعة، وتبعه مؤتمر جنيف عام ١٩٥٨، وفيه تم إقرار باتفاقية ما يسمى بالمياه الإقليمية دون الوصول إلى رقم محدد لإتساع المياه الإقليمية. وفى عام

(*) الميل البحرى = ١٨٥٠ متراً.



شكل (٥ - ١)

دول ذات واجهة بحرية ضيقة لا تتناسب ومساحتها

١٩٧٤ عقد مؤتمر البحار في كاراكاس بحضور ١١١ دولة. نصف هذا العدد طالب بأن يكون عرض المياه الإقليمية ١٢ ميلاً بحرياً، وربع عدد الدول طالب بأن يكون عرض المياه الإقليمية ثلاثة أميال بحرية. ومما زاد من صعوبة الإتفاق أن طالبت بعض الدول التي تطل على أكثر من بحر، بأن يكون عرض مياهها الإقليمية متفاوت. فتركيا مثلاً طالبت بأن يكون عرض مياهها الإقليمية في البحر المتوسط ستة أميال، في نفس الوقت طالبت بأن يكون عرض مياهها الإقليمية في البحر الأسود ١٢ ميلاً بحرياً. وهناك بعض الدول التي طالبت بأن تمتد مياهها الإقليمية إلى ٢٠٠ ميل بحري ومعظمها دول أمريكا اللاتينية والصومال.

وقد حددت دول أسكنديناوة التي تشمل السويد والنرويج وفنلنده والتي تمتلك ١٠٪ من أساطيل العالم التجارية - نطاق حدودها الإقليمية بأربعة أميال. أما إسبانيا والبرتغال ويوجوسلافيا وإيطاليا فقد حددت مياهها الإقليمية بستة أميال ومصر حددتها بإثنتي عشر ميلاً. كما يتضح من الجدول.

جدول رقم (٥ - ١)

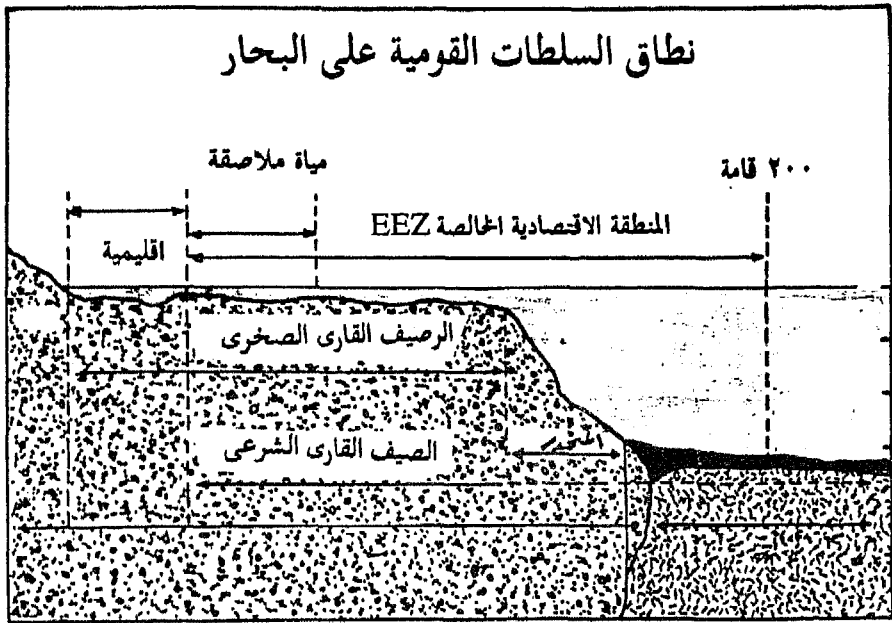
عرض المياه الإقليمية لبعض دول العالم

إتساع المياه الإقليمية بالميل	الدول
٣ ميل	اليابان ومعظم دول غرب أوروبا والولايات المتحدة ونيوزلندا وأستراليا وقطر والأردن والبحرين وكوريا وأكوا دور.
٤ ميل	السويد والنرويج وفنلنده «فقط».
٦ ميل	إيطاليا والبرتغال وإسبانيا ويوجوسلافيا وإسرائيل «فقط».
١٢ ميل	غالبية دول العالم مثل مصر وروسيا وأيسلندا وكولومبيا وأندونيسيا والصين وباقي الدول العربية.
٧٠ ميل	موريتانيا «فقط».
٢٠٠ ميل	وتمثلها الدول الفقيرة المطللة على بحار مفتوحة مثل شيلي والأرجنتين والبرازيل والصومال وبيرو «ثلاث عشر دولة».

وفي عام ١٩٨١ عقدت دورة جديدة لمؤتمر قانون البحار في جاميكا ولكن إنتهى دون أن توقع عليه الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وبعض دول غرب أوروبا وتركيا. ووقع عليه ١٢٠ دولة غالبيتهم من بلدان العالم النامي، وتركت لكل دولة حرية إختيار نطاق مياهها الإقليمية وتحديد إمتداده. وتعطى الإتفاقيات الدولية كل دولة الحق في إستثمار قيعان البحار العليا وإستخراج الثروات المعدنية. بمعنى أن قيعان البحار المفتوحة، التي تقع على إمتداد مياهها الإقليمية ملكاً مشاعاً لكل دول العالم. وتستغله الدول القادرة على ذلك وإن إعترضت الدول الفقيرة على ذلك. ومهما كانت المشكلات التي ثارت حول عرض المياه الإقليمية. فإن معظم الدول إختارت حدودها ما بين ٣ : ١٢ ميلاً بحرياً مع إمكانية أن تنشئ الدولة منطقة إقتصادية خالصة (E. E. Z) Exclusive Economic Zone، وهي منطقة تتحدد في حدود ٢٠٠ ميل بحرى من خط الساحل. وتكون للدولة مصالح إقتصادية حيوية بها مثل موارد معدنية أو أسماك. والدول التي حددت لها منطقة إقتصادية خالصة قوامها ٢٠٠ ميل بحرى لم يزد عددها عن عشر دول، ست منها أصلاً تعد دولاً غنية مثل: الولايات المتحدة، وإستراليا، ونيوزيلندا، وكندا، وروسيا، واليابان. وإستطاعت الدول الباقية أن تحقق ثروات من تحديدها المنطقة الإقتصادية الخالصة سواء من صيد الأسماك أو من إستخراج البترول مثل: بريطانيا والنرويج. وخرجت بعض الدول تنادى بمطالبها في منطقة خالصة E. Z. سواء منطقة خالصة لصيد الأسماك، أو منطقة خالصة لتحقيق الأمن، أو منطقة خالصة للتحكم البيئى والإبتعاد عن مصادر التلوث. وتظل مشكلة المنطقة الإقتصادية قائمة إذا تداخلت حدود نطاقها مع دولة مجاورة (انظر شكل ٥ - ٢).

كيفية حساب عرض المياه الإقليمية:

تظل مشكلة كيفية قياس عرض المياه الإقليمية أمام سواحل الدول البحرية. ومن أين يبدأ القياس ؟ وإتفقت الآراء على أن يحتسب عرض المياه الإقليمية من آخر نقطة تنحصر عنها مياه الجزر بالنسبة للشواطئ



شكل (٥ - ٢)

منطقة المياه الإقليمية والمنطقة الاقتصادية الخالصة E. E. Z.

الطبيعية(*) أو الإصطناعية التي تحيط بالموانئ وأحواض السفن. وتتباين الآراء بشأن تحديد المياه الإقليمية ويمكن إيجازها في:

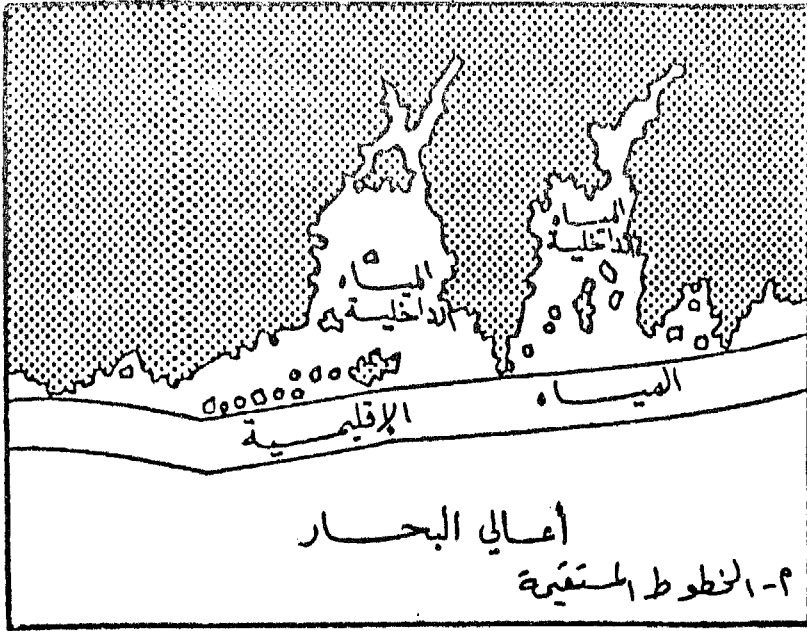
(١) هناك من يرى أن المياه الإقليمية تحدد برسم خط يوازي خط الشاطئ في تعاريفه وعلى البعد الذي إرتضته الدولة صاحبة المياه الإقليمية، وهذه الطريقة تصلح للدول ذات السواحل قليلة التعرج مثل: سواحل إفريقيا. (شكل ٥ - ٣ - أ).

(٢) يرى البعض أن المياه الإقليمية تحدد بخطوط مستقيمة تقابل الخطوط الممتدة من الرؤوس البحرية البارزة من اليابس - ومن هنا فإن المصببات والبحيرات الساحلية تدخل ضمن نطاق اليابس شكل (٥ - ١ - ب)، كما هو الحال في بحيرات مصر الشمالية.

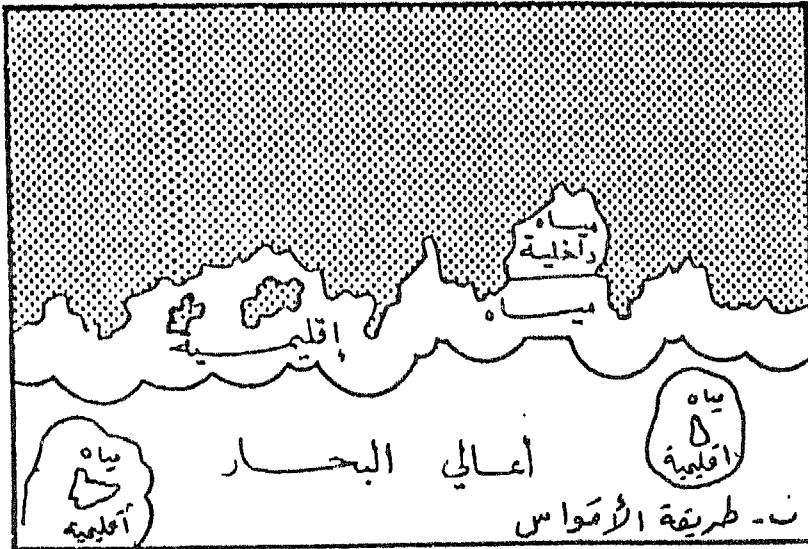
(٣) هناك رأى ثالث يرى أن تحديد المياه الإقليمية يمكن أن يتضح بعد رسم خط مقوس يلتقى بخطوط رأسية بطول إتساع البحر الإقليمي على أن تقاس بين أجزاء مختلفة من الساحل بما في ذلك الأجزاء البارزة. ويفضل الكثيرون هذه الطريقة. وقد جمعت إتفاقية جنيف ١٩٥٨ بين الرأيين الأخيرين وأشادت بإتباع طريقة الخطوط المستقيمة التي تصل الرؤوس البحرية والألسنة كحد تبدأ منه المياه الإقليمية. وأطلق على هذا الخط مصطلح خط الأساس Base Line كما أقرته إتفاقية جنيف، والتي رأت أن يكون هذا الخط محددًا بدقة على خرائط مقياس رسم كبير معترف بها.

(٤) أما في حالة وجود خلجان وجزر. فإن الجزر الواقعة في حدود المياه الإقليمية تكون جزءاً من إقليم الدولة، ويضاف إليها شريط آخر من المياه الإقليمية. أما إذا كانت الجزر خارج نطاق المياه الإقليمية فتحسب لها حدود أخرى للمياه الإقليمية. ومن ثم تفصل بينها وبين مياه الدولة الإقليمية مياه دولية (شكل ٥ - ٣ - ج).

(*) وفقاً للمادة ٥٣ من قانون البحر الإقليمي في مؤتمر لاهاي ١٩٣٠، ١٩٥٨ راجع: على صادق أبو هيف - القانون الدولي العام - منشأة المعارف - الإسكندرية ١٩٦١ - ص ٣٨٦.



خطوط القاعدة لحساب المياه الإقليمية



بتصرف من : سعودي ٢٧٥

شكل (٥ - ٣)

خط الأساس لحساب عرض المياه الإقليمية

(٥) في حال وجود خلجان بالساحل ، فإن تحديد المياه الإقليمية بالخليج يختلف تبعاً لظروفه. فإذا كان الخليج يقع كلياً في إقليم دولة واحدة. من هنا تصبح مياهها إقليمية مثل خليج السويس في مصر. وإذا كان واقفاً بين أكثر من دولة أعتبر من المياه الدولية فيما عدا المياه التي تخضع لسيادة الدولة المطلة عليه «مياه إقليمية» إذا كان عرضه يزيد عن عرض المياه الإقليمية المتفق عليها. أما إذا كان عرضه أقل ، فإن إمتداد سيادة كل دولة على جوانبه إلى منتصفه. وقد حددت إتفاقية جنيف للمياه الإقليمية أنه إذا كانت المسافة بين علامتى الجزر المنحصرة فى نقطتى المدخل الطبيعى للخليج الواقع فى إقليم دولة واحدة لا تزيد عن ٢٤ ميلاً بحرياً إعتبر الخط الواصل بينهما محدداً للمياه الإقليمية الخاضعة لسيادة الدولة. أما فى حالة زيادة المسافة بين فتحته عن ٢٤ ميلاً بحرياً عند خط أساس طوله ٢٤ ميلاً داخل الخليج بين أى موضعين من شواطئه بحيث تحصر أكبر مساحة ممكنة من المياه داخل هذا الخط الأساسى. وتعتبر هذه المياه إقليمية. كما يتضح فى الشكل رقم (٥) - ٣ - د).

وبعض الخلجان التى تشترك فيها أكثر من دولة جرى العرف لإعتبارات تاريخية على إعتبارها داخل حدود دولة واحدة. وكثيراً ما تثار كثير من الإعتراضات حول تحديد مياهها. وهذا ما ينطلق على خليج العقبة، والذى لا يزيد إتساعه فى أوسع مناطقه عن ١٧ ميلاً. لا يزيد إتساع مدخله عن تسعة أميال. وتقع عند مدخله جزيرتا تيران المصرية وصنافير السعودية ولايزيد عرض الفتحة بين جزيرة تيران وساحل سيناء عن أربعة أميال أنظر شكل (٥ - ٤) . وظهرت مشكلة كانت سبباً فى حرب بين مصر وإسرائيل عام ١٩٦٧ بسبب غلق مصر لمضائق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية. ولما كانت إسرائيل ترغب فى أن يكون لها منفذاً إلى البحر الأحمر عبر ميناء إيلات، رفضت تماماً أن يكون خليج العقبة ميهاً إقليمية. بل رأت أن مياهه تعتبر من أعالي البحار نظراً لوجود أكثر من دولة على شواطئه. وليس لمصر الحق فى غلق المضائق فى وجهة السفن المتجهة إلى إيلات. أما الدول العربية فترفض ذلك لإعتبارات تاريخية وإستراتيجية. بالإضافة إلى أن مضيق تيران جزء من المياه

الإقليمية لمصر، ولا يمكن إعتباره من المضائق الدولية لأنه لا يصل بين بحرين دوليين. ولم تنته المشكلة إلا بعد حرب ١٩٧٣ وعودة سيناء إلى مصر. وإنهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل وتوقيع إتفاقية كامب ديفيد، وفيه احتفظت إسرائيل بحقها في المرور في خليج العقبة.



شكل رقم (٥ - ٤)

خليج العقبة ومضيق تيران كان سبباً في نشوب حرب ١٩٦٧.

نطاقات المياه البحرية:

توجد أمام سواحل الدول عدة نطاقات من المياه تقع فوق كتلة رصيفها القارى، وتتفاوت فى عمقها وفقاً لبعدها عن خط الساحل. ويمكن أن نميز خمسة نطاقات من خط الساحل إلى داخل البحر، وهى موضحة فى الشكل رقم (٥ - ٥).

١ - المياه الداخلية: Inland Zone

ويضم كل الأشكال المائية المتصلة بالبحر، وتقع فوق يابس الدولة، وتشمل البحيرات الساحلية Lagoons، ومصبات الأنهار والخلجان محدودة المساحة، والتي تتداخل فى يابس الدولة. وهذه الظواهر جزء متمم لليابس، ومياهاها خليط بين المالح والعذب وهى جزء من البحار الضحلة أو من اليابس المغمور بمياه البحر.

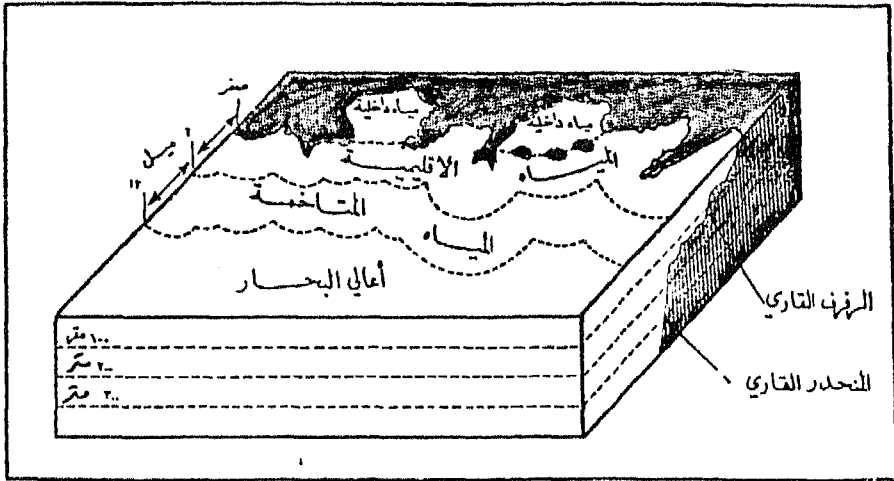
٢ - المياه الإقليمية: Territorial Water

وتضم النطاق البحرى الممتد من خط الساحل إلى حد تختاره الدولة. لتفرض عليه سيادتها المطلقة فى الصيد والتجارة وإستخراج الثروات المعدنية. وهذا النطاق يتفاوت من ثلاثة أميال إلى ٢٠٠ ميل بحرئى وفقاً لظروف كل دولة. وفى المياه الإقليمية يسمح للسفن الأجنبية بالمرور البرئ بعد موافقة الدولة، وترفع السفن أعلام الدولة التى دخلت مياهاها الإقليمية. وهذا يعنى أنها أصبحت خاضعة لقوانين هذه الدولة.

٣ - المياه الملاصقة أو التكميلية للمياه الإقليمية: Contiguous Zone

وتمتد من نهاية المياه الإقليمية للدولة الساحلية إلى مسافة محددة فى إتجاه البحر، وهى لا تخضع لسيادة الدولة. والملاحة بها حرة. وقضت إتفاقية جنيف بأنه لايجوز أن تمتد المنطقة الملاصقة لأكثر من ١٢ ميلاً بحرئياً من خط الأساس Base Line. أى أن إتساع المياه الإقليمية والمياه الملاصقة معاً لا يجوز أن تتعدى بأى حال من الأحوال ١٢ ميلاً بحرئياً. وفى هذه المياه يكون للدولة الساحلية الحق فى ممارسة الرقابة والإشراف الضرورىين لتحقيق الأمن والسلامة لها للمحافظة على مصالحها الحيوية.

شكل (٥ - ٥)
نطاقات المياه البحرية



Alexander, L. M., World Political Patterns, Chicago, 1966, p. 74.

٤ - منطقة الحياد:

وتمتد خلف المنطقة الملاصقة نحو البحر، إلى حد معين تراه الدولة ضرورياً لسلامتها، ومن ثم يمكن أن تجوبها زوارقها الحربية، ويمكن أن تقوم الدولة بكل أنواع عملياتها الحربية من مناورات ونوبات حراسة جوية. ويمنع على أية دولة أخرى الدخول إلى هذه المنطقة إلا بإذن من الدولة المشرفة والمطلبة عليها. وتختلف الدول في تحديد إتساع منطقتها المحايدة، ووفقاً لقدرتها على حماية أمنها وسلامتها. وفي بعض الأحيان لا تقيم الدول المتحاربة وزناً لهذه المنطقة لإنعدام صفتها القانونية الدولية لأن تحديد عرض هذه المنطقة فردى وغير ملزم.

وهناك ما يسمى بالمنطقة الإقتصادية الخالصة E. E. Z، والتي سبق ذكرها- وتضم المياه الإقليمية والمنطقة الملاصقة ومنطقة الحياد وتمتد في حدود ٢٠٠ ميل بحرى.

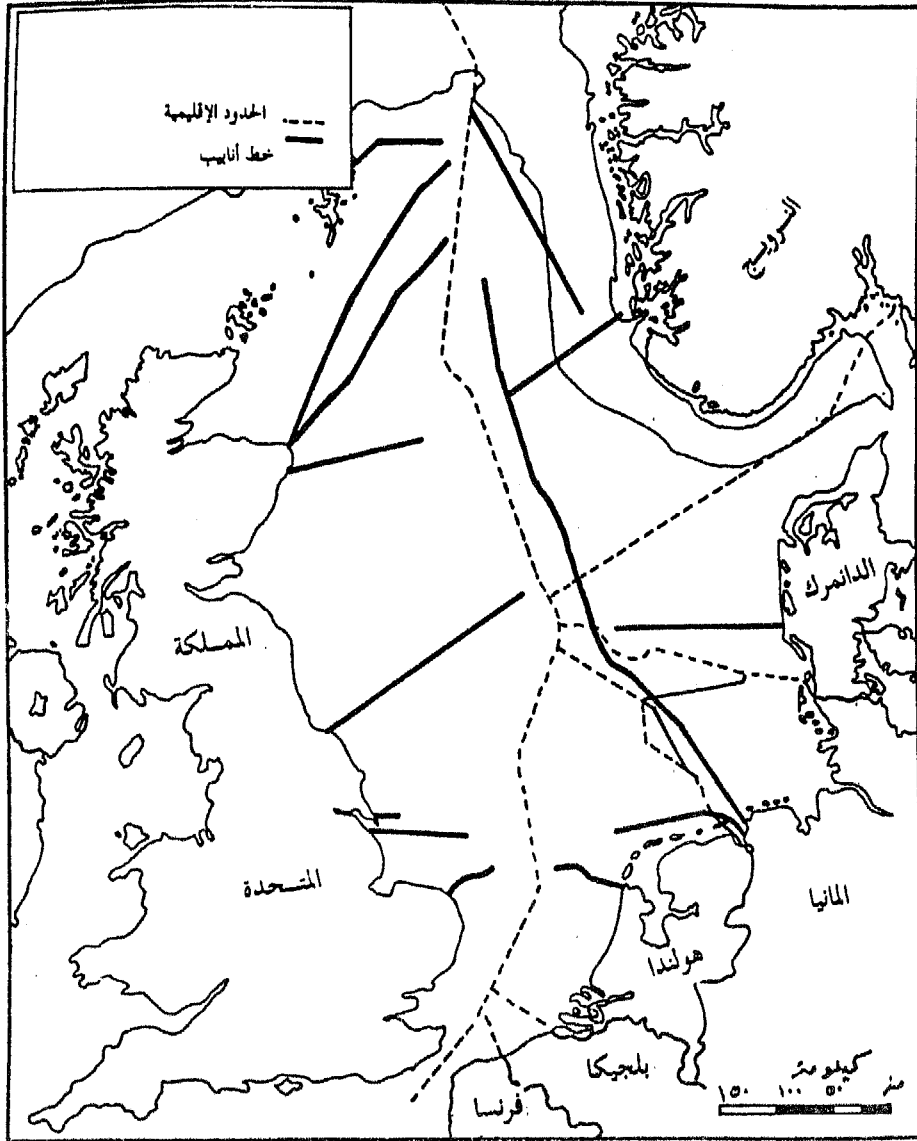
٥ - الرصيف القارى: Continental Shelf

وهو إمتداد لليابس تحت مياه البحر، ويمتد من خط الساحل حتى عمق ١٠٠ قامة(*) . وللدولة حق إستكشاف الموارد الإقتصادية المائية والمعدنية الموجودة به وإستغلالها. وقد ظهرت قيمة الرصيف القارى بعد الإكتشافات البترولية الهائلة أمام سواحد بعض الدول فى بحر الشمال، والخليج العربى، وخليج المكسيك.

ويتفاوت عرض الرصيف - وفقاً لشكل ومورفولوجية قيعان البحار - أمام سواحل الدول. فقد يصل إلى عمق ١٠٠ قامة، وأحياناً إلى ٣٠٠ قامة، وفى بعض الجهات قد ينعدم الرصيف القارى بالمرّة، حين تنحدر السواحل إنحداراً كبيراً، ويحل محله المنحدر القارى Con. Rise.

وتزداد مشكلة تحديد الرصيف القارى بمناطق البحار الضحلة مثل: البحر البلطى وبحر الشمال والخليج العربى. ففى هذه الحالة يتحدد الرصيف القارى لكل دولة فى حدود القسم المواجه لطول سواحلها حتى الخط المنصف للرصيف القارى بين الدولتين المتواجهتين وهذا ما نراه فى تقسيم المياه الإقليمية والرصيف القارى فى بحر الشمال (شكل رقم ٥ - ٦).

(*) القامة: ١٨٢ سم.



شكل رقم (٥ - ٦)

حدود المياه الإقليمية والرصيف القارى فى بحر الشمال

وتشير منطقة تحديد الرصيف القارى الكثير من المشكلات، وخاصة إذا ما كانت تحتوى ثروات بحرية، فكان لإعلان إستراليا سيادتها على كل مناطق الأرصفة القارية المحيطة بها، والتي يصل إمتداد بعضها إلى ٢٠٠ ميل من الشواطئ، وذلك فى عام ١٩٥٣، كان له تأثيره فى منع اليابانيين من صيد اللؤلؤ والأصداف البحرية أمام السواحل الإسترالية. وعلى نفس المنوال حيث أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أن الموارد الطبيعية للرصيف القارى المجاور لها من حقها، فى نفس الوقت إعتبرت المياه السطحية فوقه لها صفة المياه الدولية. من هنا طالبت عدة دول بحقها فى إستغلال موارد رصيفها القارى. ومن المشكلات الطريفة التى حدثت نتيجة لتحديد أحقية الدول فى إستغلال موارد رصيفها القارى فى الوقت الذى تكون فيه المياه أعلاه مياهاً دولية، تلك المشكلة التى نشبت بين فرنسا والبرازيل. فقد كانت السفن الفرنسية تقوم بصيد الاستاكوزا أمام السواحل البرازيلية بدعوى أنها كائنات تسبح فى المياه، بينما قالت البرازيل أنها تمشى فوق الرصيف القارى. وكادت المشكلة تتفاقم وتؤدى إلى إندلاع الحرب لولا تراجع الفرنسيين.

٦ - أعالي البحار: High Seas

وهى المناطق الممتدة من البحار الدولية خارج حدود النطاقات السابقة. والملاحة فيها من حق الجميع وثرواتها مباحة لمن يقدر على إستغلالها.

وجدير بالذكر أن تحديد النطاقات الخمسة السابق ذكرها تعترضها عدة مشكلات، وذلك لإختلاف طبيعتها الجغرافية من جانب، ومدى وجود موارد إقتصادية هامة أمام السواحل من جانب آخر. وأهم المشكلات التى تطفو على السطح عند تحديد إتساع المياه الإقليمية تلك المتعلقة بتحديد إتساع المياه الإقليمية، والمشكلات المتعلقة بالخليجان ومصبات الأنهار، والجزر، والمضايق، وحقوق المرور فى هذه المياه. بالإضافة إلى إستغلال الموارد الإقتصادية للمياه الإقليمية والرصيف

القارى سواء البترول، أو الغاز، أو الرواسب أو الأحياء البحرية من أسماك ومرجان وأسفنج وقشريات وأصداف ولؤلؤ. إضافة إلى مشكلات تحديد السيادة والهيمنة، وذلك يتعلق بمدى قوة الدولة سواء المطلقة على الساحل، أو الدول الأخرى التي لها مطامع فى هذه السواحل. ومن الصعب توحيد مطالب الدول فى عرض المياه الإقليمية والمياه الملاصقة. ومن هنا قدم بوجز Boggs فى كتابه "The Peaceful Solution of Boundary Problems". وفى عام ١٩٤٩ وجد ثلاثة إقتراحات لحل المشكلات المتعلقة بالحدود البحرية وهى:

* تحديد نطاق إتساع المياه الإقليمية لكل الدول، على ألا يكون هذا النطاق متسعاً، وتخصيص نطاق ملاصق لكل دولة مع مراعاة توحيد عرضه أيضاً.

* لكل دولة الحق للمطالبة بنطاق «نطاقات» تكميلية موحدة الإتساع لتخدم أغراضاً خاصة وفقاً لإحتياجات الدولة، ووفقاً لأحوالها الإقتصادية فوق اليابس.

* أن يكون لكل دولة الحق فى تقرير مطالبها فى نطاق محدد فى الجهات التى ترى أنها تفى ببعض الفوائد الإقتصادية (من صيد أو إستخراج معادن أو لإحكام الرقابة الجمركية وتوفير الحماية). وبعد إبرام الإتفاقات الدولية.

هذه الإقتراحات منها ما تم تنفيذه مثل إنشاء المنطقة الإقتصادية الخالصة. والآخر لم يتم الإتفاق عليه، وذلك لإختلاف وجهات نظر الدول. فإتفاق الدول على أمر واحد خاص بتحديد عرض الحدود أمام السواحل أمر صعب ولا يمكن أن يحدث فى عالم متباين الآراء والأطماع وتفرض فيه قوانين الأقوياء.

المضائق البحرية: Straits

يمثل المضيق قطاعاً ضيقاً من المياه يربط منطقتين بحريتين مختلفتين. فقد يربط بحر بأخر، أو بحر بخليج أو خليج بمحيط، أو محيط بمحيط، أو محيط ببحر. وقد زادت الأهمية الإستراتيجية للمضائق مع زيادة حركة السفن العابرة خلاله إلى الأقاليم الجغرافية المتباعدة. فالمضائق تلعب دور حلقة الوصل بين المناطق البحرية.

ويقتررب اليابس على جانبي المضيق بصورة ملحوظة، وقد لا يزيد عرض المضيق عن عشرات الأمتار في بعض الأحيان. وتتجسد أهمية المضائق لكونها نقطة عقدية لطرق الملاحة البحرية تتجمع عندها طرق الملاحة وتتفرق، ومن ثم كانت دائماً نطاقاً للصراع ومطمعاً للتحكم من قبل الدول الكبرى. فالسيطرة على المضيق تعنى غلق المعبر البحري والتحكم في طرق الملاحة.

وعرفت قيمة المضائق منذ القدم. فقد سيطر الفينيقيون والرومان على مضيق جبل طارق، ليس لكونه بوابة العبور من المتوسط (بحر الروم) إلى الأطلسي (بحر الظلمات) في الأزمنة القديمة فحسب، بل لأنه نقطة وصل سهلة بين أوروبا وأفريقيا فالمسافة بين صخرة جبل طارق والساحل المراكشي عند رأس سبته لا يتعدى ١٢ كيلو متراً فقط.

وتتفاوت قيمة المضائق وفقاً لأهمية المناطق المطلة على البحار التي يربطها المضيق، وفقاً لحركة التجارة بين أرجاء موانئ هذه البحار والبحار المجاورة. وقد يساعد وجود مضيق بحري على إبراز أهمية بعض الجزر القريبة منه. أو قد يؤدي إلى إزدهار دول مطلة عليه، أو مدن قريبة أو مشرفة عليه قد تستخدم كمحطات تزويد للوقود والمؤونة للسفن Coaling Station. فموانئ جبل طارق، وعدن، وكولمبو، وسنغافورة موانئ ذاع صيتها لموقعها بالقرب أو إشرافها على أحد المضائق البحرية الهامة.

ومن دراسة خريطة الملاحة العالمية، يلاحظ أن عدداً كبيراً من المضائق تشرف على الملاحة بين أرجاء العالم منها ١٥ مضيقاً على جانبي المحيط الهادى لتسهل حركة الملاحة بين الجزر واليابس الأسيوى أو الأمريكى

الشمالي. وسبعة مضائق بالمحيط الهندي الشمالي، وسبعة بالبحر المتوسط والبحر الأسود. وأربعة بين جزر المحيط القطبي الشمالي، وخاصة إلى الشمال من كندا.

وتفاوتت شهرة المضائق الإستراتيجية وأهميتها وفقاً للقيمة الاقتصادية وحركة التجارة بين أرجاء العالم، وأهم المضائق :

١ - مضائق البحر المتوسط:

* جبل طارق الذى يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسى، وهو من أشهر المضائق.

* مضيق مسينا بين إيطاليا وجزيرة صقلية.

* مضيق كيثرا باليونان. بين جزيرة كيثرا واليونان.

* مضيق اوترانتو فى الأدریاتيك.

* مضيق كارياثوس جنوب تركيا بين جزيرة رودس وتركيا.

* مضيق الدردنيل ومضيق البسفور بين البحرين الأسود والمتوسط.

٢ - مضائق البحر الأحمر:

* باب المندب ويربط بحر العرب والبحر الأحمر.

* تيران ويربط خليج العقبة بالبحر الأحمر.

٣ - مضائق المحيط الهندي:

* مضيق هرمز ويربط الخليج العربى بالبحر العربى.

* مضيق زنبار بين جزيرة زنبار والساحل الأفريقى.

* مضيق بالك بين سرى لانكا والهند.

* مضيق سوندا بين جزيرتى سومطرة وجاوة.

* لومبوكس وسومبا بين الجزر الأندونيسية.

* مضيق ملقا بين جزيرة سومطرة وشبه جزيرة الملايو.

٤ - مضائق المحيط الهادى:

على الجانب الأسيوى:

- * مضيق بالاباك بين الفلبين وإمارة صباح.
 - * مضيق مينداناو فى جنوب الفلبين.
 - * مضيق لوزون بين الفلبين وتايبيه «فرموزا».
 - * مضيق هاينان بين جزيرة هاينان والصين فى بحر الصين الجنوى.
 - * مضيق فرموزا بين جزيرة تايبيه والصين.
 - * مضيق سوانوز، وتكوشىما بين هنشو وشيكوكو فى اليابان.
 - * مضيق تسوجاتو بين هوكاىرو وهنشو.
 - * مضيق بيرنج بين المتجمد الشمالى والهادى.
- وعلى الجانب الأمريكى:

- * مضيق ماجلان بين جزيرة تيراديلفويجو وشيلى.
- * مضيقا كوين شارلوت، وچورچيا بين جزيرتى فان كوفر وكوينى شارلوت والساحل الأمريكى الغربى.

وحرية المرور عبر هذه المضائق مكفولة لكافة دول العالم، وذلك من خلال الإتفاقات والمعاهدات الدولية حتى، وإن كانت بعض هذه المضائق يقع ضمن المياه الإقليمية لبعض الدول مثل: مضيق تيران فى مصر، ومضائق الدردنيل والبوسفور فى تركيا.

وتختلف أشكال السفن العابرة وأنواعها عبر هذه المضائق. ويمكن تمييز أنواع محددة وفقاً لأقاليم الإنتاج. فمضيق هرمرز يعد بلا منازع مضيق النفط. ومضائق اليابان تعد مضائق الحاويات Containers والدردنيل والبسفور يعد معبر روسيا الرئيسى، ويتسم بغذارة حركة القطع البحرية الروسية.

مراجع الفصل الخامس

- (1) Alexander, L., **Marine Regionalism in the Southeast Asian Seas**, Hanolulu, East - West Center, 1982.
- (2) Attard, D., **The Exclusive Economic Zone in International Law**, Oxford, Clarendon Press, 1987.
- (3) Baxter, R., **The Law of Intrnational Waterways**, Harvard Universty Press, 1982.
- (4) Boggs, S. W., **International Boundaries**, New York, Colombia University Press, 1940.
- (5) Boggs, S., The Peaceful Solution of Boudnaries Problems, in Weigert, A., (ed), **New Compass of the World**, Harrap London, 1949. pp. 82 - 201.
- (6) Brigham, A., Principles in the Determination of Boundories, **Geographical Review**, April, 1961.
- (7) Glassner, M., **A Political Geography of the Sea**, Unwin Hyman, London, 1990.
- (8) Glassner, M., **Political Geography**, John Willey and Sons. New York, 1993.
- (9) Johnson, D., **The Theary and History of Ocean Boundary Making**, Kingston Mc Gill Queen's University Press, 1988.
- (10) Nadda, V., The Exclusive Economic Zone, **Political Geography Quarterly**, 5. January, 1986, pp. 9 - 11.

- (11) Percy, G., Geographical Aspects of the law of the sea, **Annals of Asso. American Geographers**, No. 49, March, 1959, pp. 1 - 23.
- (12) Rothwell, D., **Maritime Boundaries and Resources Development**, Canadian Institute of Resources law, 1988.

مراجع باللغة العربية

- (١) محمد عبد الغنى سعودى - الجغرافية السياسية المعاصرة - الأبنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧.
- (٢) محمد فاتح عقيل - مشكلات الحدود السياسية - منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٦٧.

الفصل السادس

خريطة العالم السياسية

مقدمة

أولاً : خريطة أوروبا السياسية:

* في بداية القرن العشرين.

* بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

* الخريطة الحالية.

* المشكلة الإيرلندية (مثل لمشكلات القارة السياسية).

ثانياً : خريطة أفريقيا السياسية :

* النفوذ الاستعماري في القارة.

* الخريطة السياسية الحالية.

* مشكلة شعب الإيقي (مثل لمشكلات الحدود السياسية الأفريقية).

ثالثاً : خريطة آسيا السياسية :

* تغير الخريطة السياسية طوال القرن العشرين.

* خريطة آسيا السياسية الحالية.

* مشكلة التاميل «مثل لمشكلات آسيا».

* مشكلة الأكراد (مثل لمشكلة ترسيم الحدود السياسية).

رابعاً : خريطة الأمريكتين السياسية :

* خريطة أمريكا الشمالية.

* خريطة أمريكا الوسطى ودول البحر الكاريبي.

* خريطة أمريكا الجنوبية.

* خريطة أستراليا.

* مراجع الفصل السادس

الفصل السادس خريطة العالم السياسية

مقدمة :

من ينظر إلى خريطة العالم السياسية يلحظ مدى تعدد وحداتها السياسية التي تصل إلى ١٩٩ دولة متباينة في مساحاتها وأحجامها السكانية. فهذا العالم الواحد مقسم ومجزأ، وهذا أمر طبيعي يعكس التباين البشرى فوق المعمور. وخريطة العالم السياسية متغيرة باستمرار. وتتفاوت صور التغير من تغير بطيء إلى تغير جذري وفقاً للمتغيرات الدولية المؤثرة على تكون الدول وتغير حدودها السياسية. ومن ثم فإن الخريطة السياسية الحالية للعالم في بداية الألفية الثالثة ليست سوى إحدى مراحل تطورها وتغيرها المستمر المرتبط دائماً بالصراع البشرى الذى لن ينتهى فوق سطح الأرض.

والجغرافى عند دراسته لخريطة العالم السياسية يضع فى اعتباره أن هذا التغير نتاج لتغير الحدود السياسية، وهى فى الحقيقة ظاهرة صنعها الإنسان. ودائماً يجب على الجغرافى أن يدرس أثر التغيرات السياسية على تغير أشكال الدول وأحجامها واقتصادياتها. كما أنه يجب أن يضع فى الاعتبار دراسة القوميات المختلفة فى العالم، والعوامل التى أدت إلى ظهور هذه القوميات وتوسعها وانتشارها أو انكماشها خلف حدود سياسية محدودة. وسوف يوضح هذا الاهتمام للجغرافى مناطق الاستقرار وعدم الاستقرار وإثارة المشكلات والقلق فوق بقاع العالم سواء أكان ذلك فى دولة أم فى جزء منها.

سوف يظل سلام العالم واستقراره مرتبطاً بتغير حدود العالم السياسية، والذى يحدده ساسة الدول وزعماء القوميات. ونظراً لأن خريطة العالم السياسية دائمة التغير فهناك دول جديدة تظهر على خريطة العالم وترفع رايها فوق سوارى الأمم المتحدة. وقد تختفى بعض الدول عندما تندمج مع بعض الدول لتصبح أوضاع قوميات ظلت مقسمة بسبب قوى خارجية. وعلى

النقيض قد تنقسم دولة إلى عدة دول. من هنا فإن خطوط الحدود الدولية بين الدول دائمة التغير، وإن خريطة العالم السياسية الحالية تمثل المرحلة الأخيرة لتطور صراع القوى في العالم، وهي نتاج مجموعة متباينة من العوامل تعمل على بلورة الشخصية السياسية للإقليم السياسى.

وتعد التغيرات السياسية التى شهدتها خريطة العالم السياسية فى القرن العشرين خير دليل على عمق التغيرات السياسية الضخمة فوق أرجاء قارات العالم القديم فقد تغيرت خريطة أوروبا بعد زوال الإمبراطوريات التى سادت خلال العصور الوسطى، ثم تغيرت مرة أخرى وأعيد رسم الخريطة السياسية لها بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بهزيمة ألمانيا وإيطاليا.

وتغيرت خريطة أفريقيا وآسيا كثيراً بعد أن تخررت كثير من بقاعها من نير الاستعمار الأوروبى، وظهرت كثير من الدول الحديثة. كما أثر الصراع الدينى والأيدىولوجى على انقسام بعض دولها إلى أكثر من دولة، كما حدث فى جنوب شرقى آسيا، وفى شبه جزيرة الدكن وشبه الجزيرة الكورية، والاتحاد السوفيتى.

ومع نهاية الألفية الثانية بلغ عدد دول العالم ١٩٩ دولة موزعة بين قارات العالم بصورة غير متناسقة. فهناك قارات صغيرة المساحة وبها عدد كبير من القوميات (أوروبا)، وعلى النقيض نجد قارة أمريكا الشمالية، التى تقترب مساحتها من مساحة أوروبا لا يوجد بها سوى دولتين فقط. وهذا ما توضحه بيانات الجدول رقم (٦ - ١). والذى يوضح تباين الصورة السياسية بين قارات العالم.

جدول رقم (٦ - ١) : أعداد الدول بين قارات العالم

وفقاً لبيانات عام ١٩٩٩ (*)

عدد السكان (مليون نسمة)	المساحة بالألف كيلومتر	عدد الدول	القارة
٣٦٣٧	٣١٧٨٢	٤٨	آسيا
٧٧١	٣٠٢٩٨	٥٥	أفريقيا
٧٢٨	٢٢٩٨٦	٤٣	أوروبا
٣٠٣	١٩٩٤٠	٢	أمريكا الشمالية
٣٣٩	١٧٨٧٠	١٣	أمريكا الجنوبية
١٧٢	٣٥٥١	٢٥	أمريكا الوسطى
٣٠	٨٥٦٣	١٣	الأوقيانوسيا
٦ مليار	١٣٤٩٩٦	١٩٩	الجملة

* ضمت مستعمرة ماكاو البرتغالية إلى دولة الصين في ديسمبر ١٩٩٩.

* يقل عدد دول أفريقيا إلى ٥٤ دولة في حالة ضم إقليم الصحراء إلى المغرب ويزيد عدد دول أوروبا إلى ٤٤ دولة في حالة ضم دول الفاتيكان.

وتشير بيانات الجدول أن قارة أفريقيا - على الرغم من كونها ليست أكبر قارات العالم مساحة - تعد أكثر قارات العالم تفتيتاً وتقسيماً سياسياً وبها ٥٥ دولة. تليها قارة آسيا وبها خمسون دولة. فأوروبا وبها ٤٢ دولة. أما أقل قارات العالم تقسيماً فتمثلها قارة أمريكا الشمالية، وبها دولتان فقط، وهما كندا والولايات المتحدة الأمريكية. كما تكثر أعداد الوحدات السياسية القزمية - سواء مساحياً أو حجماً سكانياً - في أمريكا الوسطى وجزر الكاريبي حيث توجد ٢٥ دولة إجمالي مساحتهم جميعاً ٣,٥ مليون

كيلومتر مربع فقط. وجزر المحيط الهادى (الأوقيانوسيا)، والتي تبلغ عدد دولها ١٣ دولة تنتشر فوق رقعة تبلغ ٨,٦ مليون كيلومتر مربع. مع العلم بأن أكبر جزرها هي جزيرة أستراليا والتي تبلغ مساحتها بمفردها ٧,٧ مليون كيلومتر مربع (٨٧٪ من جملة الإقليم).

وشهدت قارة آسيا أحدث التغيرات السياسية فوق خريطة العالم فمع نهاية القرن العشرين، وفي شهر ديسمبر من عام ١٩٩٩، استقلت إمارة ماكاو البرتغالية (٤٠٠ ألف نسمة، وبمساحة لا تتجاوز ٢١ كيلومتراً مربعاً) وضمت رسمياً إلى دولة الصين. وسوف تسجل قارة آسيا أيضاً ظهور أحدث دولة «تيمور الشرقية» بعد انفصالها عن أندونيسيا في أواخر القرن العشرين

وصفوة القول إن خريطة العالم السياسية متغيرة، وإنها مستمرة في تغيرها وإن خريطة اليوم تختلف تماماً عن نظيرها قبل الحرب العالمية الأولى، أو بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. كما أن خريطة العالم السياسية سوف تتغير في السنوات القليلة القادمة سواء بظهور دول جديدة، أو باتساع رقعة بعض الدول، أو بانسلاخ بعض الدول من دول أكبر.

وفي الدراسة التالية عرض موجز عن التغيرات السياسية التي انتابت الخريطة السياسية لقارات العالم المختلفة.

أولاً : خريطة أوروبا السياسية

اتسمت خريطة أوروبا السياسية بعدم الثبات منذ القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر. ويمكن إيجاز أهم السمات التي تميز قارة أوروبا فيما يلي :

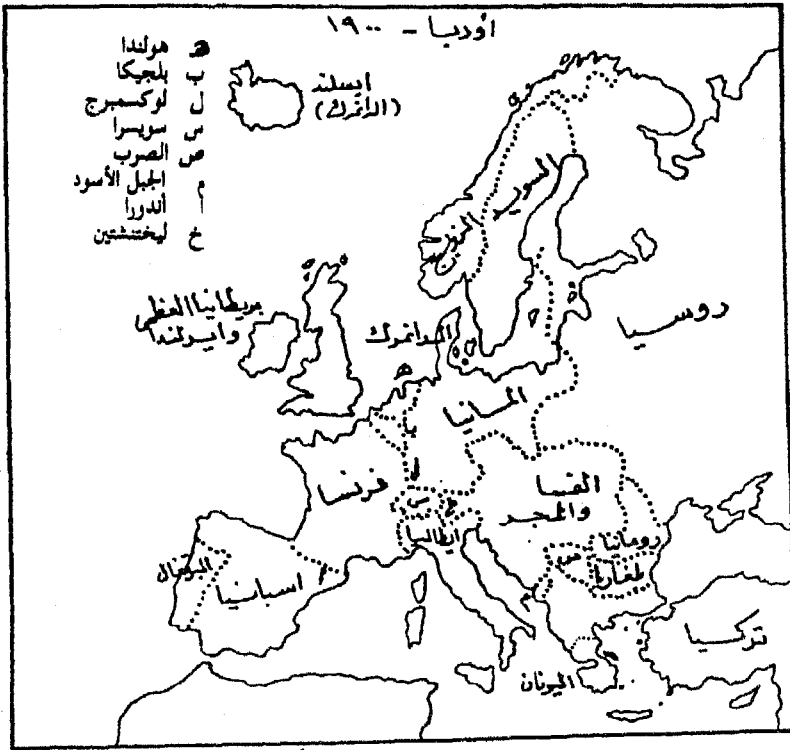
قارة أوروبا تأتي في مقدمة قارات العالم من حيث مدى تقسيم أراضيها إلى عدد كبير من الدول قياساً بصغر مساحتها. وكما يتضح من دراسة الجدول (٧ - ١) يلاحظ أن قارة أوروبا تبلغ مساحتها ما يقرب من ٢٣ مليون كم^٢ (بما فيها جمهورية روسيا الاتحادية). ومساحتها بدون روسيا لا تزيد عن ٥ مليون كيلومتر فقط. هذه الرقعة الأخيرة بها ٤٢ وحدة سياسية. وأن متوسط حجم الوحدة السياسية لا يزيد عن ١٢٠ ألف كم^٢ فقط. وتزيد متوسط المساحة إذا ما أضيفت مساحة روسيا الاتحادية ليصل الرقم إلى نصف مليون كم^٢ وهذا يعنى كثرة القوميات فى هذه القارة.

والملاحظ على خريطة أوروبا السياسية أن الأجزاء الغربية منها قد استقرت أمور دولها فى كل من فرنسا وإسبانيا والبرتغال وبريطانيا وهولنده والدانمرك وبلجيكا والسويد والنرويج وفنلنده. فى حين لم تستقر أمور دول شرق وجنوب شرق أوروبا فى دول البلقان وبولنده والتشيك والسلوفاك. وجدير بالذكر أن الاستقرار الذى تنعم به دول غرب القارة لم تحصل عليه بين ليلة وضحاها. فالقارة تغيرت صورتها السياسية بسرعة، وهذا ما توضحه دراسة خريطة القارة فى ثلاث مراحل :

الأول : فى بداية القرن العشرين، والثانية عقب معاهدة فرساي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، والثالثة : الخريطة الحالية.

أ - خريطة أوروبا السياسية فى بداية القرن العشرين :

توضح دراسة الخريطة السياسية للقارة عام ١٩٠٠ (شكل ٧ - ١) أن أوروبا كانت تضم بعض الإمبراطوريات والقوى السياسية العظمى. وكانت الخريطة بسيطة ولا تختلف صورتها كثيراً عن تلك التى رسمت فى مؤتمر



شكل رقم (٦ - ١) الخريطة السياسية لقارة أوروبا
في بداية القرن العشرين « عام ١٩٠٠ »

فيمينا عقب حروب نابليون في الثلاثينيات من القرن الثامن عشر. وأهم التغييرات التي ظهرت هي ظهور كل من ألمانيا وإيطاليا كونهما دولتين موحدتين كما ظهرت بعض القوى السياسية حينئذ مثل الإمبراطورية الروسية القيصرية وإمبراطورية النمسا والمجر. وبريطانيا التي كانت قوة استعمارية ضخمة، وفرنسا، والتي كانت قوة برية دانت لها أقطار كثيرة، وخاصة في عهد نابليون بونابرت. كما أن أملاك الدولة العثمانية امتدت إلى دول شرق أوروبا في كل من رومانيا وبلغاريا واليونان وشبه جزيرة البلقان. مع أن الأخيرة قد بدأت تترنح وتفكك وكان من نتاج ذلك استقلال بعض الدول مثل : رومانيا، واليونان. وفي تلك الفترة كانت الوحدة تضم كل دول الأراضي الواطئة بعد مؤتمر عام ١٨٣٥ في فيينا وهذه الدول كانت هولندا وبلجيكا ولكسمبرج وهذه الوحدة لم تستمر طويلاً حتى تفككت وظلت هذه الدول على حدودها حتى هذه اللحظة.

أما دول شبه جزيرة أيبيريا والمتمثلة في إسبانيا والبرتغال فقد كانتا قوى استعمارية ذات ممتلكات واسعة في قارات العالم ولكنهما فقدتا معظم مستعمراتهما.

أما دول أسكنديناوه فقد ظلت بعيدة عن الصراع الأوروبي وكانت دولة واضحة الحدود استفادت من قوة بنينها البشرية، والذي ورثته عن دولها الفايكنج القديمة التي سادت على أراضيها وكانت حدود كل من النرويج والسويد بعيدة عن مشكلات الحدود بعد انفصالهما عن بعض.

ب - أوروبا في أعقاب الحرب العالمية الأولى :

بعد أن وضعت الحرب أوزارها وانتهت بهزيمة ألمانيا وحلفائها تركيا وإمبراطورية النمسا والمجر. اختلفت خريطة أوروبا نتيجة للتغيرات السياسية التي واكبت هزيمة هذه الدول وأهم ملامح القارة يمكن إيجازها في :

* نشأت دول جديدة مثل : بولندا وتشيكوسلوفاكيا وفنلندا ودويلات بحر البلطيق (استونيا ولاتفيا وليتوانيا)، وهذا ما توضحه خريطة رقم (٦ - ٢).

* استقلال دولة أيسلندا عن الدانمرك فى عام ١٩١٨ ، وتكوين دولة
إيرلندا الحرة عام ١٩٣٧ .

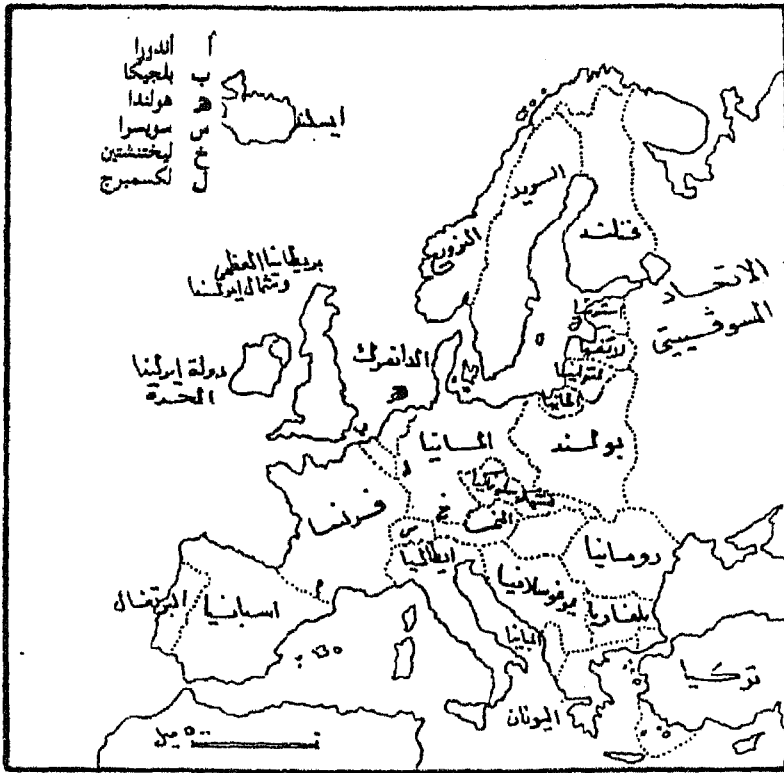
* انكماش رقعة بعض الدول مثل : النمسا والمجر وذلك بعد أفول
نجميهما وأصبحت حدودهما هى الحدود الحالية . وانكماش رقعة ألمانيا بعد
أن فقدت أجزاء من أراضيها حين ضمت مقاطعتى أيوبين ومالميدى إلى
بلجيكا، ومقاطعة شلزيغ إلى الدانمرك والألزاس واللورين إلى فرنسا .

* زادت مساحة أراضي بعض الدول مثل : رومانيا وبلغاريا واليونان
والدانمرك وفرنسا وبلجيكا أما إيطاليا، فقد زحزحت حدودها إلى الشمال
حتى بلغت القمم العالية فى جبال الألب واتسعت رقعتها شرقاً بعد ضم
جزيرة أستريا .

* حصول بولنده على واجهة بحرية عن طريق ممر دانزج ، والذي أدى
إلى فصل أراضي ألمانيا . وكان أحد أسباب الحرب العالمية الثانية .

ومع سيطرة هتلر على الحكم فى ألمانيا وقيام الحرب العالمية الثانية
توسعت ألمانيا كثيراً فى الأراضي الأوروبية، وخاصة إلى الشرق والجنوب .
كما حدثت تغيرات أخرى خلال الحرب العالمية الثانية، والتي أدت إلى
تغير كبير فى الخريطة السياسية لأوروبا . وبعد انتهاء الحرب العالمية
الثانية زحزحت روسيا حدودها وضمت إليها أراضي من رومانيا . وأجزاء
من شرق بولنده وأجزاء من تشيكوسلوفاكيا، ومنطقة بروسيا الشرقية من
ألمانيا، وضمت إليها أراضي دويلات البلطيق الثلاث وبعض أراضي فنلندا
حول بحيرة لادوجا والأراضي الساحلية المطلّة على المحيط المتجمد
الشمالى .

وتوسعت أراضي تشيكوسلوفاكيا على نهر الدانوب عند منطقة براتسلافام
واتسعت رقعة بولنده غرباً على حساب أراضي ألمانيا فى منطقة سيليزيا العليا
وبعض أراضي بروسيا الشرقية، كما انكشمت أراضي إيطاليا بعد أن اقتطعت
منها أراضي شبه جزيرة أستريا وجزرارا وجزر ساحل دالمشيا وضمت إلى
يوجوسلافيا .



شكل (٦ - ٢) خريطة أوروبا السياسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى

وظلت الحدود السياسية للدول القزمية «بواقى نظام الإقطاع القديم» الصغيرة واحتفظت بكيانها السياسى وتقاليدها التى عاشتها منذ العصور الوسطى وهى إمارات صغيرة الحكم والسكان مثل : إمارة موناكو وسان مارينو وأندورا وليختنشتين Liechtenstien .

ج - خريطة أوروبا السياسية الحديثة :

كما سبقت الإشارة، فإنه على الرغم من صغر مساحة القارة (٥ مليون كم^٢) إلا أنها تضم ٤٣ دولة. وهذا يعكس مدى التعقد السياسى والقومى لهذه القارة ذات كثافة السكان المرتفعة. ولم ينته التقسيم السياسى للقارة إلى هذا العدد الكبير من الدول، بل أن خريطة أوروبا السياسية قد تأثرت بالتغيرات الكبيرة التى انتابتها فى النصف الأول من القرن العشرين. وانقسمت ألمانيا إلى دولتين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية التى اقتطع منها إقليم الألزاس واللورين وعاد إلى فرنسا فى نفس الوقت ضمت ألمانيا الغربية إقليم السار من فرنسا. وقد انقسمت أوروبا أيدولوجيا إلى قسمين :

أحدهما : شرق أوروبا : ويضم الدول التى سارت فى فلك الاتحاد السوفيتى والنظام الشيوعى وانطوت تحت لواء حلف وارسو، ويشمل ألمانيا الشرقية ورومانيا ويوغوسلافيا، وبلغاريا، وبولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا.

والآخر : غرب أوروبا : ويضم فرنسا وبريطانيا وألمانيا الاتحادية وبلجيكا وإيطاليا وإسبانيا وهولندا والنرويج، ودخلت هذه الدول مع الولايات المتحدة الأمريكية فى حلف شمال الأطلسى، وأطلق عليها دول المعسكر الرأسمالى «الغربى».

وكان نتاج هذا التقسيم الأيدولوجى أن ظهرت دول محايدة بين هذين المعسكرين، وهى دول النمسا وسويسرا وفنلندا والسويد.

ومن دراسة الجدول رقم (٦ - ٢) والشكل رقم (٦ - ٣) يمكن أن نلاحظ على خريطة أوروبا ما يلى :

جدول رقم (٦ - ٢) : دول أوروبا وعواصمها في عام ١٩٩٩ (*)

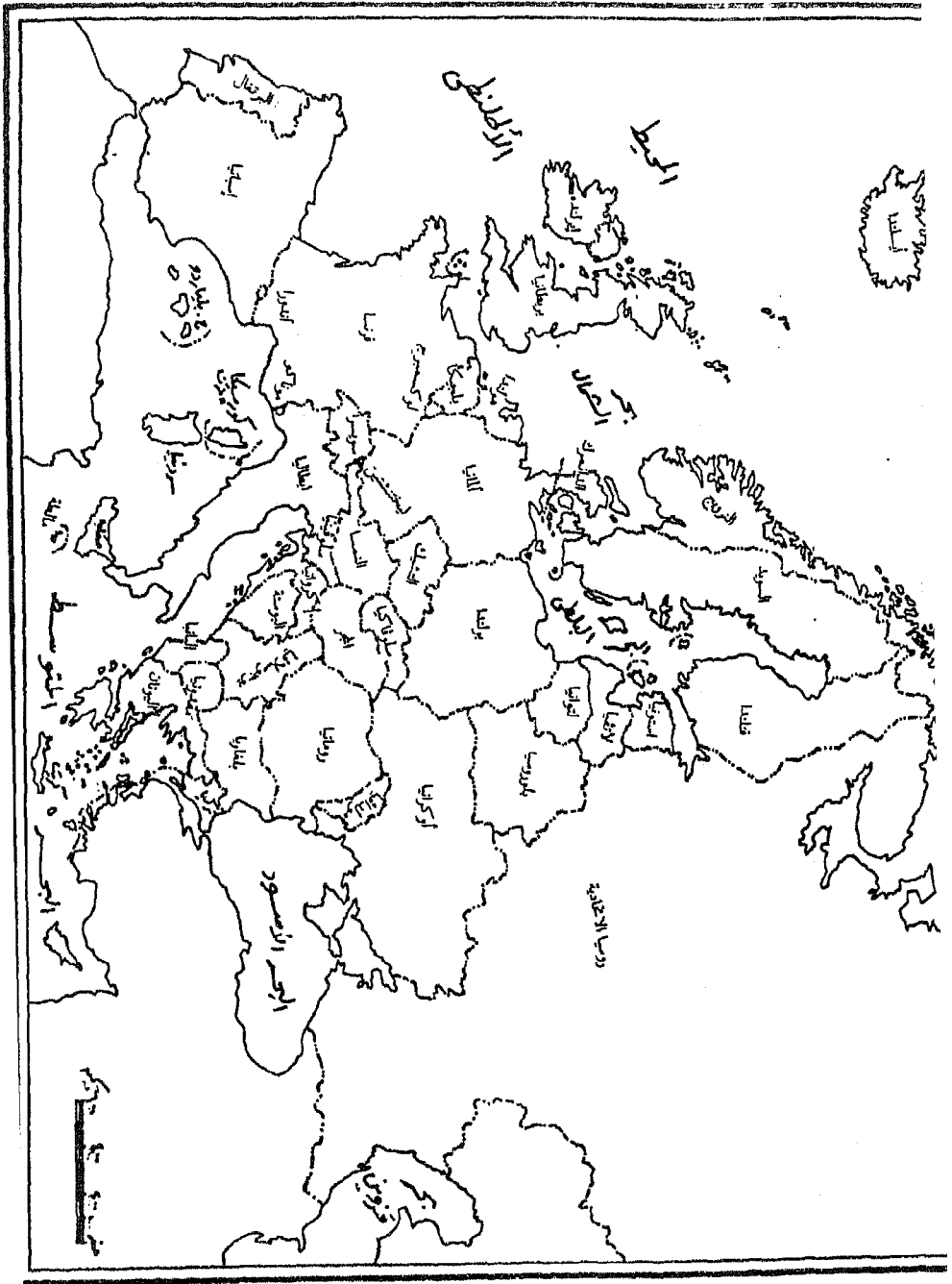
المساحة بالألف كيلومتر المربع

الدولة	العاصمة	المساحة	الدولة	العاصمة	المساحة
الدانمرك	كوبنهاجن	٤٣.٢	التشيك	براغ	٧٩
استونيا	تالين	٤٥.٢	المجر	بودابست	١٦٣
فنلندا	هلسنكي	٣٣٩	مولدافيا	شيزينار	٣٣.٨
أيسلندا	ريكيافيك	١٠٤	بولندا	وارسو	٣٢٥
ج. إيرلندة	دبلن	٧٠.٢	رومانيا	بوخارست	٢٣٩
لاتفيا	ريجا	٦٥	روسيا الاتحادية	موسكو	١٧١٣٩
لتوانيا	قلنيوس	٦٥	سلوفاكيا	براتسلافا	٥٠
النرويج	أوسلو	٣٢٥	أوكرانيا	كييف	٦٠٦
السويد	استوكهلم	٤٥٢	البانيا	تيرانا	٢٨
بريطانيا	لندن	١٢٩	أندورا	أندورا	٠.٤
النمسا	فيينا	٨٣	البوسنة والهرسك	سراييفو	٥٢
بلجيكا	بروكسل	٣١	كرواتيا	زغرب	٥٧
فرنسا	باريس	٥٥٣	اليونان	أثينا	١٣٣
ألمانيا	برلين	٣٥٦	إيطاليا	رما	٣٠٢
ليختنشتين	فادوز	٠.١	مقدونيا	إسكوبي	٢٦
لوكسمبرج	لوكسمبرج	٢.٥	مالطة	فالتا	٠.٣٢
موناكو	موناكو	٠.٢	البرتغال	لشبونة	٩٢
هولندا	أمستردام	٤١	سان مارينو	سان مارينو	٠.٠٦
سويسرا	برن	٤١.٦	سلوفاكيا	براتسلافا	٢٠.٨
بلوروسيا	منسك	٢٠.٨	إسبانيا	مدريد	٥٠.٧
بلغاريا	صوفيا	١١١.٨	يوغوسلافيا	بلجراد	١٠٤

* الجدول من إعداد المؤلف وفقاً لبيانات :

World Populatoin Data Sheet, 1999.

* لم يتضمن الجدول دولة الفاتيكان التي تحتل أحد شوارع مدينة روما في ميدان القديس بطرس St. Peter، والتي تصل مساحتها إلى ٠.٤ كيلومتر مربع فقط.



شكل (٦ - ٣) خريطة أوروبا الحديثة عام ١٩٩٩

١ - معظم دول أوروبا صغيرة المساحة، وأكبر دول القارة هي أوكرانيا وألمانيا وفرنسا والسويد ومساحة كل منها يوح مابين ربع إلى نصف مليون كيلومتر^٢ ، وعلى النقيض يكثر عدد الدول التي تقل مساحتها عن ٥٠ ألف كم^٢ مثل سويسرة وهولندة وبلجيكا والدانمرك ومولدافيا وسلوفاكيا ومقدونيا وألانيا.

٢ - على الرغم من صغر مساحة القارة، إلا أنها تتميز بكثرة الدول الحبيسة مثل المجر والنمسا وسويسرة ولوكسمبرج والتشيك والسلوفاك وبلوروسيا.

٣ - تخلو قارة أوروبا من المستعمرات باستثناء منطقة جبل طارق التي ماتزال تقبع تحت الحكم البريطانى. وكانت معظم دولها دولاً استعمارية كونت إمبراطوريات لها فيما وراء البحار Over seas . مثل إسبانيا والبرتغال وبريطانيا وفرنسا والدانمرك وهولندة.

٤ - أكبر دول قارة أوروبا مساحة هي روسيا الاتحادية التي يصل مساحتها إلى ١٧ مليون كم^٢ ، وهذه المساحة معظمها ذات امتداد آسيوى يصل إلى سيبيريا وساحل المحيط الهادى.

٥ - ماتزال قارة أوروبا تشهد عدة تغيرات. فمع نهاية القرن العشرين وخلال عامى ١٩٩١، ١٩٩٢ شهدت أوروبا ثلاث ظواهر سياسية كبرى كان نتاجها زيادة عدد دول القارة وهى :

أ - تفكك الاتحاد السوفيتى : وكان نتاج هذا التفكك انفصال دول بحر البلطيق، وهى أستونيا ولاتفيا وليتوانيا فى عام ١٩٩١ . وانفصال دول شرق أوروبا وهى : أوكرانيا وبلوروسيا ومولدافيا. إضافة إلى ثمانى دول تقع فى قارة آسيا «دول الكومنولث الروسى». وأكبر الدول التي تمخضت عن هذا التفكك هى دولة روسيا الاتحادية التي تعد أكبر دولة فى مساحة أراضيها ، والتي تصل إلى ١٧.٢١٣ كم^٢ .

ب - تفكك يوجوسلافيا : وماتزال آثار هذا التفكك يثير قلق ساسة العالم. فعقب انهيار الاتحاد السوفيتى انتهت دولة يوجوسلافيا

كونها دولة اتحادية فى يونيو ١٩٩١ . وكان نتاج هذا التفكك استقلال دول مثل : مقدونيا وكرواتيا وسلوفينيا، وأخيراً البوسنة والهرسك التى لم تستقل بسهولة، بل بعد أن دمرت بنيتها الأساسية وقتل وشرذ أعداد كبيرة من سكانها. ولم يتبق من أطلال يوجوسلافيا الاتحادية إلا اتحاد جمهوريتى الصرب والجبل الأسود. ولم تكتمل صورة الاستقرار تماماً فى هذه الدولة حيث طالب سكان إقليم كوسوفو بالاستقلال واستقطب سكان هذا الإقليم عطف دول حلف الأطلنطى الذى ساعدت فى الحصول على حق تقرير المصير بعد ضرب يوجوسلافيا وحصارها فى النصف الأول من عام ١٩٩٩ وهناك أدلة على أن جمهورية مونت نجررو أو الجبل الأسود قد تنفصل هى الأخرى لتبقى الصرب دولة حبيسة رافعة راية يوجوسلافيا.

ج - انقسام دولة تشيكوسلوفاكيا : عام ١٩٩٢ انقسمت دولة تشيكوسلوفاكيا بهدوء ورسمت حدود الدولتين لتفصل بين القوميتين السلوفاكية عن التشيكية بعد الاتحاد الفيدرالى الذى تكون عام ١٩١٨ .

٦ - توحيد ألمانيا : رغم العداء الشديد الذى شهده شطرا ألمانيا بعد هزيمة هتلر فى الحرب العالمية الثانية. إلا أن رغبة الشعب الألمانى وزعيمه هيلموت كول الذى أقنع حلف الأطلنطى بأهمية وحدة ألمانيا كان لهما الأثر فى توحيد ألمانيا. وبعد شهر أكتوبر ١٩٩٠ تاريخاً لاينسى للشعب الألمانى الذى تحقق حلمه فى هذا اليوم. وكان اكتمال الأفراح بعودة برلين عاصمة موحدة لألمانيا الموحدة عام ١٩٩٩ . تلك الوحدة التى أدت إلى ظهور مارد قوى وسط أوروبا . قد يغير خريطة أوروبا مستقبلاً.

المشكلة الإيرلندية «مثل لمشكلات الحدود الأوروبية»:

تعود جذور المشكلة الإيرلندية إلى تاريخ الاستيطان والهجرة من أوروبا إلى الجزر البريطانية. فقد استقبلت الجزيرة البريطانية الكبرى العديد من المهاجرين الأوروبيين الذين عمروا الجزيرة. ودفعت السكان المستضعفين إلى سكنى ويلز وإيلندا. ونجح سكان الجزيرة الكبرى إلى تكوين وحدة قومية مستفيدة من موقعها الجغرافي الجيد بينها وبين أوروبا من جانب وحلقة للاتصال بالأمريكتين من جانب آخر. وقد استفاد سكان هذه الجزيرة من إمكاناتها الاقتصادية الجيدة المتمثلة في كثرة إرسابات الفحم والحديد اللذين ساعدا على قيام الثورة الصناعية التي أدت إلى تقدم بريطانيا ونجاحها في السيطرة على العديد من دول العالم فيما وراء البحار.

أما الجزيرة الصغيرة «إيرلندا» فكانت أقل حظاً حيث إن طبيعة الأرض بها تتسم بالاستواء النسبي وسوء الصرف مما أدى إلى تجمع العديد من المستنقعات والبحيرات، مما جعل السكان الذين لايزيدون عن ٥ مليون نسمة لايجدون سوى الزراعة حرفة لهم. في الوقت الذي تعاني فيه من إمكاناتها الزراعية الفقيرة نظراً لفقر التربة وسوء الصرف ولعدم وجود فصل جاف بمعنى الكلمة. من ثم فقد ساد بالجزيرة الحياة الرعوية «الأبقار والأغنام». هذه الظروف جعلت جزيرة إيرلندا إحدى البقاع المنعزلة التي لجأت إليها العناصر الكلتية التي احتفظت بسماتها السلالية والحضارية، كما احتفظوا بصفاتهم الدينية «كاثوليكية».

وقد سيطرت بريطانيا على إيرلندا واستعمروها وقسموا الجزيرة إلى أجزاء يحكمها الأشراف والنبلاء. وقد تعرضت إيرلندا لعدة أزمات نتيجة سوء الأحوال الجوية، مما أثر على إنتاجها الزراعي. ففي الفترة من ١٨٤٠ - ١٨٥٠. كان لسقوط الأمطار بغزرة أثره البالغ في إتلاف محصولهم الرئيسي «البطاطس» مما أدى إلى شيوع المجاعة وانتشار الفقر. وكان من نتاج ذلك نزوح أعداد كبيرة من الإيرلنديين إلى الولايات المتحدة. وتعرضت إيرلندا

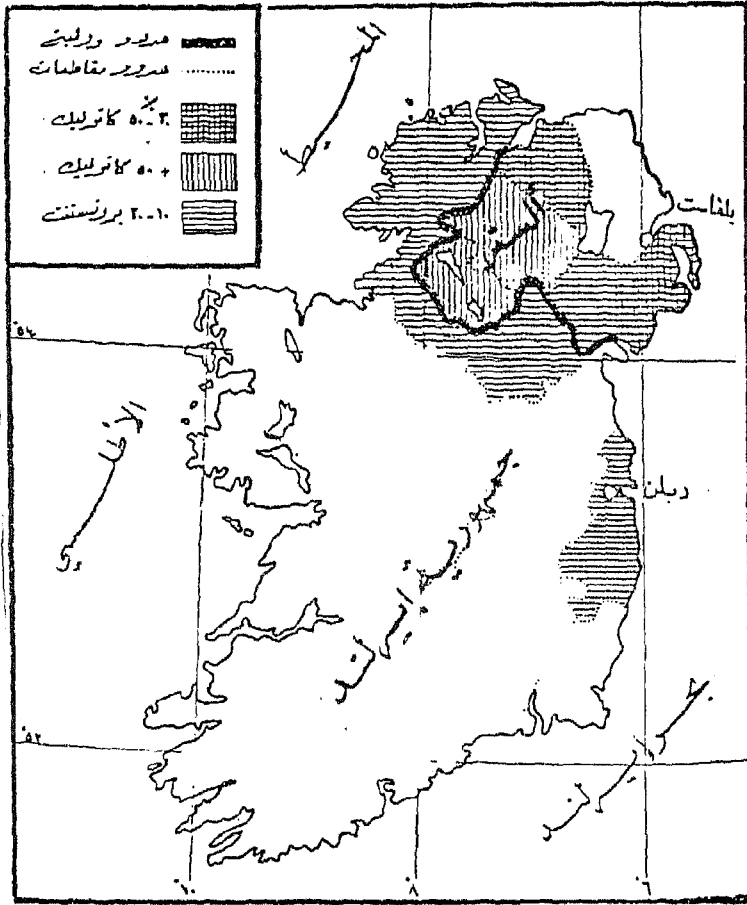
لعجز في الأيدي العاملة. في الوقت الذي شدد الإنجليز فيه من فرض الضرائب مما زاد من كراهية الإيرلنديين للإنجليز.

في نفس الوقت استقبلت الأجزاء الشمالية من الجزيرة في منطقة أستر Ulster عناصر بريطانية حاملة معها المذهب البروتستانتى ولغتهم وخبرة صناعية. وتوالى وفود أعداد أكبر من الإنجليز وارتبطوا بالجزيرة الكبرى البريطانية بعلاقات اقتصادية قوية حتى أصبحت منطقة أستر مرتبطة برباط وثيق بريطانيا في الوقت الذي أهملت فيه بقية جزيرة إيرلندا. وكان وراء هذا التمييز أن بدأ سكان جنوب إيرلندا المطالبة بالحكم الذاتى بعيداً عن سلطة الإنجليز.

وفي عام ١٩١٤ وبعد كفاح مسلح دامى أصدر البرلمان البريطانى قراره بمنح الحكم الذاتى لإيرلندا الجنوبية. في نفس الوقت الذى مانع فيه سكان شمال إيرلندا البروتستانت أن تكون السيطرة على معظم الجزيرة للكاثوليك. وزاد سخط الكاثوليك حين أصدرت قوانين تفرقة عنصرية ضدهم. والسماح للبروتستانت بالاحتفال بأول يوليو «ذكرى انتصار الملك وليم الثالث البروتستانتى في عام ١٦٩٠ على جيمس الثانى الكاثوليكى».

ولم تحصل إيرلندا على استقلالها إلا بعد معاناة طويلة انتهت باتفاق عام ١٩٢١، والذي منح القسم الجنوبي من الجزيرة (٨٥٪ من المساحة) استقلالاً ذاتياً على أن تظل تابعة للكومنولث البريطانى، بينما ظل إقليم الشمال أستر تابعاً لبريطانيا. وهذا ما لا يرضاه سكان إيرلندا ورأت بريطانيا أن يترك تعيين الحدود بين أستر وجمهورية إيرلندا إلى لجنة محايدة مكونة من مندوبين من أستر وبريطانيا وإيرلندا.

وتتعدد خريطة توزيع الديانات في أستر. ففي الوقت الذى تسود فيه البروتستانتية، فإن بعض مقاطعاتها من الكاثوليك (مثل : سكان جنوب إيرلندا). واستمر الوطنيون الإيرلنديون فى المطالبة بضم منطقة أستر إلى الدولة الأم، ولقى ذلك تأييداً كبيراً من الحكومات المختلفة فى إيرلندا الجنوبية. وفى عام ١٩٣٧ نجح الحزب الجمهورى من الوصول إلى الحكم



المصدر: تقرير عن سعودي، ١٩٤٤

شكل رقم (٦ - ٤)
 إيرلندا بين التقسيم والتفتت العقائدي

وأعلن الاستقلال عن إيرلندا وإطلاق اسم جمهورية Eire ووضع دستوراً للبلاد وطالب فيه بضم إقليم أستر. وبدأ الاهتمام بالتصنيع وتحسين الإنتاج الزراعي ودعم التجارة الخارجية، مما أدى إلى تقدم إيرلندا.

ولم ينته الأمر عند حد إعلان الجمهورية والاستقلال التام من جانب واحد، بل اتخذ قائد التحرير (دي فاليرا De Valera) قراراً شجاعاً حين أعلن للعالم أن جمهورية إيرلندا لا تتقيد بسياسة بريطانيا وأنها (إيرلندا) اختارت الحياد التام أثناء الحرب العالمية الثانية التي قد اندلعت في عام ١٩٣٩. وحاولت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا الضغط على إيرلندا لتغيير موقفها، ولكن تمسك الإيرلنديون بموقفهم. بل وسمحت إيرلندا الحرة للغواصات الألمانية أن تتخذ لنفسها قواعد للتموين في عدة موانئ على سواحلها أثناء الحرب، مما يعنى تحدى الحلفاء في حربهم. وهذا الموقف كان نتاجاً للحقد الشديد تجاه البريطانيين.

ولم تنس إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية هذا الموقف لإيرلندا فوقفنا ضد اشتراك إيرلندا الحرة في عضوية الأمم المتحدة عدة سنوات. ولكن نجحت إيرلندا بعد ذلك في الانضمام للمنظمة الدولية، بل أصبحت عضواً فعالاً في السوق الأوروبية المشتركة، وعضواً في الاتحاد الأوروبي وسبقت بريطانيا في ذلك.

وعلى الجانب الشمالى من إيرلندا فى منطقة أستر ومنذ عام ١٩٣٦ تكونت خلايا عسكرية للمقاومة تحت اسم الجيش الجمهورى الإيرلندى الذى وضع فى استراتيجيته ضرب وتخريب الممتلكات البريطانية وقتل المسؤولين البريطان لتحقيق أغراضهم فى ضم الإقليم إلى الدولة الأم «إيرلندا». وتبذل الحكومة البريطانية حالياً جهوداً كبيرة للإصلاح الدستورى فى إيرلندا الشمالية لتؤكد بقاءها كونها جزءاً من بريطانيا مع إقامة هيئتين إحداهما تنفيذية والأخرى تشريعية تمثل كلاً من الكاثوليك والبروتستانت. وتظل الحكومة البريطانية مسؤولة عن الشؤون الخارجية والدفاع. ولكن كل هذه الإصلاحات لم ترض السكان الوطنيين والجيش الجمهورى IRA. ولم تنجح فى وقف ضرباته التخريبية داخل لندن أو فى إقليم أستر.

أخيراً. قارة أوروبا صغيرة المساحة والمتعددة القوميات. والتي تضم بين جنباتها ثلاث وأربعين وحدة سياسية تتعقد حدودها السياسية أيضاً بصورة لافتة. وليست مشكلة إيرلندا هي الوحيدة بالقارة، بل لا يوجد حد سياسي يفصل بين دولتين إلا واكتنفته المشكلات. ومن هنا فإن الحدود السياسية الأوروبية من النوع المعقد المتشابك. ويمكن سرد بعض الأمثلة عن مشكلات الحدود السياسية في القارة فيما يلي :

١ - مشكلات الحدود السياسية الفرنسية مع كل من ألمانيا (ألزاس ولورين والساار) ومشكلاتها مع لوكسمبرج ومشكلاتها مع إيطاليا على ساحل الريفييرا وفي وادي أوستا.

٢ - مشكلات الحدود بين هولندا وبلجيكا في منطقة المايدي ومنطقة سانت فيث.

٣ - مشكلة الحدود الألمانية. تتعدد المشكلات على حدود ألمانيا نظراً لترسيم الحدود السياسية لألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية. ومن هنا تظهر مشكلات مع كل من الدانمرك «شلزفيج» وبين ألمانيا والسلوفاك (في إقليم السويدت)، وبين ألمانيا وبولندا «الممر البولندي».

٤ - تتعدد مشكلات الحدود السياسية في إقليم شرق أوروبا. حيث لم تصل حدود هذه الدول بعد إلى مرحلة الاستقرار. فحدود بولنده مع جيرانها تعد أفضل الأمثلة. حيث أن بولنده تعاني من مشكلات بينها وبين سلوفاكيا وبلوروسيا ورومانيا. وبين رومانيا وبلغاريا، وبين بلغاريا ويوجوسلافيا، وبين المجر وسلوفاكيا، وبين إيطاليا وتركيا. ومشكلات الحدود بين النمسا وجيرانها.

٥ - مشكلات في منطقة وسط أوروبا وأهمها مشكلات الحدود المجرية مع رومانيا حول منطقة ترانسلفانيا.

٦ - مشكلات متعلقة بترسيم الحدود الإيطالية (معقدة أيضاً نظراً لترسيمها بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية). وأهم المشكلات تتعلق

بالحدود الإيطالية مع النمسا في إقليم التيرول الجنوبي ، ومشكلة شبه جزيرة إستريا وميناء ترست «أغلبية إيطالية» ، والذي ضم ليوجوسلافيا. (يتبع سلوفينيا حالياً) والحدود الإيطالية السويسرية في منطقة تشينو Ticino. ومشكلاتها مع فرنسا.

٧ - مشكلات الحدود السياسية في البلقان التي ماتزال قائمة والتي أدت إلى اندلاع عدة حروب كان آخرها في أبريل ١٩٩٩ ضد الصرب وبسبب إضطهاد شعب كوسوفو. وارتبطت المشكلات بالتقسيم الذي انتاب دولة يوجوسلافيا.

ثانياً : خريطة أفريقيا السياسية

كانت أفريقيا في بداية القرن العشرين موزعة بين الدول الاستعمارية. فقد قسمت القارة بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا والبرتغال وبلجيكا إضافة إلى تركيا «الدولة العثمانية». ولم يسلم من الاستعمار سوى ليبيا والحبشة ومراكش. وإن كانت الظروف تغيرت بعد ذلك، وخاصة بعد استعمار كل من الحبشة ومراكش.

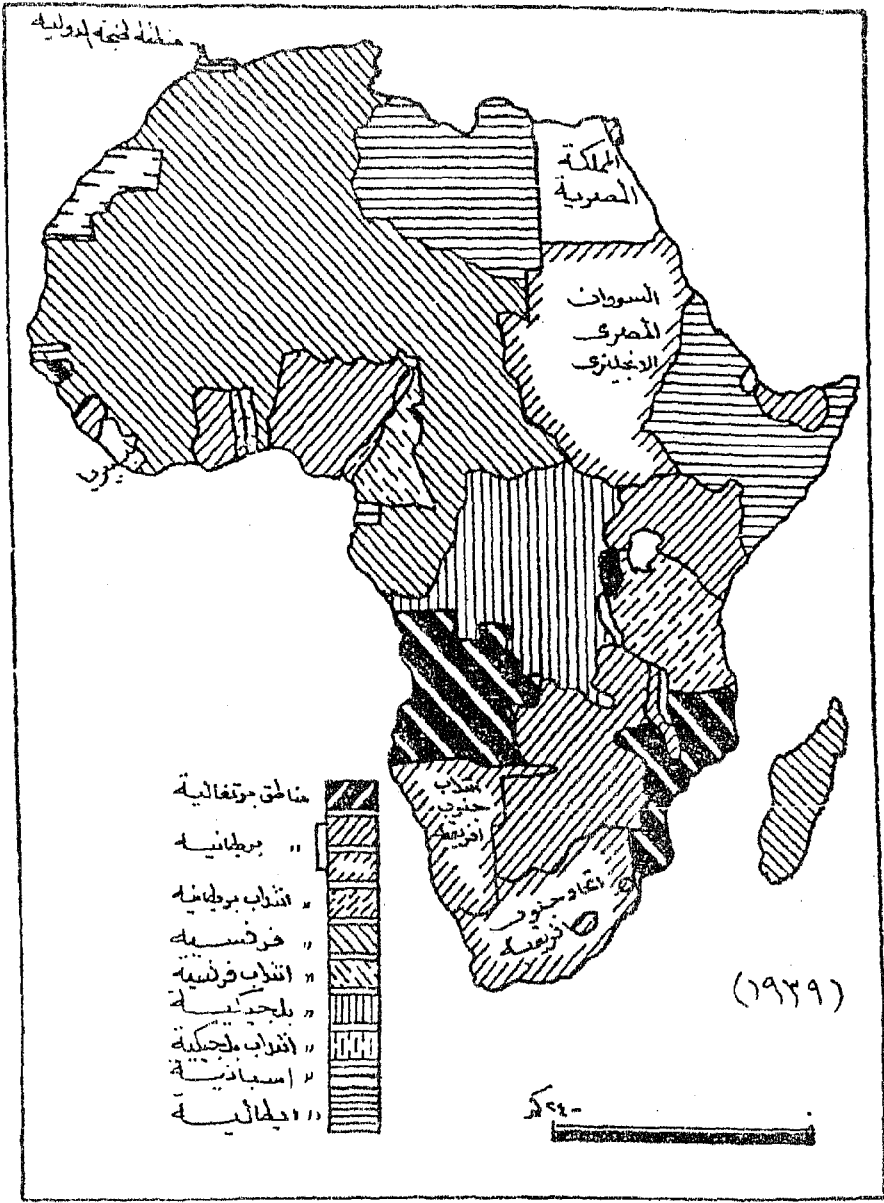
وتختلف الخريطة السياسية لأفريقيا حالياً عن تلك الخريطة عام ١٩٠٠ وذلك بسبب حركات التحرر التي خلصت دولها من السيطرة الأجنبية. ولا يمكن فهم خريطة أفريقيا السياسية دون أن نتحدث عن النفوذ الأجنبي للقارة. فالمستعمرو الأوروبي الذي غادر القارة مازال مرتبطاً بالقارة وعينه على مستعمراته القديمة، ويتدخل دائماً تحت بند المساعدات أو أحياناً تحت بند حل النزاعات الطائفية، والتي كانت نتاجاً مباشراً لتواجهه سابقاً.

النفوذ الاستعماري في القارة :

من دراسة أوضاع القارة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ويمكن رصد الشكل الاستعماري على أراضي القارة فيما يلي :

١ - كانت البداية الاستعمارية مرتبطة بحركة الكشوف الجغرافية. وكانت البرتغال أول القوى الاستعمارية للقارة. وكذلك كانت هولندا لها السبق الثاني وكان الاستعمار هنا في صورة محطات ساحلية استعمارية. ثم تبعها كل من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا، كما يتضح من الشكل رقم (٦ - ٥).

٢ - سيطرت فرنسا على ثلث مساحة القارة تقريباً. أما بريطانيا فقد سيطرت على ١٩٪ تقريباً، أما باقي القوى الأجنبية الأخرى فقد سيطرت على بقية القارة. وأهم هذه الدول بلجيكا التي سيطرت على حوض الكونغو (٨٪ من مساحة القارة).



مصدر: محمد صالح عيسى.

شكل رقم (٦ - ٥)

مناطق النفوذ الاستعماري في قارة أفريقيا

٣ - اتسمت المستعمرات الفرنسية بأنها تركزت فى إقليم غرب أفريقيا وشمالها فى المغرب العربى ، بالإضافة إلى منطقة العيس والعفر فى القرن الأفريقى (حبيوتى) وجزر القمر ومدغشقر وريونيون . بالإضافة إلى هذه المستعمرات فى شرق القارة فقد امتدت رقعة المستعمرات الفرنسية لتضم تونس والجزائر والمغرب وتشاد والنيجر ومالى وموريتانيا والسنغال وغينيا وقولتا العليا «بوركينافاسو حالياً» ، وساحل العاج «كوت ديفوار» وداهومى «بنين حالياً» وأفريقيا الوسطى والكنغو الأوسط «كينشاسا» .

٤ - تركزت المستعمرات البريطانية ومناطق نفوذها على امتداد شرق وجنوب القارة على طول امتداد النيل فى كل من مصر والسودان وأوغندا وروديسيا الجنوبية «زيمبابوى حالياً» وروديسيا الشمالية «زامبيا» وبتسوانا وكينيا وتنجانيقا «تنزانيا حالياً» ، والصومال البريطانى ، بالإضافة إلى مملكتى سوازيلاند وليسوتو «باسوتولاند سابقاً» وجنوب أفريقيا ، التى ظهرت دولة مستقلة عام ١٩١٠ فى أعقاب حرب البوير الشهيرة . أما مستعمرات بريطانيا فى غرب القارة فكانت تشمل نيجيريا والكمرون «كانت خاضعة لألمانيا» وغمبيا وسيراليون وتوجولاند «كانت مستعمرة ألمانية سابقاً» وساحل الذهب (غانا حالياً) ، بالإضافة إلى بعض الجزر الهامة مثل : جزر موريشيوس وجزر سيشل وسانت هيلانة وجزيرة سوقطرى وأبريم فى مدخل البحر الأحمر فى خليج عدن .

٥ - وكانت لإسبانيا مستعمرات أفريقية ، وإن كانت مساحتها صغيرة وهى ماتزال متمسكة ببعضها إلى الآن . هذه المستعمرات هى ريودى أورو ، وريو مونى «فى خليج غانة وجزر كنارى وجزر فرنانديز . وبلاد الريف فى المغرب» .

٦ - أما المستعمرات البرتغالية ، فكانت أكثر اتساعاً من الإسبانية وتشمل كلاً من أنجولا وموزمبيق وكابنده وبعض الجزر مثل ساوتومى وبرنسيب «فى

خليج غاناش وجزر كيب فرد «الرأس الأخضر» وماديرا وجزر أزور في المحيط الأطلنطي.

٧ - وكانت بلجيكا مستعمراتها في حوض الكونغو. وإيطاليا مستعمراتها في كل من ليبيا وأريتريا والصومال الإيطالي، وتم تصفيتها جميعاً بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت دولاً مستقلة. أما أريتريا فقد اتحدت مع إثيوبيا عام ١٩٥٣. ثم استقلت أخيراً عن إثيوبيا وأصبحت دولة مستقلة.

٨ - وكان لألمانيا بعض مستعمرات في أفريقيا مثل : إقليم أفريقيا الجنوبية الغربية، والتي خضعت تحت وصاية جنوب أفريقيا، ثم استقلت حالياً تحت اسم ناميبيا. ومن المستعمرات الألمانية الأخرى الكمرون وتنجانيقا.

واستمر استعمار القارة السوداء حتى العقد السادس من القرن العشرين، والذي بدأت معه انطلاقة التحرر لغالبية الدول (٧٥٪ من إجمالي عدد الدول) ثم تبعتها بعض الدول في العقد السابع من القرن العشرين حتى أصبحت كل القارة محررة حالياً باستثناء بعض البقاع الاستراتيجية التي ماتزال خاضعة لإسبانيا في سبتة ومليلة وجزيرة سانت هيلانة. وارتبط التحرر بخروج أعداد ضخمة من المستوطنين الأوروبيين. وإن كانت أفريقيا قد تحررت سياسياً إلا أنها ماتزال تحت سيطرة الاستعمار اقتصادياً. فالموارد الطبيعية ماتزال تحت السيطرة الأوروبية. من هنا فما تزال أفريقيا أكثر قارات العالم فقراً وتخلفاً حيث إنها مسرحاً للمجاعات والأمراض والانقلابات العسكرية وعدم الاستقرار السياسي.

الخريطة السياسية الحالية لأفريقيا :

تختلف الأوضاع السياسية في القارة حالياً عما كانت عليه من قبل فقد استقلت دول القارة وأصبح عدد الدول بالقارة الأفريقية يصل إلى ٥٥ دولة. هذا العدد يفوق مثيله في كل قارات العالم الأخرى وأصبحت تمتلك قوة

جدول رقم (٦ - ٣) : دول أفريقيا وعواصمها ومساحتها في عام ١٩٩٩

المساحة بالألف كيلومتر المربع

المساحة	العاصمة	الدولة	المساحة	العاصمة	الدولة
٨٨٤	نيروبي	كينيا	٢٣٩٩	الجزائر	الجزائر
٥٨٧	تانا ريف	مدغشقر	١٠٠٠	القاهرة	مصر العربية
١١٩	ليلونجو	ملاوي	١٧٦٥	طرابلس	الجمهورية الليبية
٢.٣	بورت لويس	جزر موريشيوس	٤٤٧	الرباط	المغرب
٨٠٣	مابوتو	موزمبيق	٢٥٢	العيون	والصحراء الغربية
٢.٦	سانت ديينيس	جزر ريونيون	١٦٤	تونس	تونس
٢٦	كيچولى	رواندا	٢٥٣٧	الخرطوم	السودان
٠.٥	فيكتوريا	جزر ميشل	١١٢	بورتونوفا	بنين
٦٣٩	مقديشو	الصومال	٢٧٦	واجادوجو	بور كينا فاسو
٩٤٩	دار السلام	تنزانيا	٤	سداد دى برايا	الرأس الأخضر
٢٤١	كمبالا	أوغندا	٣٢٢	أبيدجان	كوت دى فوار
٧٥٤	لوزاكا	زامبيا	١١٧	بانجول	غمبيا
٤١	هرارى	زيمبابوى	٢٣٩	أكرا	غانا
١٢٥٠	لواندا	أنجولا	٢٤٧	كوناكرى	غينيا
٤٧٥	ياوندى	الكامبيرون	٤٤	بيساو	غينيا بيساو
٦٢٤	بانجى	أفريقيا الوسطى	١١٢	مونروڤيا	ليبيريا
١٢٢٠	بنجامينا	تشاد	١٢٤٥	بماكو	مالي
٣٤٣	برازافيل	الكنغو	١٠٢٩	نواكشوط	موريتانيا
١٣٥٣	كينشاسا	الكنغو الديمقراطية	١٠١١	نيامى	النيجر
٢٨	مالابو	غينيا الاستوائية	٩٢٨	أبو جى	نيجيريا
٢٦٧	ليبرفيل	الجابون	١٩٨	داكار	السنغال
١.٨	ساوتومى	جزر ساوتومى	٧٣	فرى تاون	سيراليون
٨٢	جايورونا	بتسوانا	٥٧	لومى	توجو
٣١	ماسيرو	ليسوتو	٢٨	بوجمبورا	بوروندى
٨٢٦	ويندهوك	ناميبيا	٢.٢	مورونى	جزر القمر
١٢٢٤	بريتوريا	جنوب أفريقيا	٢٣.١	جيبوتى	جيبوتى
١٧	مابان	سوازيلاند	١١٧	أسمره	أريتريا
			١١٠٧	أديس أبابا	أثيوبيا

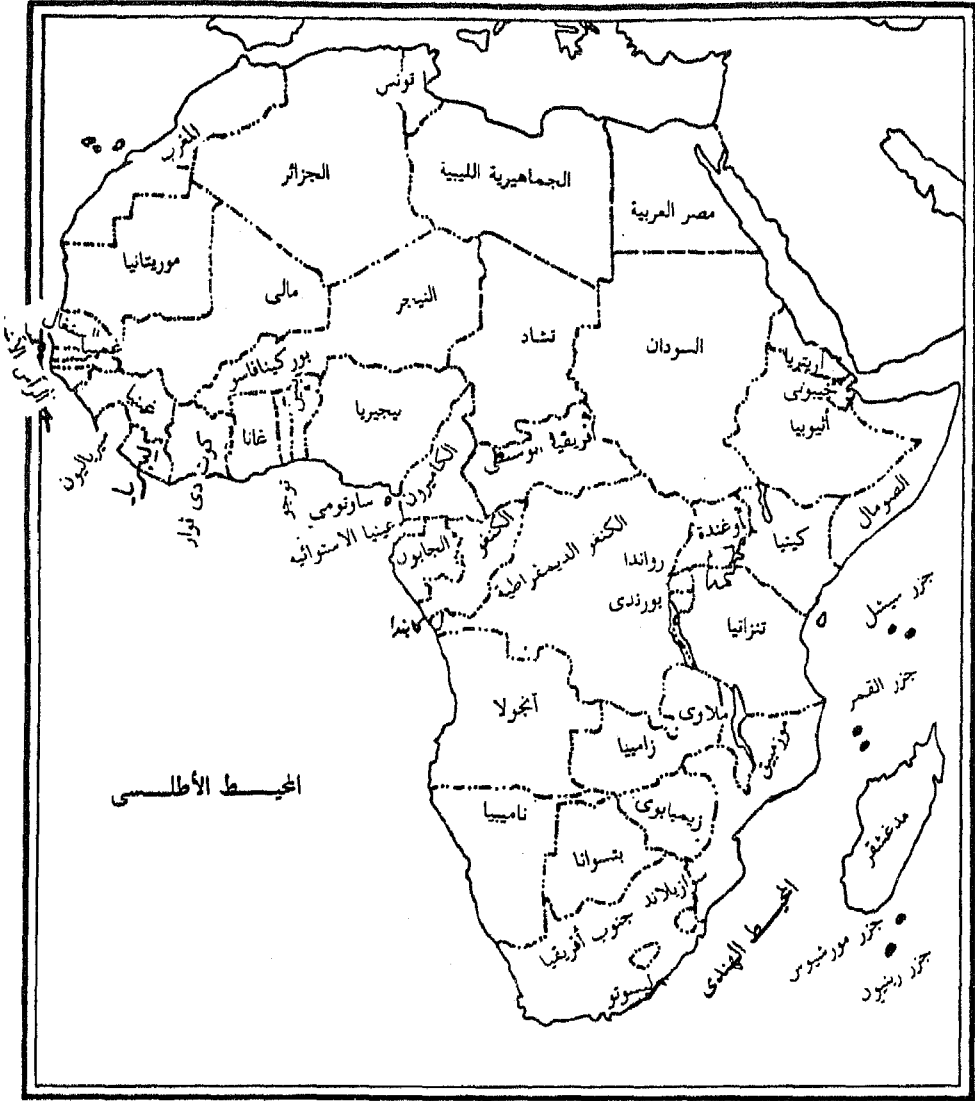
سياسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة. هذه الدول تتضح بياناتها في الجدول رقم (٦ - ٣) والشكل رقم (٦ - ٦) ومنه يمكن أن نستنتج عدة حقائق نوجزها فيما يلي :

١ - معظم الحدود السياسية لأفريقيا تم ترسيمها في الفترة من ١٨٨٤ - ١٩١٩ ومعظم هذه الحدود صناعية، ولا تمثل أقساماً طبيعية أو بشرية. فهي معظمها حدود هندسية وضعت من قبل المستعمر دون أن يدرس خصائص الأرض أو توزيع السكان لذلك فهي تحمل بذور الشقاق والخلاف.

٢ - معظم دول قارة أفريقيا، والتي يبلغ عددها ٥٥ دولة (أو ٥٤ دولة في حالة ضم الصحراء العربية إلى المغرب)، ذات مساحة كبيرة، وأن عدد الدول التي تتراوح مساحتها ما بين نصف إلى مليون كم^٢ يصل إلى ٢١ دولة أي نصف عدد دول القارة تقريباً.

٣ - هناك تفاوت كبير بين دول القارة من حيث عدد السكان والشكل والموارد وماينعكس على مستوى الدخل السنوي للفرد. والملاحظ نظراً للعوامل الطبيعية. فلا يوجد تناسب بين المساحة وعدد السكان في كثير من الدول. فهناك دول ذات مساحة كبيرة وأعداد سكانها قليلة مثل: ليبيا ومالي وتشاد وموريتانيا والكنغو وليسوتو والجابون. وعلى النقيض يلاحظ على بعض الدول ذات المساحة الصغيرة وعدد السكان الكبير ترتفع كثافة السكان بها بصورة كبيرة مثل : معظم الدول الجزرية (ساوتومي، موريشيوس، الرأس الخضراء وجزر القمر). وبعض الدول مثل : أوغندا، ورواندا وغمبيا ونيجيريا وتوجو وبورندي.

٤ - كثير من دول القارة نمت بصورة غير طبيعية «أى لم تنم حول منطقة نواة». بل كانت نتاجاً للتقسيم الاستعماري، وينتشر هذا النمط في غرب القارة. هذه الدول تضم بين جنباتها عدة قوميات مثل : بوركينافاسو وتوجو وبنين والصومال ومالاوى.



شكل رقم (٦ - ٦)

الخريطة السياسية الحديثة لأفريقيا عام ١٩٩٩

٥ - معظم عواصم الدول تقع على الساحل لتؤكد تبعية هذه الدول وتوجيهها للدول المستعمرة سابقاً. وكثير من هذه العواصم موانئ ساحلية وتتركز بها الوظائف الإدارية والمالية والاقتصادية أو بمعنى آخر فإن هذه العواصم تمثل نمطاً للهيمنة Primacy وترتكز الخدمات الصحية والتعليمية، والتي تكاد تنعدم في باقى أرجاء الدولة أو في المناطق الريفية الأخرى.

٦ - كان تخطيط الحدود وترسيمها مؤكداً نظرياً، أو بمعنى آخر اصطناعياً، مما أثر سلبياً على توزيع القوميات عند تطبيقه وترجمته إلى الواقع. فالشعب الصومالي كان ضحية لهذا التقسيم وأصبح مشتتاً بين عدة دول فى جيبوتي والصومال وأثيوبيا وشمال كينيا. كما قسمت كثير من القبائل والجماعات بين المستعمرات الأوروبية السابقة. وخير مثال لتفتت القبائل هو شعب الإيفي فى غرب أفريقيا الذى يتوزع بين كل من توجو وغانا وأصبحت الأسر مشتتة بين هاتين الدولتين. وهناك عدة قبائل قسمتها الحدود السياسية ومنعت توحيدها.

٧ - يكثر بالقارة الدول الحبيسة بصورة يفوق ما هو موجود فى أية قارة أخرى (١٥ دولة حبيسة) وهذه الدول هى أثيوبيا وتشاد والنيجر ومالي وبوركينا فاسو وأفريقيا الوسطى ورواندا وبورندى وأوغندا ومالاوى وزامبيا وزيمبابوى وبتسوانا وليسوتو وسوازيلاند. هذه الدول تقع تحت رحمة الدول الساحلية فى تصريف تجارتها، مما يجعلها توابع اقتصادية، مما يزيد من ضعفها السياسى (انظر شكل ٢ - ٢).

٨ - هناك كثير من الدول شبه الحبيسة، والتي لا تتناسب واجهتها الساحلية مع مساحتها. وخير مثال ذلك الكونغو الديمقراطية، والتي تزيد مساحتها عن مليون كيلومتر مربع وواجهتها البحرية لا تتعد ٤٠ كيلومتراً فقط. انظر شكل (٥ - ١)

٩ - كثرة الجيوب الساحلية Claves والأسافين فى جسم الخريطة السياسية سواء على هيئة دول مستقلة أو مناطق كانت خاضعة للاستعمار وإن

كانت دول مثل سوازيلاند وليسوتو تعد جيوباً داخل جنوب أفريقيا، ويرجع ذلك للظروف التاريخية مثل ذلك الصراع الذى دار بين شعب البوير والزولو وهزيمة الزولو وفرارهم إلى مناطق منعزلة، فقد استقرت قبائل الباسوتو إلى المناطق الجبلية هرباً من الزولو وحين تدخلت بريطانيا لحماية الباسوتو لذلك لم يتسنى للبوير احتواء منطقتهم.

ويرجع السبب فى وجود جيب كابندا بعيداً عن أنجولا لرغبة بلجيكا الحصول على منفذ على المحيط لدولة الكونغو. وكانت لألمانيا الرغبة فى الوصول إلى نهر الزمبىزي فى مستعمرتها فى أفريقيا الجنوبية الغربية (ناميبيا حالياً) وذلك على حساب هذا العنق أو الأصبغ الممتد الذى يعرف بأصبغ كابرئشى. أما دولة غامبيا فكانت بين أوضاع أمثلة هذه المناطق المتداخلة كأسفين داخل دولة. فهذه الدولة تعد أسفينا بريطانياً داخل المستعمرات الفرنسية. فدولة غمبيا دولة شريطية ضيقة عرضها لا يزيد عن ٢٥ كيلومتر على طول نهر غمبيا وطولها يزيد عن ٥٠٠ كيلومتر. وقد شطرت السنغال إلى قسمين، مما أثر فى تأخر تنمية السنغال فأصبح جنوب شرق البلاد بعيداً عن العاصمة، وحرمانها من نهر ملاحى والوضع الطبيعى أن تندمج السنغال وغمبيا لأنهما إقليم جغرافى واحد. انظر شكل (٤ - ٤).

١٠ - نظراً لأن معظم دول أفريقيا قد تحررت من الاستعمار الذى زرع بذور الشقاق بين قبائلها ليضمن البقاء. ولما كانت أعداد القبائل والشعوب أكثر من عدد الدول. من هنا فإن كثيراً من هذه القبائل والعشائر ماتزال تشير القلائل لتلك الوحدات السياسية الحديثة. فالصراع بين جنوب السودان وشماله. وبين عشائر الكونغو، وبين العشائر التشادية وبين قبائل الصومال ونيجيريا من صنع القوى الخارجية. من هنا فإن عدم الاستقرار السياسى وكثرة الاضطرابات والانقلابات العسكرية الدامية سمة تميز معظم دول القارة فأصبح الحكم العسكرى سمة أفريقية خالصة. وكان نتاج ذلك كثرة أعداد الفارين والمضطهدين فى صورة لاجئين.

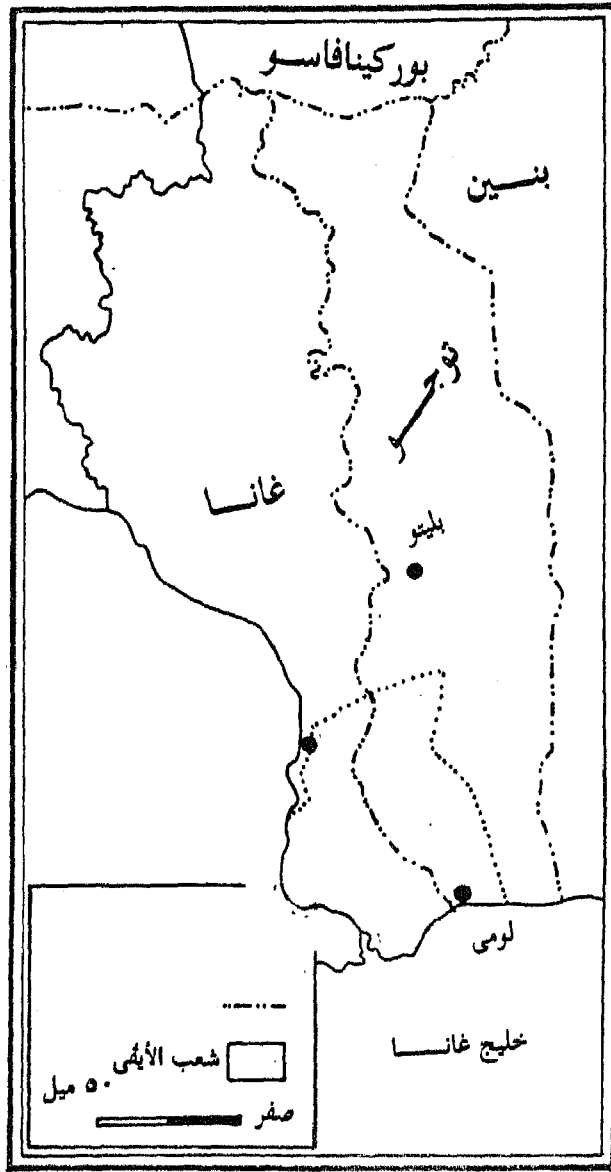
مشكلة شعب الإيقي Ewe (مثل لمشكلات الحدود الاصطناعية في أفريقيا):

يتضح مما سبق أن معظم الحدود السياسية في قارة أفريقيا قد فرضها المستعمر الأوروبي، ورسمت في فترة زمنية قصيرة لتحقيق أغراضه ولتفصل بين قواته. وكان من نتاج هذا التسرع في وضع الحدود السياسية أن أصبحت الحدود تخترق أحياناً أراضي قبيلة واحدة فتشطرها إلى قسمين. وفجأة يجد سكان هذه القبيلة أنفسهم منقسمين إلى دولتين وتزداد الأمور سوءاً إذا كانت الحدود تقوم بدور الفصل بين دولتين متخاصمتين، وهذا ما حدث بالنسبة لشعب الإيقي الذي قسمته الحدود بين غانا وتوجو وزاد الأمر تعسراً عندما وضعت حكومة توجو نقاط مراقبة شديدة على طول خط الحدود خشية تهريب السلاح.

ويقرب عدد سكان قبيلة الإيقي من المليون سمة يعيشون في إقليم السهول الساحلية بين نهري الفولتا ونهر ناهو. والمنطقة تغطيها حشائش السافانا وأشجار نخيل الزيت. وغالبية شعب الإيقي يعمل بالزراعة (انظر شكل رقم (٦ - ٧)).

وقد قسمت أراضي الإيقي بعد الحرب العالمية الأولى، حيث ضمت فرنسا غالبية أراضي القبيلة في حين ضمت بريطانيا ثلث أراضي القبيلة وضمتهما إلى ممتلكاتها في ساحل الذهب (غانا حالياً). وقد أغلقت الحدود بين كل من غانا وتوجو عندما أغلقت حكومة فيشي الحدود في الفترة من ١٩٤١ إلى ١٩٤٣. وقد زادت رغبة الشعب في الوحدة بعد ذلك وبدأ تحريك مشكلته دولياً.

وقد اهتمت الأمم المتحدة بمشكلة شعب الإيقي وأرسلت لجنة تقصي الحقائق وكتبت تقريرها في صالح شعب الإيقي وذكرت أن وحدة هذا الشعب هي الحل السريع لصالح نشر الاستقرار والسلام في هذه المنطقة. ورغم ذلك لم يتحرك أحد لتنفيذ توصيات لجنة الأمم المتحدة إلا بإجراء استفتاء كان من نتيجته تفضيل سكان الإيقي في توجو الفرنسية على رغبتهم



شكل رقم (٦ - ٧)
شعب الإيبي المشتت بين كل من غانا وتوجو

فى قيام دولة مستقلة وعلى النقيض ذكر سكان الإيڤى فى غانا رعبتهم فى انضمام الجزء البريطانى من الإيڤى إلى ساحل الذهب، وهذا ما أثار علامة استفهام.

وفى الواقع فقد خلقت المشكلة لتظل قائمة، فإذا ما أعيدت إجراء الإيڤى من ساحل الذهب «غانا» لتوحيدها مع إيڤى توجو لن يحل المشكلة، وخاصة أن أجزاء كبيرة من توجو سوف تقطع مما سوف يخلق العديد من المشكلات لتوجو. والحل الأوحد لهذه المشككة هو اتحاد كل من غانا وتوجو فى دولة واحدة، وهذا أمر صعب للغاية من هنا سوف يظل شعب الإيڤى يدفع ثمناً غالباً لظاهرة ليس له صالح فى قيامها، بل يدفع ثمناً لأخطاء الاستعمار الأوروبى لهذه القارة.

وعلى مستوى قارة أفريقيا يلاحظ أن الحدود السياسية فى حاجة إلى تعديل لتتفق مع التقسيم البشرى والظواهر الجغرافية التى تميز القارة وهذا أمر شبه صعب بين شعوب متناحرة فيما بينها وتشتعل بيران الفتنة من حير إلى آخر. وعلى أمور بسيطة والضحية دائماً شعوب القارة الذين يعانون من الفقر من جانب وسوء الإدارة من جانب آخر. ومن أمثلة المشكلات السياسية فى القارة :

- ١ - مشكلة الحدود بين أريتريا والحبشة، التى كان من نتائجها اشتعال الحرب بين الدولتين، ولم تنته حتى الآن (ونحن فى مطلع القرن الحادى والعشرين).
- ٢ - مشكلة السودان مع جيرانه فى كل الاتجاهات، وخاصة فى الجنوب.
- ٣ - مشكلة الصومال بين أجزائه وبين جيرانه، وخاصة أثيوبيا.
- ٤ - مشكلة الحدود بين الكنگو الديمقراطية وجيرانه فى الشرق «بورندى ورواندا».
- ٥ - مشكلة نيجيريا مع الكمرون.
- ٦ - مشكلة المغرب مع الجزائر وموريتانيا.
- ٧ - بايجاز لاتوجد دولة فى أفريقيا لاتعانى من مشكلات ترسيم الحدود التى وضعت، ولم يكن لها رأى فى وضعها.

ثالثاً : خريطة آسيا السياسية

تعد قارة آسيا أعظم قارات العالم مساحة وأكثرها سكاناً. فمساحتها تبلغ ٣٢ مليون كم^٢ وعدد سكانها يزيد عن نصف سكان العالم (٣,٦ مليار نسمة). ورغم ذلك لم تنعم دولها بالاستقرار السياسي وظلت تعاني من الاستعمار والقلاقل السياسية حتى هذه اللحظة.

ومن يتتبع الخريطة السياسية لآسيا يلاحظ أنها قد تغيرت كثيراً منذ عام ١٩٠٠ وحتى الآن.

التغيرات السياسية طوال القرن العشرين:

انتابت خريطة آسيا السياسية عدة تغيرات طوال القرن العشرين. ففي شبه جزيرة العرب تكونت دولة المملكة العربية السعودية وفرض الاستعمار سيطرته على دول بادية الشام تحت مسمى الانتداب. وحصل اليهود على وعد بلفور عام ١٩١٧ الذي مكنهم من إقامة دولة إسرائيل بعد ذلك.

أما الدولة العثمانية (الرجل المريض) فقد تقلصت نفوذها بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى وانكششت خلف حدودها الحالية في هضبة الأناضول والقسم الصغير الواقع في أوروبا وتفتت إلى عدة مستعمرات. وبدأت الدولة تضمم جراحها مع قدوم كمال أتاتورك إلى الحكم وتأسيسه لتركيا الحديثة بعد القضاء على النفوذ الأجنبي.

وبدأت دول الشام والجزيرة العربية في التحرر في بداية النصف الثاني من القرن العشرين. فظهرت القوميات العربية في كل من سوريا ولبنان والأردن والعراق واليمن ودول الخليج العربي بعد صراع طويل ضد المستعمر وتكونت دولة الإمارات العربية عام ١٩٧١. وظل المستعمر محافظاً على الجزر الاستراتيجية في جزيرتي كورياموريا وجزر كمران وقد استقلتا جميعاً عام ١٩٦٧ بعد استقلال اليمن الجنوبي.

أما قبرص، والتي خضعت للسيطرة العثمانية فقد خضعت للتاح البريطاني منذ عام ١٨٨٧، وظلت كذلك حتى عام ١٩٥٩. ونجح الإنجليز

في بث روح الالماء بين القبارصة الأتراك واليونانيين وإن اختفت روح العداء عقب إعلان الجمهورية عام ١٩٦٠ تحت قيادة الأسقف مكاروريوس الذي جعل السلام يشمل كافة أرجاء الجزيرة. وفي عام ١٩٧٤ غزت تركيا شمال الجزيرة وسيطرت على ٤٠٪ منها وأعلن قيام دولة اتحادية بين تركيا وقبرص التركية، وهذا ما رفضه العالم. وظلت قبرص حتى اليوم تعاني من انقسامها إلى شطرين أحدهما تركي والآخر يوناني.

أما بلاد فارس فقد ظلت مقسمة بين كل من بريطانيا وروسيا منذ عام ١٩٠٧ ثم ظهرت على الخريطة باسم إيران منذ عام ١٩٢٤ بعد أن تنازل الاتحاد السوفيتي عن إدعاءاته في أراضي بلاد فارس عام ١٩٢١ وفي عام ١٩٢٥ أعلن استقلال إيران. ثم تعرضت للغزو البريطاني والروسي مرة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية. وأجبر الشاه رضا خاں على التنازل عن العرش لابنه وتأكد استقلال إيران، وظلت كذلك حتى قامت الثورة الدينية وطرد الشاه في أواخر السبعينيات. وأعلنت إيران جمهورية إسلامية تحت رعاية الإمام الخميني.

أما وسط آسيا فقد شهد بعض التغيرات، وخاصة على طول الحدود التي تفصل بين روسيا وتركيا من جهة وبين روسيا وإمبراطورية إيران من جهة أخرى. هذه التغيرات واكبت انتهاء سيطرة الدولة العثمانية على أجزائها الشرقية وكان من نتاج هذا التغير :

- ظهور بعض الوحدات السياسية المستقلة مثل : جورجيا وأذربيجان وأرمينيا عام ١٩١٧ ولكنها اندمجت مع الاتحاد السوفيتي سريعاً.

- ظهرت جمهورية أذربيجان الإيرانية وماهاباد الكردية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ولكنهما اختفتا سريعاً وضممتا إلى إيران مرة أخرى.

- أما شبه القارة الهندية فقد كان عام ١٩٤٧ عام انقسام وتجزأ. حيث تحولت إلى دولة الهند ودولتي باكستان الشرقية وباكستان الغربية. ولكن باكستان الشرقية سرعان ما انفصلت عن الغربية مكونة دولة بنجلاديش عام ١٩٧٣ وظلت منطقة كشمير متناز عليها بين كل من باكستان والهند.

- وفي شمال الهند أنشأت دول سيكيم وبوتان ونيبال لتلعب دور الدول الحاجزة Buffer States بين الهند والصين. وشهدت أفغانستان - وهي أيضاً دولة حاجزة بين روسيا وممتلكات بريطانيا في شبه القارة الهندية - تكوين البروز الشرقي لأفغانستان والمعروف باسم قطاع واخان Wakhan Strip. ولم تنعم أفغانستان بالاستقرار السياسي منذ انقلابها العسكري عام ١٩٧٣ حتى الآن. وحصلت سيلان على استقلالها عام ١٩٤٨. وظلت تحت الحماية البريطانية حتى استقلت أخيراً وتغير اسمها إلى سرى لانكا. وماتزال تعاني من القلاقل السياسية حتى الآن بسبب ثورة سكان شمال الجزيرة «التاميل» ضد الحكومة. كما استقلت جزر المالديف عام ١٩٥٢. أما بقايا المستعمرات البرتغالية والفرنسية على سواحل الهند فقد اندمجت مع الهند بعد استقلالها عام ١٩٥٢.

وتعد الهند الصينية أحد أقاليم قارة آسيا التي ارتبط بها التعقد السياسي. فقد قسمت أراضي هذه المنطقة بين كل من فرنسا وإنجلترا ثم احتلتها اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية. ثم عادت تحت السيطرة الأوروبية مرة أخرى بعد هزيمة اليابان، وقد خاضت دول هذا الإقليم حروباً شرسة حتى نالت استقلالها تباعاً. فقد استقلت بورما (ميانمار حالياً) عام ١٩٤٨، أما سيام (لاوس حالياً) فقد توسعت رقعتها على حساب جيرانها أثناء حكم اليابانيين ثم عادت إلى مساحتها الأولى بعد هزيمة اليابان. ثم ظهرت على الخريطة دول مستقلة في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي لاوس وكمبوديا وفيتنام الشمالية والجنوبية (التحدا الآن تحت اسم فيتنام). ويعود التعقد السياسي في الهند الصينية إلى صراع القوى العظمى للسيطرة عليها. ففي الماضي كان النزاع فرنسياً بريطانياً. أما بعد الحرب العالمية الثانية تغير الصراع ليقترص على الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ودخلت الصين أخيراً في لعبة الصراع.

وحصلت الملايو على استقلالها من بريطانيا ونشأ اتحاد ماليزيا في عام ١٩٦٣ ليضم أربع وحدات سياسية تضم اتحاد الملايو وسنغافورة وصباح وسراوك. وقد انفصلت سنغافورة عن هذا الاتحاد عام ١٩٦٥.

أما سلطنة بروناى فى شمالي جزيرة بورنيو، فقد ظلت تحت الاستعمار البريطانى حتى حصلت على استقلالها أخيراً. كما استقلت أندونيسيا عن هولندا عام ١٩٤٥ ثم ضمت إليها الأجزاء الغربية من جزيرة نيوجينيا. أما الفلبين فقد نالت استقلالها من الولايات المتحدة عام ١٩٥٦ وإن ظلت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية عليها حتى هذه اللحظة.

أما اليابان فقد كانت إحدى القوى العظمى الاستعمارية فى آسيا وعالم المحيط الهادى. حيث ترامت أملاكها لتضم كوريا ومنشوريا وأجزاء كبيرة من الصين وجنوب شرقى آسيا وسيطرت على معظم جزر المحيط الهادى، وذلك بعد تخطيم الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور. ويبدأ تاريخ فرض النفوذ اليابانى من عام ١٩٣١ عندما سيطرت على منشوريا ثم تبعها بالسيطرة على الصين عام ١٩٣٧ وفرضت سيطرتها على الهند الصينية عام ١٩٤١ ثم أندونيسيا والفلبين عام ١٩٤١ إلى عام ١٩٤٣. انظر شكل رقم (٢ - ١).

ولم يوقف الزحف اليابانى إلا بعد ضرب مدينتى هيروشيما ونجازاكي بالقنابل الذرية فى الحرب العالمية الثانية. وقد انكشفت إلى مساحتها الأصلية، بل فرضت الولايات المتحدة سيطرتها على الجزر اليابانية فى الوقت الذى سيطر الإتحاد السوفيتى على بعض الجزر الشمالية مثل : كوريل والجزء الجنوبي من جزيرة سخالين. وقد كان من نتاج هزيمة اليابان استقلال الصين وفرموزا وكوريا (التي انقسمت إلى جزءين كوريا الشمالية «شيوعية» والجنوبية «تتبع الولايات المتحدة» عام ١٩٤٨. واتخذت دائرة عرض ٣٨° شمالاً خطأ سياسياً يفصل بين شطرى كوريا.

أما جزر المحيط الهادى، فقد انتقلت السيادة والسيطرة إلى الولايات المتحدة التى احتفظت بها وأصبحت قواعد بحرية مازال تابعاً للولايات المتحدة رغم استقلالها أخيراً.

أما الصين فقد تحولت إلى دولة شيوعية بعد الانقلاب العسكرى عام ١٩٤٩. وارتبط هذا التاريخ بتكوين دولتى الصين الشعبية «على اليابس» وذات أكبر عدد سكانى فوق سطح الأرض. والصين الوطنية فوق جزيرة

فرموزا (والتي فر إليها أغنياء الصين خوفاً من الشيوعية)، وتحول اسم فرموزا إلى تايون أخيراً. وفي نفس الوقت أصبحت الصين الشعبية تحت قيادة ماوتسي تونج دولة متقدمة في زمن قياسي واستعادت مقعدها في مجلس الأمن باعتبارها إحدى الدول العظمى على الرغم من بقائها خارج المنظمة الدولية حتى عام ١٩٧٣.

أما دولة منغوليا؛ فقد ظلت دولة حاجزة بين الصين والنفوذ الروسي، وإن كانت أقرب في توجهاتها حالياً إلى الصين

خريطة آسيا السياسية حالياً :

من دراسة خريطة آسيا السياسية الحالية يمكن ملاحظة أهم التغيرات التي انتابتها، والتي تتمثل في :

- ١ - اتحاد شطرى اليمن وإعلان الجمهورية اليمنية عام ١٩٨٨.
- ٢ - استقلال دول آذربيجان وأرمينيا وجورجيا وكازاكوستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان وتركمانستان عن الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١. هذه الجمهوريات تتمتع بتقدم اقتصادي زراعي وصناعي، ونووي لا بأس به.
- ٣ - استقلال هونج كونج وانضمامها رسمياً للصين. كما استقلت آخر المعازل البرتغالية على سواحل الصين في إمارة ماكاو التي دخلت الحضيرة الصينية في شهر ديسمبر عام ١٩٩٩.
- ٤ - قيام الثورات والغضب الشعبي في بعض جزر أندونيسيا، وتدخل المجتمع الدولي لنصرة شعب تيمور الشرقية ليستقل عن أندونيسيا، وحدث ذلك أيضاً في نوفمبر ١٩٩٩. وقد يتبعه انفصال أجزاء أخرى عن الدولة لاحقاً.
- ٥ - نجاح مباحثات السلام بين الإدارة الفلسطينية وإسرائيل والتمهيد لقيام دولة فلسطين على الأراضي التي انسحب منها إسرائيل، وهذا سوف

يتم في المرحلة الأخيرة من مراحل السلام والمقرر لها نهاية عام ٢٠٠٠.

ومن دراسة خريطة آسيا السياسية لعام ١٩٩٩ شكل رقم (٦ - ٨) والجدول رقم (٦ - ٤) يمكن أن نستشف بعض الحقائق عن آسيا منها:

* على الرغم من أن روسيا قد سجلت مع قارة أوروبا إلا أن آسيا ظلت أكبر قارات العالم مساحة، ومن ثم ضمت دولاً شاسعة المساحة مثل: الصين والهند وكازاخستان والمملكة العربية السعودية وإيران ومنغوليا.

* على النقيض توجد بآسيا عدة دول قزمية المساحة مثل: جزر المالديف (٣٠٠ كم٢)، وسنغافورة (٦٠٠ كم٢)، والبحرين (٦٧٠ كم٢).

* هناك بعض الدول التي ترتفع كثافة سكانها نظراً لصغر المساحة قياساً بأعداد سكانها مثل: البحرين، ولبنان، وبنجلاديش، وجزر المالديف، وكوريا الجنوبية، وتايوان.

* تضم الخريطة السياسية لآسيا ٤٨ دولة ويتغير هذا العدد بصورة متكررة. فحتى عام ١٩٩٠ كان العدد لا يصل إلى ٤٠ دولة وزاد بعد تفتت الاتحاد السوفيتي. وقد يتزايد عدد الدول عن ذلك إذا ما أعلن قيام دولة تيمور الشرقية أو انفصال إقليم آتشه، أو جزيرة مالوكو (جزر البهار) التي تصارع للانفصال عن أندونيسيا.

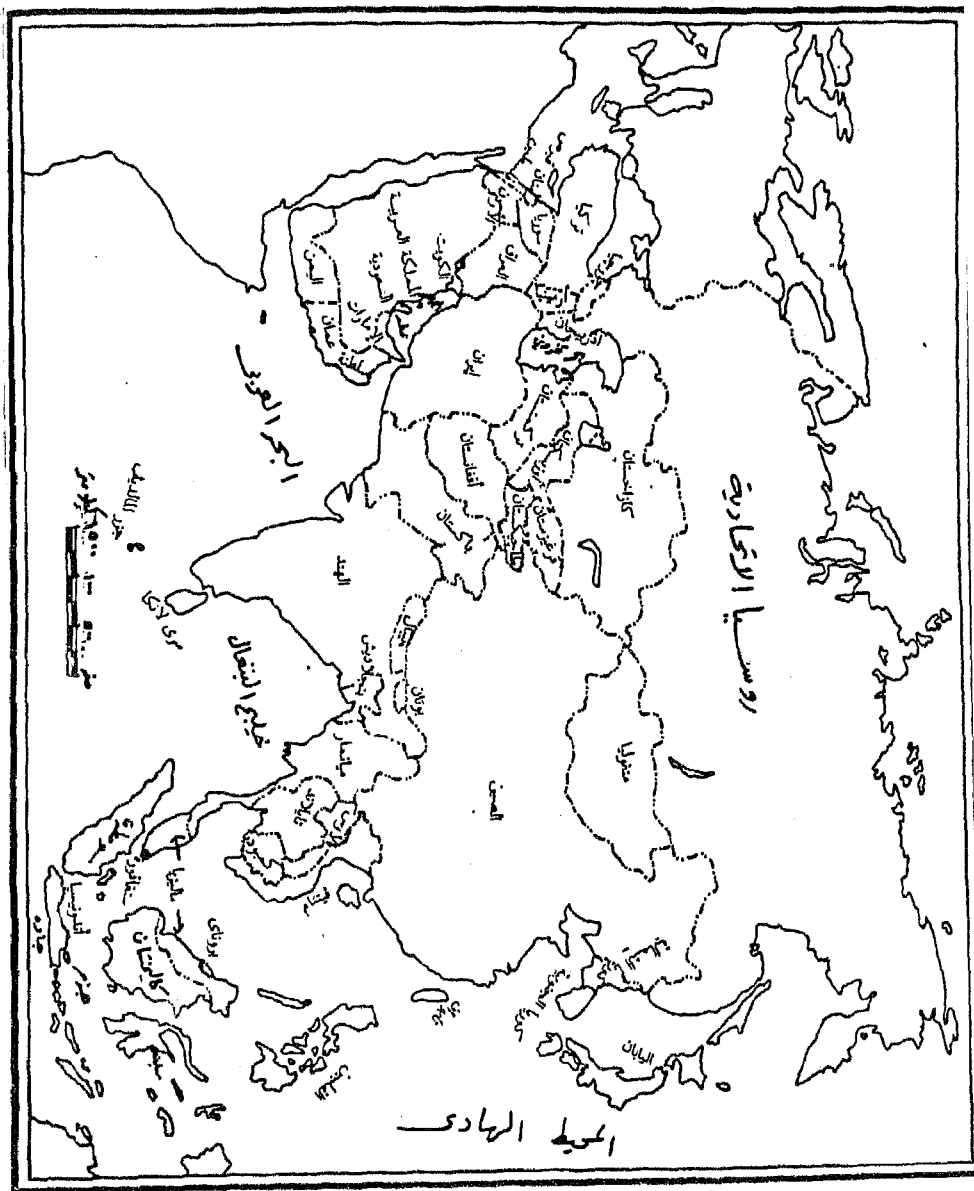
* كان من نتاج اتساع رقعة القارة كثرة عدد الدول الحبيسة. وتضم القارة ١٢ دولة حبيسة، وهي أفغانستان، وبوتان، ولاوس، ومنغوليا، ونيبال، وأرمينيا، وأذربيجان، وطاجيكستان، وكازاخستان، وتركمانستان، وأوزبكستان، وقرغيزستان.

جدول رقم (٦ - ٤) : دول آسيا وعواصمها ومساحتها في عام ١٩٩٩

المساحة بالألف كيلومتر المربع

المساحة	العاصمة	الدولة	المساحة	العاصمة	الدولة
١٩٩	بيشكيك	قرغيزستان	٣٠	بريفان	أرمينيا
١٤٨	كاشمندو	بيلال	٨٧	باكو	أذربيجان
٧٩٨	إسلام أباد	باكستان	٠.٦٧	المنامة	البحرين
٦٥	كولومبو	سرى لانكا	٩	بيقوسيا	قبرص
١٤٣	دوشميين	طاجيكستان	٢٤	عزة حاليما	دولة فلسطين
٤٨٨	عشق أباد	تركمنستان	٧٠	نبليسي	جورجيا
٤٤٩	طشقند	أوزبكستان	٤٣٩	بغداد	العراق
٥.٢	بندرسيسرى	بروناي	٢١	تل أبيب	فلسطين المحتلة
	بجوان		٩١	عمان	الأردن
٢٠٨	بنوم بنه	كمبوديا	١٧	الكويت	الكويت
١٩٢٧	چاكرتا	أندونيسيا	١٠٤	بيروت	لبنان
٢٣٧	فينيتال	لاوس	٢١٣	مسقط	سلطنة عمان
٣٣٠	كوالالمبور	ماليزيا	١٠.٥	الدوحة	قطر
٦٧٩	يانجون	ميانمار (بورما)	٢١٥٨	الرياض	المملكة العربية
٣٠٢	مانيلا	الفلبين			السعودية
٠.٦	سنغافورة	سنغافورة	١٨٤	دمشق	سوريا
٥١٥	بانكوك	تايلاند	٧٨٠	أنقرة	تركيا
٣٣٣	هانوى	فيتنام	٨٣	دبي	الإمارات العربية
٩٦٣٣	بكين	الصين	٥٣٠	صنعاء	اليمن
٣٨٠	طوكيو	اليابان	٦٥٥	كابول	أفغانستان
١٢١	بيونغ ياخ	كوريا الشمالية	١٤٤	داكا	بنجلاديش
٩٩.٦	سول	كوريا الجنوبية	٤٦	سيمفو	بوتان
١٥٧٣	أولان باتور	منغوليا	٣٣٧٧	نيودلهي	الهند
٣٦	تايبيه	تايوان	١٦٣٨	طهران	إيران
٠.٣	مالي	جزر المالديف	٢٦١٠	إستانا	كازاخستان

الجدول من إعداد المؤلف ومن نفس المصدر.



شكل رقم (٦ - ٨)
 خريطة آسيا السياسية عام ١٩٩٩

مشكلة التاميل فى سرى لانكا

تعد مشكلة شعب التاميل فى سرى لانكا مثلاً صارخاً لمشكلة الأقليات التى لاتندمج مع سبيح الدولة البشرى وتقع جزيرة سرى لانكا، التى اشتهرت فى الماضى باسم سيلان Ceylon فى أقصى جنوب شرق الهند. ويفصلها عن شبه القارة الهندية مضيق بالك Palk ، الذى لايزيد عرضه عن ٣٢ كيلومتراً ومساحة الدولة لاتزيد عن ٦٥ ألف كم٢ وعدد سكانها وفقاً لتقدير الأمم المتحدة فى عام ١٩٩٩ بلغ ١٩ مليون نسمة. وينقسم السكان إلى قسمين:

أحدهما : السنهال . ويمثلون غالبية السكان (٧٠٪) ومعظمهم من البوذيين

والآخر : التاميل ٢٣٪ من جملة السكان ومعظمهم من أصول سريلانكية، والبعض الآخر من أصول هندية جلبهم الإنجليز للعمل فى مزارع الشاي (٦٪ من جملة السكان) وغالبية التاميل من الهندوس، وفى حين يدين بالإسلام ٢٠٪ من جملتهم. و ٦٪ منهم «التاميل» يدينون بالمسيحية ويتركزون فى شمالى الجزيرة وحول ميناء تريتكومالى فى الشرق.

وتمثل العناصر الأخرى من أصول عربية وملايوية وأندونيسية ولايختلف السنهاليون عن التاميل فى صفاتهم الجسمانية ويشبهون جميعاً سكان الهند فى ملامحهم ولون بشرتهم وأجسادهم النحيلة.

ولغة الجزيرة هى السنهالية، وهى لغة السكان الأقدمين الذين يمثلون غالبية السكان. وللتاميل لغتهم الخاصة، وهى التاميلية «خاصة التاميل الذين جاءوا من الهند».

وتمثل مشكلة التاميل واحدة من أهم المشكلات السياسية والأنتوغرافية، التى تركت آثارها على الاستقرار الاقتصادى والسياسى للبلاد. وبرزت المشكلة بصورة لافتة للنظر فيما بين عامى ٨٣ - ١٩٨٧ تمثلت فى حرب

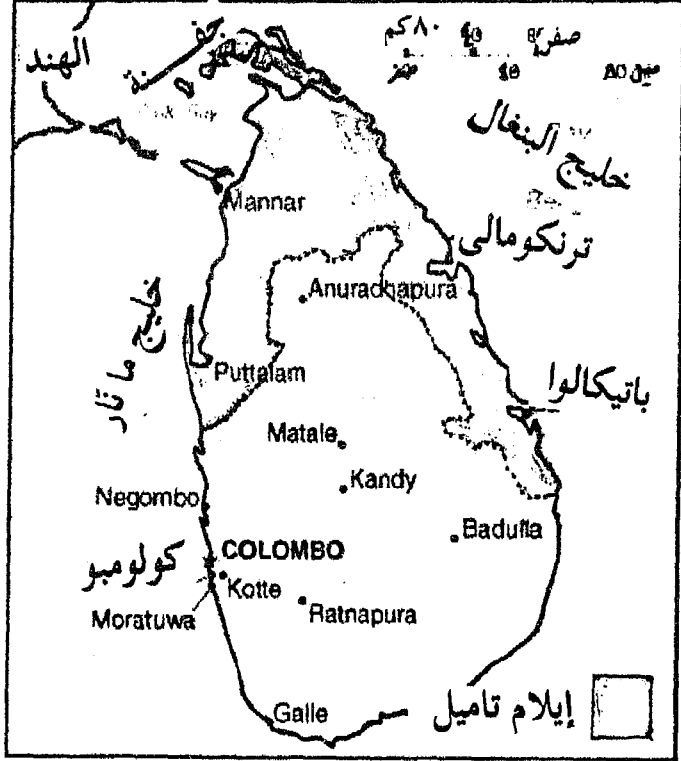
عصابات من ثوار إيلام تاميل تركزت في شمال وشرق الجزيرة ويطالبون باستقلال أراضيهم وإقامة دولة لهم وعاصمتهم مدينة چافنا. وكان ذلك نتاجاً لسوء العلاقة بين الشعبين.

وعلى الرغم من أن السنهال يمثلون الأغلبية العددية إلا أن معظمهم من الأميين الفقراء. في حين يمثل التاميل ٢٣٪ من السكان ولكنهم أساس الحياة الاقتصادية في البلاد لنشاطهم الملحوظ. ومن ثم ويفضل تعليمهم ونشاطهم وبمساعدة المستعمر استطاعوا أن يتولوا أمور الإدارة لعدة عقود. ومن هنا تحركت الروح العدائية بين السنهال والتاميل وبدأت الحكومات بعد الاستقلال «ومنذ الستينيات» إلى دفع السنهاليين إلى وضع أفضل. وأصدر البرلمان قرارات بتحويل بعض المناصب القيادية إلى السنهاليين بعد إعدادهم لذلك. والتوسع في فتح المدارس بأعداد كبيرة في الأقاليم الجنوبية ولو على حساب التاميل. وجعل اللغة السنهالية هي اللغة الرسمية ولغة التعليم ولغة التخاطب الرئيسية.

وقد أدى ذلك إلى إيذاء مشاعر التاميل. واستمرت الكراهية تتزايد بين الشعبين حتى نفذ صبر التاميل وبدأوا يحملون السلاح لتحقيق حلمهم في كوين دولة خاصة بهم وتسود فيها لغتهم. وتكونت جماعات التاميل المقاتلة، وأهمها تلك المعروفة باسم (نمور تاميل) الذين يتركزون في شبه جزيرة جفنة في الشمال. وهم يتلقون مساعدات مالية وأسلحة من تاميل جنوب الهند (عدددهم ٥٠ مليون نسمة ويتركزون حول مدينة مدراس).

ونشطت حرب العصابات ضد حكومة سريلانكا وبلغت ذروتها عام ١٩٨٧، مما دفع راجيف غاندى (رئيس وزارة الهند حينئذ) إلى التدخل والضغط على الطرفين لإلقاء السلاح، وقبلها الطرفان بعد التدخل العسكرى الهندى وكانت الاتفاقية المفروضة في شهر يوليو ١٩٨٧ تضم البنود الآتية :

- تكوين إدارة تاميلية تدير شؤون المقاطعات الشمالية والشرقية ويقتصر عملها على الإدارة وحفظ الأمن فقط كخطوة للوصول للحكم الذاتى.



شكل رقم (٦ - ٩)
التاميل في سرى لانكا

- نزع سلاح التاميل، وخاصة (نمور تاميل) على أن تدخل قوات هندية لمنع حرب العصابات. وينتهي عملها بفرض السلام في الجزيرة.

- إعادة توزيع السكان التاميل وعودة التاميل الهنود إلى أراضيهم ويعود من نزح من تاميل سرى لانكا إلى أراضيهم.

وقوبلت الاتفاقية بمعارضة قوية من الشعب السنهالي الذي رأى أن التاميل قد حصلوا على عدة مميزات، ومن ثم واجهت الحكومة معارضة شديدة من البرلمان ورجال الدين. وفي المقابل أظهر التاميل معارضتهم أيضاً للاتفاق. ولم يسلم (نمور تاميل) أسلحتهم، بل خاضوا حرباً شرسة ضد القوات الهندية، مما دعا إلى زيادة عدد القوات الهندية إلى ما يقرب من ٣٠ ألف مقاتل وحاصرت مضيق بالك لمنع الإمدادات العسكرية للتاميل.

وتمسك التاميل بالحصول على حق تقرير المصير. حيث يرى نمور التاميل أن الصراع العرقي مستمر رغم التنازلات العديدة التي قدمها السنهاليون، لذا خرج زعيم نمور التاميل أمام وكالات الأنباء العالمية ومثلى الصحافة بقوله (نحن لسنا انفصاليون، ولكننا نريد الاعتراف بحق شعبنا في تقرير مصيره في وطنه. فنحن شعب لنا جذورنا التاريخية في أرضنا، ولنا لغتنا وثقافتنا. وحق تقرير المصير الذي نطالب به هو حقنا في إقامة دولتنا المستقلة بعد استفتاء شعبي عام).

وقد استخدم نمور إيلام تاميل أسلوب بث الرعب والتدمير ضد الممتلكات الحكومية في كل أنحاء سرى لانكا. وانتقلت المعركة من الشمال إلى العاصمة كولومبو لضرب اقتصاد البلاد في عمليات انتحارية دقيقة كان من نتائجها :

* تفجير المركز التجاري الدولي في كولومبو.

* تفجير البنك المركزي لسرى لانكا.

* تفجير فندق الميريدان.

وقد انحسر تيار نمور التاميل حالياً حيث استطاعت القوات الحكومية أن تفرض سيطرتها على مساحات كبيرة من الجزيرة. ولكن ماتزال هذه الميليشيات قادرة على مواجهة القوات الحكومية، بالرغم من دفع الحكومة بتعزيزاتها إلى الشمال وجزيرة «چافنا» بصفة خاصة. ونزول الجيش مدعماً بالطيران والقوارب السريعة لوقف عمليات التمويل والأسلحة التي تأتيهم من الخارج. رغم كل ذلك استمرت حرب العصابات والعمليات الانتحارية. مثل اغتيال زعيم الاستقلال (باندرانيكا في الخمسينيات واغتيال رئيس البلاد «بريماداسا» في مط التسعينيات واغتيال راجيف غاندى رئيس وزراء الهند في موكبه عام ١٩٩١ بباقة زهور ملغومة لتدخله في حل المشكلة، واغتيال المرشح القوى لرئاسة الجمهورية في سرى لانكا عام ١٩٩٤ وهو چاميني ديسكانيا. وكان آخرها تدمير موكب رئيسة الوزراء (شانديريكا باندرانيكا) وإصابات باصابات مباشرة في عينها ومقتل عدد كبير من حرسها الخاص في شهر ديسمبر الماضى سنة ١٩٩٩، وهى ابنة الرئيس باندرانيكا الذى اغتيل سابقاً.

ويمارس التاميل الإرهاب ضد أى فرد يرفض التعاون معهم ضد الحكومة وهذا ما وجدناه من قتل وتدمير منازل المسلمين وطهرهم حيث رفضوا التعاون معهم ضد الحكومة. مما أدى انتشار مخيمات اللاجئين من الأبرياء الذين يرفضون أسلوب القتل لتحقيق أهداف الاستقلال أو فرض حق تقرير المصير.

وفي الواقع فإن الصراع الطائفي في سرى لانكا هو نموذج للصراع المحلى بين الطوائف غير المتجانسة داخل الدول. ويصعب حل مشكلتهم بالسلاح أو بالهجمات العسكرية الانتحارية. فالنتيجة الظاهرة أمام أعين الجميع والتي تسجلها عدسات وسائل الإعلام العالمية هو المزيد من الضايا الأبرياء.

٢ - مشكلة الأكراد :

تعد مشكلة الأكراد تجسيدا لسوء تخطيط الحدود وترسيمها بين الدول في قارة آسيا. فقد قطعت الحدود السياسية أوصال هذا الشعب ومزقته ليتوزع الأكراد بين أكثر من دولة في وسط غرب القارة.

ويتوزع الشعب الكردي الذي يصل عددهم إلى ١٨ مليون نسمة في منطقة جغرافية تمتد من شمال العراق وغرب إيران وشمال شرق سوريا وجنوب غرب تركيا وغرب آذربيجان. هذا الشعب الكردي لم يكون دولة طوال التاريخ، بل يشعرون بالفرقة والتشتت طوال فترات وجود الدولة العثمانية وسيطرتها على إقليم وسط آسيا.

واللغة الرئيسية للأكراد هي اللغة الكردية، والتي تقترب من اللغة الفارسية وقد تأثرت باللغة العربية والتركية. وديانة الأكراد هي الإسلام وهم من السنة. وهناك قلة زيدية «العراق في الموصل». ويعيش الأكراد في بيئة جبلية شديدة الوعورة بعيدة عن اهتمام حكومات الدول التي يخضعون لها، ومن ثم عاشوا في عزلة وتوطدت لديهم الروح الانفصالية. ويتسم الشعب الكردي بسمات مميزة مثل: العناد ورفض الظلم وسرعة الغضب، وهو عظيم التضحية من أجل أهله والنظام القبلي يث روح الجدية والاستقامة بين أفراد المجتمع. وهم لا يعرفون القيود، وحين أنشأت الحدود الدولية عبر أراضيهم وجدوا أنفسهم وقد مزقتهم هذه الحدود، ومن ثم فقد قامت مشكلتهم مع كل دولة من الدول التي مزقت أراضيهم وكانت ثورتهم المتواصلة من أجل توحيد أوصال عشيرتهم. وكثيراً ما كانت هذه الثورات تقابل بالقسوة والظلم والاضطهاد من قبل الدول الخمس التي اقتسمت أراضيها.

وبرزت مشكلة الأكراد في المحافل الدولية بعد الحرب العالمية الأولى عندما طالبوا بإنشاء دولة كردستان على أرضهم التي عاشوا فوقها منذ آلاف السنين. ولكن هذه المطالب باءت بالفشل التام بعد أن وقفت تركيا أمامها وظل الوطن الكردي ممزقاً. وبدأ يعرف ما يسمى بكردستان العراق، وكردستان الإيرانية، وكردستان التركية.

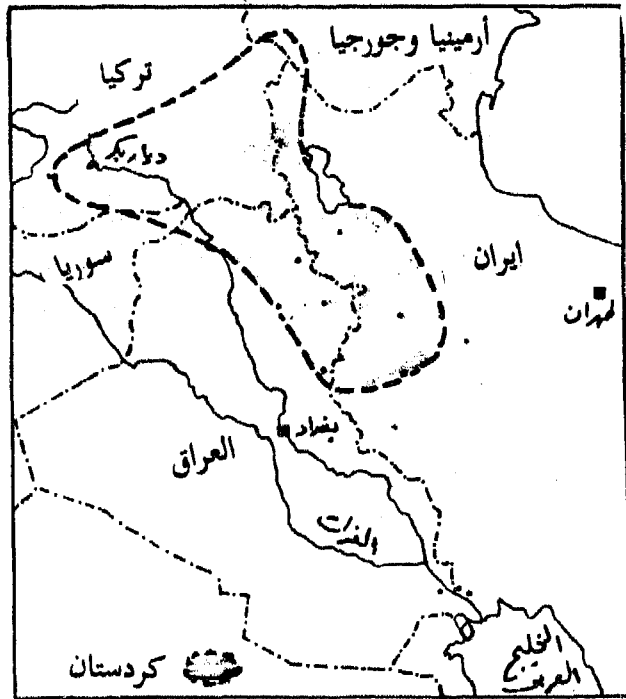
وتستخدم القوى الخارجية المتمردین الأكراد فی محاربة الأنظمة المحلية. فقد ساعدت بريطانيا أكراد تركيا ضد حكومة تركيا فی العشرينيات. وقدمت أمريكا وإسرائيل الدعم للأكراد ضد نظام البعث العراقي فی السبعينيات. كما ساعد السوريون الأكراد ضد تركيا وساعدت أمريكا الأكراد ضد إيران. وعلى النقيض استخدم العراق الأكراد الإيرانيين ضد دولتهم. وفي المقابل دعم إيران أكراد العراق ضد صدام حسين.

وقد ظلت مشكلة الأكراد مستعصية على الحل حيث لم تنجح أى من الدول التى تنتشر القبائل الكردية على حدودها فى علاجها والاستجابة لأمنيات الشعب الكردي. واستغلت مشكلة الأكراد لإثارة الفلاقل بين الدول أو بين الفصائل الكردية ذاتها. وزاد من المشكلة الكردية تغير الولاء لزعماء العشائر والقبائل الكردية. وفيما يلى عرض للتوزيع الجغرافى للأكراد:

الأكراد فى شمال غرب إيران: ويقدر عددهم ٥ مليون نسمة تقريباً وتعتبر أراضيهم امتداداً لأرض أكراد العراق فى مرتفعات كردستان وشمال مرتفعات زاغروس.

وقد تمرد أكراد إيران أكثر من مرة على الحكومة الإيرانية أهمها تلك التى قامت بين عامى ١٩٢٠ - ١٩٢٥. وانتصر الأكراد مما أضطر إيران أن تستعين بحكومتى العراق وتركيا اللتين أرسلتا قوات لمساندة إيران. وتمت هزيمة الأكراد وقتل أعداد كبيرة منهم وحرمانهم من حقوقهم القومية. وأستطاع الأكراد إقامة دولة بمساعدة الاتحاد السوفيتى فى شمال إيران عام ١٩٤٦. ولكن شاه إيران وبمساعدة الغرب استطاع أن يسيطر على الموقف عام ١٩٥٦. ومع مجئ الحكومة الإسلامية بعد رحيل شاه إيران عام ١٩٧٩ ساعد السوفيت أكراد إيران ومدوهم بالأسلحة لتكوين دولة وكان ذلك بغرض مد السيطرة الروسية على آبار البترول الإيرانية مما حفز الولايات المتحدة على دعم إيران ومساعدتهم فى التخلص من هذا المأزق.

الأكراد فى شمال العراق: ويقدر عددهم ٤ مليون نسمة تقريباً أى ما يعادل خمس سكان العراق. وينتشرون فى كل من لواء السليمانية ولواء أربيل



تصرف عنده السكك الدولية
 فبراير ١٩٦٨

شكل رقم (٦ - ١٠)
 شعب الأكراد المشتت بين عدة دول

ولواء كركوك ولواء الموصل. وجميع آبار البترول العراقية في شمال العراق في أراضي كردية. ويعمل معظم السكان بالزراعة والرعي.

وقد قام الأكراد بعدة ثورات، مما اضطر العراق إلى وضع دستور يسمح لهم بتولي مناصب قيادية، ومن حقهم أن يكون نائب الرئيس كردياً واعترف الدستور بأن أرض العراق شركة بين العرب والأكراد وأن يكون لهم نصيب في الوظائف.

والعراق متهم بالظلم الفادح ضد الشعب الكردي. فبعد توقف الحرب العراقية الإيرانية تناقلت وسائل الإعلام محاولة صدمة حسين إبادة الأكراد بالغازات السامة وقنابل النابالم وإزالة مدن وقرى بالكامل من الوجود. مثل: مدينة حلبجة شرق لواء السليمانية. وكانت تهمة الأكراد أنهم ناصروا إيران في حربها ضد العراق.

وقد أعلنت حكومة العراق عام ١٩٧٤ أن الشعب الكردي له حق الحكم الذاتي. ولكن يبدو أن ما ينفذ على أرض الواقع غير ذلك حيث القتل والإبادة. ومن ثم فرت أعداد ضخمة منهم إلى كردستان التركية وللأسف لم يتدخل أحد لنصرة هذا الشعب البائس.

الأكراد في شرق وجنوب شرق تركيا: يقدر عدد سكان أكراد تركيا ٨ مليون نسمة يتركزون في المناطق الجبلية حول ديار بكر وهم يعملون بالرعي ولا يخضعون لنظام الدولة. ولم يذكر لهم ثورة ضد الدولة العثمانية إلا في عام ١٨٨٠ حين أرادوا تكوين دولة مستقلة لهم «تحت اسم أرض كردستان». وكان رد الفعل العثماني هو إبادة أعداد كبيرة منهم.

وكانت ثورتهم الثانية عام ١٩٢٥ عندما أحكم أتاتورك قبضته على الأكراد، مما أثار الأكراد، وخاصة عندما رأى الأكراد أن حكومة تركيا تقطع كل صلة لها بالإسلام واختيار دستور بعيد كل البعد عن الشريعة الإسلامية. وأثارت هذه التحولات العلمانية الشعب الكردي المسلم والمتمسك بإسلامه. ومن هنا استمرت ثوراتهم ضد الدولة في أعوام ٢٩، ٣٠، ١٩٣٣ مطالبين

بعودة الإسلام أو بالاستقلال الذاتى فى كردستان التركية، مما دفع بحكومة أناتورك باستخدام العنف والبطش ضد الأكراد واعداد زعمائهم وقيد حرياتهم. وما تزال الحكومة التى تستخدم العنف ضد الأكراد، مما دفع بالأكراد بالقيام بأعمال العنف والقتل ضد تركيا. وتكونت فصائل قتالية من حزب العمال الكردستانى. مما حث الأتراك بملاحقتهم بالطائرات المسلحة فى شمال غرب العراق. وزاد من خطورة الموقف إلقاء القبض على زعيم الأكراد «عبد الله أوجلان» ومحاكمته. مما دفع الأكراد بالثورة والمظاهرات الدامية ضد المصالح التركية فى الدول الأوروبية وداخل تركيا وعرض البلاد لخسائر كبيرة وانحسار تيار السياحة عن هذا البلد السياحى. وقد صدر حكم من المحكمة التركية العليا بإعدام أوجلان، مما أثار غضب دول أوروبا ودفع برئيس وزراء تركيا بإرجاء تنفيذ الحكم «وهناك فرصة لتخفيفه» لاسترضاء الجماعة الأوروبية. وحتى لا يثير إعدامه حفيظة الأكراد فيقومون بأعمال انتحارية أشد ضراوة ضد المصالح التركية.

الأكراد فى شمال شرق سوريا : ويقدر عدد سكانهم نصف مليون نسمة تقريباً. والأكراد فى سوريا أكثر اختلاطاً بالسكان وأكثر تجاوباً معهم. وبعيدين عن الاحتكاك بالدولة ويمكن تفسير ذلك بطبيعة الشعب السورى، فهو أكثر هدوءاً. ومن ثم فالأكراد لا يتعرضون للإيذاء بنفس الصورة التى يعانى منها الأكراد فى الدول الأخرى. ومن هنا فسوريا مقصد لجذب أعداد من اللاجئين الأكراد من العراق وتركيا الفارين من القهر والقتل من سلطات الدولتين. وكم مرة تنهم سوريا بإيواء قيادات الأكراد. وهذا إهداء تقوم به تركيا للتربص بسوريا.

الأكراد فى آذربيجان وأرمينيا وجورجيا : كان الإتحاد السوفيتى ينظر إلى الأكراد فى هذه المناطق على أنهم مناهضون للثورة الشيوعية بكونهم مسلمين متطرفين يعرفون بشدة تمسكهم بدينهم. وحاول السوفيت أن يحولوا ولاء الأكراد لصالح أهدافهم الاستراتيجية، وحاولوا بث الأفكار الإلحادية بين الأكراد وإثارة الأحقاد بينهم وبين القوميات العربية والإيرانية

والتركية وأثاروا فكرة تكوين دولة كردية على أراضي كردستان في الدول المجاورة ليتسنى لهم التدخل في هذه الدول.

مما سبق يتضح أن الشعب الكردي مشتت بين عدة دول وتبخرت آماله تماماً في تكوين دولة كردستان لتحلف هذه الدول ضد الأتراك، مما أدى إلى مقتل أعداد كبيرة منهم، وجعلهم أكثر الشعوب شراسة في حروبهم. بل من السهل أن يقوم شبابه بعمليات انتحارية أمام مرأى ومسمع وكالات الأنباء العالمية.

ومن دراسة خريطة آسيا يلاحظ تعقد المشكلات السياسية داخل القارة، تكمن هذه المشكلات في :

- ١ - مشكلة فلسطين والاستعمار الإسرائيلي لجنوب لبنان والجولان.
- ٢ - مشكلة إقليم عربستان وشط العرب بين إيران والعراق.
- ٣ - مشكلة الحرب الأهلية في أفغانستان.
- ٤ - مشكلة كشمير بين الهند وباكستان.
- ٥ - مشكلة سنينكاغ بغرب الصين ومشكلة تايوان.
- ٦ - مشكلة الحدود بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية.
- ٧ - مشكلة الجزر اليابانية المحتلة.
- ٨ - مشكلة الصراع الدائر بين الفصائل المختلفة في كمبوديا.
- ٩ - مشكلة الاختلافات العرقية في أندونيسيا.
- ١٠ - مشكلة شعب المورو في جنوب الفلبين.
- ١١ - مشكلات التعدد اللغوي والديني في الهند.
- ١٢ - مشكلات ترسيم الحدود في الجزيرة العربية، وهي في طريقها للحل سلمياً.
- ١٤ - مشكلة قبرص بين الأتراك واليونان.

رابعاً : الخريطة السياسية للأمريكتين

١ - قارة أمريكا الشمالية:

على الرغم من كونها ثالثة قارات العالم من حيث المساحة بعد آسيا وأفريقيا، إلا أنها لا تنضم سوى وحدتين سياسيتين، وهما كندا والولايات المتحدة الأمريكية (يمكن اعتبار الدانمرك التي تسيطر على جرينلاند ذات المساحة الضخمة دولة أمريكية أوروبية). وتعد قارة أمريكا الشمالية من أغنى قارات العالم وأكثرها تقدماً ورفاهية. وهذا ما يعكسه ارتفاع مستوى دخل سكان دولها (متوسط دخل الفرد يصل إلى ٢٨ ألف دولار سنوياً). والقارة لا يقطنها سوى ٣٠٠ مليون نسمة فقط معظمهم يتركز في الولايات المتحدة الأمريكية (٢٧٢ مليون نسمة) وفقاً لبيانات عام ١٩٩٩

ويطلق اسم أمريكا الأنجلوساكسونية على أمريكا الشمالية، والتي تسود بها اللغة الإنجليزية باستثناء مقاطعة كويبك في كندا التي يتحدث سكانها اللغة الفرنسية، وهي قارة متجانسة حيث تسودها العناصر الأوروبية والديانة المسيحية «وخاصة البروتستانتية»، ورغم وجود أقليات ثانوية من العناصر السكانية القديمة «الأمريندي» أو الهنود الأمريكيان (Amer - Ind) وهو اختصار لكلمتي أمريكا والهنود، بالإضافة إلى الزنوج وبعض المجموعات الآسيوية الوافدة للعمل في القارة، وهم يتركزون في بعض الولايات. وكان لوضع نظام ودستور جيد لكل ولاية أثره في إذابة الفروق بين الأقليات.

يفصل نهر ريو جراند Rio Grande بين المكسيك والولايات المتحدة. ويعد حداً فاصلاً بين أمريكا الشمالية الأنجلو ساكسونية. وأمريكا الجنوبية أو اللاتينية التي تتحدث الإسبانية أو البرتغالية.

ولم تشهد خريطة أمريكا الشمالية تغيرات تذكر منذ بداية القرن العشرين، وإن استقرت الأمور بعد تنسيق الأوضاع واستقرار الأمور بالنسبة لبعض الجزر والأقاليم التي كانت مازال معلقة مثل :

* تحديد خط سياسي بدلاً من التخوم بين لبرادو «التابعة لنيوفونديلاند» وبين مقاطعة كويك عام ١٩٢٧.

* اعتراف النرويج بملكية كندا لمجموعة جزر سيفر دروب Severdrup في المحيط المتجمد الشمالي، ومن ثم أصبح لكندا السيادة على القطاع القطبي الواقع شمالها.

* سيطرت الدانمرك على جرينلاند منذ عام ١٣٨٠ ونالت تأييد محكمة العدل الدولية في نزاعها والنرويج حول ملكيتها. وتستأجر الولايات المتحدة عدة محطات للإنذار المبكر وبعض القواعد العسكرية من الدانمرك بموجب اتفاقية بينها منذ عام ١٩٥٣.

ومن دراسة الجدول رقم (٦ - ٥) والشكل رقم (٦ - ١١) يمكن وصف الخريطة السياسية لأمريكا الشمالية كالتالي :

(١) على الرغم من قلة عدد دول القارة إلا أن حدود دولها تتسم بالأطوال المفرطة حيث يصل طول الحد السياسي بين الولايات المتحدة وكندا إلى أكثر من ٦٤٠٠ كيلو (لم تحسب حدود كندا مع ألاسكا). وحدودها مع المكسيك تبلغ ٣٠٠٠ كيلومتر.

جدول رقم (٦ - ٥) الملامح الجغرافية لدول قارة أمريكا الشمالية ١٩٩٩

الدول	العاصمة	المساحة «مليون كم ^٢ »	عدد السكان مليون نسمة	نصيب الفرد بالدولار سنوياً
كندا	أوتاوا	٩,٩	٣٠,٦	١٩٦٤٠
الولايات المتحدة الأمريكية	واشنطن	٩,٦	٢٧٢,٥	٢٩٠٨٠

الجدول من إعداد المؤلف ونفس المصدر السابق.



شكل رقم (٦ - ١١)
الخريطة السياسية الحديثة لأمريكا الشمالية عام ١٩٩٩

(٢) معظم حدود القارة تسيطر مع المجارى المائية مثل نهر سانت لورانس والبحيرات العظمى وبحيرة وودز. أما الحدود الجنوبية مع المكسيك فإنها تسيطر مع نهر ريوجراند لمسافة تصل إلى ١٩٠٠ كيلومتر من خليج المكسيك حتى مدينة الباسو. إضافة إلى ٥٠ كيلومتر في الغرب تسيطر مع نهر كلورادو.

(٣) نظراً للتجانس والتشابه بين الملامح العامة لسكان دول القارة فإن الحدود الطويلة بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية لا تمثل مشكلة فى حراستها. وتأتى المشكلة فقط فى حدود الولايات المتحدة مع المكسيك التى تعاني من الضغط السكانى ومشكلات دول العالم الثالث.

نظراً للقوة البحرية والعسكرية للولايات المتحدة فإنها تفرض سيطرتها على عدة جزر تتخذها قواعد عسكرية وتتبعها سياسياً وهى :

- كومنولث بورتوريكو.
- ساموا الأمريكية.
- جزر فيرجن.
- جزر جوام إلى الشرق من الفلبين.
- جزيرة هاواى.
- كثير من جزر المحيط الهادى.
- منطقة قناة بنما (والتي عادت ملكيتها لبنما فى ديسمبر ١٩٩٩) وإن ظلت إدارة وتشغيلها أمريكياً.

خريطة أمريكا الوسطى ودول البحر الكاريبي

تتسم جمهوريات أمريكا الوسطى - باستثناء - المكسيك بصغر مساحتها وعدم استقرار أوضاعها السكانية. وهذه الدول قد نمت حول نوايا كانت موانئ للسفن الإسبانية. ويطلق على دول أمريكا الوسطى اسم الدول «البرزخية» أي أنها تطل على واجهتين بحريتين. وهذه الدول تتفق في وجود مرتفعات جبلية في وسطها. وهذه الدول تدين بالمسيحية الكاثوليكية، ومعظمها سكانها يتحدثون بالإسبانية مع استثناءات بسيطة كما هو الحال في جزر جاميكا الذين يتحدثون الإنجليزية.

وقد شهد هذا الإقليم حضارات قديمة عظيمة مثل المايا والأزتك والتولتك والأولك وقد أثر ذلك كثيراً على خصائص سكانها. وتعدد العناصر البشرية التي يتكون منها سكان هذا الإقليم وإقليم جزر البحر الكاريبي والذي يتكون من الأوروبيين والهنود والزنجي بالإضافة إلى العناصر المختلطة من المستيزو (أوربي وهندي)، والزامبو (زنجي وهندي)، والمولاتو (أوربي وزنجي). ومعظم دول هذا الإقليم فقيرة الموارد وتنتمي إلى مجموعة دول الجنوب. وتباين ملامح هذه الدول بصورة واضحة ويمكن استنتاج أهم الملامح المميزة لدول أمريكا الوسطى وإيجازها فيما يلي كما يتضح من دراسة الجدول رقم (٦ - ٦) والشكل رقم (٦ - ١٢):

* عدد دول أمريكا الوسطى ثمانية دول. أكبرها دولة المكسيك والتي تبلغ مساحتها ١,٩ مليون كم^٢ وتتفاوت مساحات باقى الدول من ٢١,٦ ألف كم^٢ فى السلفادور إلى ١٣٠ ألف كم^٢ فى نيكاراغوا. وتتفاوت عدد سكان هذه الدول أيضاً. حيث يصل عدد سكان المكسيك إلى ٢٠٠ مليون نسمة أما باقى الدول فلايزيد عدد سكانها عن ٦ مليون نسمة باستثناء جواتيمالا ١٢ مليون نسمة. وأقل الدول فى عدد السكان هى دولة بليز ٢٠٠ ألف نسمة فقط.

* كل دول أمريكا الوسطى مستقلة باستثناء بليز البريطانية.

* أما دول جزر الكاريبي فإنها تتكون من ١٧ دولة صغيرة المساحة وأكبر الدول مساحة هي جزيرة كوبا ٢١١ ألف كم^٢. أما باقي الدول فإن مساحتها صغيرة وقد تصل إلى درجة القزمية حيث أن سبع دول لا تزيد مساحة كل منها عن بضعة مئات من الكيلومترات المربعة كما يتضح من دراسة الجدول، مثل أنتيغوا والبربادوس وجرينادا وفينيسيت وسانت لوتشيا وسان كيتس نيفس.

جدول رقم (٦ - ٦)

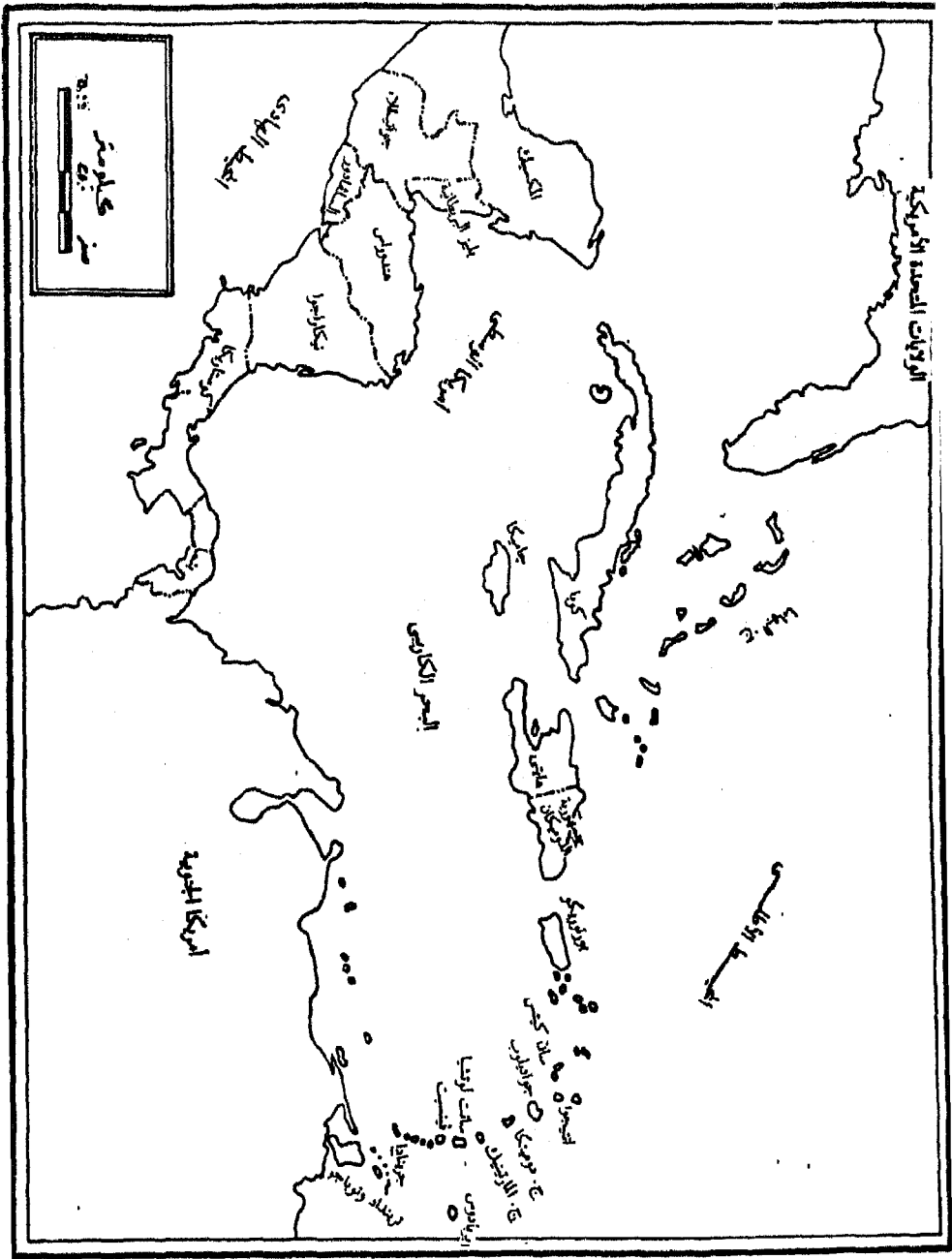
دول أمريكا الوسطى والبحر الكاريبي

المساحة بالألف كيلومتر مربع

الدولة	العاصمة	المساحة	الدولة	العاصمة	المساحة
دول أمريكا الوسطى					
بليز البريطانية	بلمويان	٢٣	هندوراس	تيجوسيغالبا	١١٢
كوستاريكا	سان جوزيف	٥٢	المكسيك	مكسيكو سيتي	١٦٥
السلفادور	سان سلفادور	٢١.٦	نيكاراجوا	ماناجوا	١٣٠
جواتيمالا	جواتيمالا	١٠٩.٢	بنما	بنماسيتي	٤٥

دول البحر الكاريبي

الدولة	العاصمة	المساحة	الدولة	العاصمة	المساحة
أنتيغوا	سانت جونز	٠.٤	جاميكا	كينجز تون	١١
ج. البهاما	ناساو	١٤	ج. المارتينيك	فورت دي فرانس	١
بربادوس	بريدج تاون	٠.٤	ج. الأنتيل	وليم ستاد	١
كوبا	هافانا	١١٢	بورتوريكو	سان جوان	٩
ج. دومينيكا	روزيا	٠.٨	سان كيتس نيفس	باس تيري	٠.٣
جمهورية الدومنيكان	سانتو دومينجو	٤٩	سانت لوتشيا	كاستريس	٠.٦
جرينادا	سانت جورج	٠.٣	فينيسيت	كينجز تاون	٠.٣
جواديلوب	باس تيري	١.٨	ترينداد وتوباغو	بورت أوف إسبان	٥
هايتي	بورت أو برنس	٢٨.٦			



شكل رقم (٦ - ١٢)
 دول البحر الكاريبي

وتوضح خريطة أمريكا الوسطى وجزر الكاريبي. أن دول الكاريبي تنقسم إلى مجموعتين : الأنتيل الكبرى وتتكون من أربع جزر وهي كوبا وهيسبانيولا (وتضم جمهورية الدومينيكان وهايتي) وجزر بورتوريكو. أما الأنتيل الصغرى فهي تتكون من عدد كبير من الجزر الصغيرة المنتشرة إلى الشرق من الكاريبي فيما بين ترينداد وبورتوريكو. وتقسّم جزر فيرجن هذه الجزر إلى قسمين : الأول وهي مجموعة الجزر الشمالية وتتبع بريطانيا.

والثاني : وهي مجموعة الجزر الجنوبية وتخضع للاستعمار الهولندي والفرنسي والبريطاني أما جزر فيرجن فإنها تتبع كل من إنجلترا والولايات المتحدة. أما الدول المستقلة في مجموعة الأنتيل الصغرى فتضم دومينيكان وبربادوس وسانت لوتشيا وترينداد وتوباغو وجرينادا

الخريطة السياسية لأمريكا الجنوبية

تضم قارة أمريكا الجنوبية ١٣ دولة. وكلها دول مستقلة باستثناء مستعمرة جيانا الفرنسية. وحدود دول أمريكا الجنوبية تتفق إلى حد كبير مع الأقسام التي وضعها الاستعمار. هذه الوحدات السياسية نمت وتوسعت من الساحل إلى الداخل. ولاتختلف خريطة القارة عام ١٨٣٠ عن الخريطة السياسية الحالية.

ودول القارة تتباين فيما بينها جغرافياً. رغم أن خصائص السكان لاتختلف كثيراً حيث تسود اللغة الإسبانية بين كافة أرجاء القارة. أما البرتغالية فتوجد في دولة البرازيل فقط. وتسود الديانة المسيحية الكاثوليكية. كل دول القارة. وسكان أمريكا الجنوبية خليط من كل السلالات البشرية المعروفة.

ومن أهم التغييرات التي إنتابت القارة هو تحول دولة بوليفيا إلى دولة حبيسة بعد أن فقدت منفذها البحري على المحيط الهادى بعد أن نشب نزاع بين بوليفيا وكل من بيرو وشيلي وكانت الغلبة لدولة شيلي للسيطرة على

المنطقة الساحلية الغنية برواسب التترات وانتهى النزاع في عام ١٩٢٩ بعد أن سلمت شيلي الأرض إلى بيرو وظلت بوليفيا حبيسة.

ويمكن أن نستنتج أهم الملامح التي تميز خريطة أمريكا الجنوبية كما يتضح جدول رقم (٦ - ٧).

جدول رقم (٦ - ٧)

دول أمريكا الجنوبية في عام ١٩٩٩

المساحة بالألف كيلومتر مربع

الدولة	العاصمة	المساحة	الدولة	العاصمة	المساحة
الأرجنتين	بيونس آيرس	٢٧٩٠	جيانا	جورج تاون	٢١٥
بوليفيا	لاپاز	١١٠٢	باراجواي	أسونسيون	٤٠٨
البرازيل	برازيليا	٨٥٨٠	بيرو	ليما	١٢٩٠
شيلي	ستياجو	٧٦٠	سورينام	باراماريبو	١٦٤
كولومبيا	بوجوتا	١١٤٤	أرجواي	مونتيفيديو	١٧٧
إكوادور	كويتو	٢٨٣	فنزويلا	كاراكاس	٩١٥
جيانا الفرنسية	كايين	٨٨			

الجدول من إعداد المؤلف.

من دراسة الجدول رقم (٦ - ٧) والشكل رقم (٦ - ١٣) يتضح ما

يلي :

* على الرغم من أن مساحة القارة أكبر من أوروبا وتقترب من قارة أمريكا الشمالية إلا أن القارة لا يوجد بها سوى دولتين حبيستين فقط وهما باراجواي وبوليفيا.



شكل رقم (٦ - ١٣)
الوحدات السياسية لقارة أمريكا الجنوبية عام ١٩٩٩

* معظم ديل القارة ذات حجم كبير والذي يزيد عن مليون كم^٢ وأكبر الدول مساحة هي البرازيل ٨,٦ مليون كم^٢، والأرجنتين ٢,٨ مليون كم^٢. أما أصغر الدول فهي جيانا الفرنسية والتي تصل مساحتها إلى ٨٨ ألف كم^٢.

* تتبع الجزر المجاورة لسواحل أمريكا الجنوبية الدول التي تواجهها ويستثنى من ذلك جزيرة فولكلاند التي تسيطر عليها بريطانيا وتطالب بها الأرجنتين والتي تعتبرها جزء منها وتطلق عليها اسم مالرناس Malrnas. وتمسك بها بريطانيا كقاعدة للأسطول البريطاني في المحيط الأطلسي الجنوبي. وقد نشبت حرب بين الأرجنتين وبريطانيا في عام ١٩٨٢ للسيطرة على الجزيرة وانتهت بهزيمة للأرجنتين.

* تعاني بعض دول القارة من مشكلات ترسيم الحدود مما ترك بعض النقاط الساخنة فوق خريطتها نذكر منها :

- مشكلة القطاع الشمالي من حوض الأمازون بين كل من كولومبيا والبرازيل وأكوادور وبيرو. وفي هذا القطاع فإن الحدود الدولية لم تكن واضحة تماماً أثناء حكم الأسبان وفي زمن الاستقلال.

- منطقة إنكاما بين بوليفيا وشيلي وبيرو.

- منطقة الجران شاكو بين باراجواي وبوليفيا.

- منطقة الحدود بين فنزويلا وجوانا.

الخريطة السياسية لاستراليا «الأوقيانوسيا»

لفظ استراليا يطلق على قارة استراليا وجزر المحيط الهادى. وهناك إختلافات سياسية وجغرافية واضحة بين الأقليمين الجغرافيين وسنتناول الدراسة كل على حدة :

أولاً : استراليا :

وهى من أصغر قارات العالم مساحة. وعلى الرغم من أن القارة تعد امتداداً جغرافياً لقارة آسيا إلا أنها مأهولة بسكان معظمهم من الأوربيين. وتمثل امتداداً حضارياً لأوربا. ولم يقتصر هذا المد الحضارى على القارة فحسب بل امتد لبعض الجزر المجاورة مثل نيوزيلند وبعض جزر المحيط الهادى المجاورة. وبصمات الاقتصاد الأوربى واضحة فى كافة أرجاء القارة. مع ذلك فتختلف القارة عن أوربا فى بساطة تكوينها السياسى حيث تضم وحدة سياسية واحدة. ومعظم سكانها من المهاجرين الإنجليز مع أقليات صغيرة من المهاجرين غير الملونين (إتباعاً لسياسة فرضتها الدولة يجعلها القارة البيضاء).

ودولة استراليا عضواً فى الكومنولث البريطانى وماتزال تتبع إدارياً التاج البريطانى. حيث رفض الشعب تغيير القانون الذى يجعل الدولة تحت حكم ملكة بريطانيا (شرفياً) رغم أن أمور الدولة تدار باستقلال تام عن بريطانيا «ولكنها تقاليد بريطانية».

واستراليا دولة إتحادية تتكون من ثمان مقاطعات ولكل مقاطعة حكومتها المحلية الخاصة. وهى نيوسوث ويلز، وفيكتوريا، وكوينزلاند وجنوب استراليا، وتسمانيا، والمنطقة الشمالية، والمنطقة الغربية، ومنطقة العاصمة. ويسمح القانون بتكوين مقاطعات جديدة إذا تغيرت الأمور وعند الحاجة. وعاصمة استراليا «كانبرا». ومساحة الدولة تبلغ ٧,٧ مليون كم^٢. ويبلغ عدد سكانها ١٩ مليون نسمة فى عام ١٩٩٩. ومتوسط مستوى دخل الفرد مرتفع ويبلغ ٢١ ألف دولار سنوياً وهى من دول العالم المتقدم. وينعم اقتصادها بفايض

ضخم سواء فى الإنتاج الزراعى والحيوانى أو الصناعى وقد أدت ظروف موقع استراليا المتطرف فى جنوب الكرة الأرضية إلى عزلتها السياسية. لذا فهى عضو فى عدة أحلاف عسكرية غربية حتى لاتقف بمفردها إذا ما تعرضت للخطر.

ثانياً : جزر المحيط الهادى :

الخريطة السياسية لجزر المحيط الهادى مازالت معقدة على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية تبسط نفوذها سواء السياسى أو العسكرى على كل الجزر التى تقع شمالى خط الاستواء مثل جزر هاواى Hawaii ، وجزر ووك Wake ، وجزر جوام Guam ، وبالو Palau ، وكواجالين Kwajalien ، وتراك Truk ، وباب Yap ، وباقى جزر كارولينا Caroline ، وجزر مارشال Marshall وغيرها.

* أما على خط الاستواء وإلى الجنوب منه فإن الموقف يختلف تماماً فإن معظم الجزر تخضع للنفوذ البريطانى والفرنسى والأمريكى. أما أستراليا ونيوزيلند فهما دولتين مستقلتين. وأهم جزر هذا النطاق مجموعة جزر تونجا Tonga ، ومجموعة جزر ساموا الغربية W. Samoa . وجزر تاهيتى الفرنسية Tahiti ، وجزر فيتى ليفو البريطانية Viti Livu ، وفانوليفو Vanua levu ، وجزر ماورو Mauru ، ومجموعة جزر كانتون Canton الأمريكية.

* وجميع هذه الجزر نقاط صغيرة وسط المحيط الهادى لكنها عظيمة الأهمية لكونها فقط إرتكاز حيوية فى المحيط الهادى. وقد أنشئ بها العديد من المطارات والقواعد العسكرية تمثل قلاع دفاعية، ونقاط أمان عن الولايات المتحدة ضد أى غزو قد يأتى من الغرب. وتمثل بعض الجزر محطات لإجراء التجارب النووية.

* وكانت إسبانيا هى المالكة لهذه الجزر. ولكن بريطانيا نافستها فى ذلك منذ القرن الثامن عشر ثم تبعتها عدة دول أوروبية أخرى مثل هولندا وفرنسا. وبهزيمة إسبانيا فى حربها مع الولايات المتحدة فى أواخر القرن التاسع

عشر بدأ نجم الأخيرة يبرز كأحد القوى العظمى، واستولت على عدة جزر وماتزال تحت سيطرتها حتى الآن مثل جزر هاواي، وويك، ومدواي، وجوام وساموا الأمريكية، وهاولاند وجارفيس، وبيكر.

* أما الممتلكات الفرنسية فتركز في جزر بولينيزيا مثل سوسيتي وتشمل تاهيتي وماركوزاس، وكليرتون وجزيرة نيوكاليدونيا.

* أما المستعمرات البريطانية فتتمثل في جزر فاننج، وفيتي ليفو، وجزر وفانو ليفو. ومجموعة جزر هندرسون. ومجموعة جزر إيل آيس Ellice وجزر سولومون Solomon وفيجي وجزر تونجي وفونكس.

* ونظراً لكثرة أعداد الجزر في عالم المحيط الهادى فقد قسمت إلى ثلاث مجموعات وهى : بولينيزيا وميلانيزيا وميكرونيزيا « يجب الإستعانة بأطلس لتتبع الأسماء ».

١ - مجموعة جزر بولينيزيا : وتقع في وسط المحيط الهادى ما بين دائرى عرض 30° شمالاً، 48° جنوباً، وبين خطى طول 110° غرباً إلى 165° شرقاً ويمكن تقسيمها إلى :

* غرب بولينيزيا : وتضم جزر ساموا ومجموعة تونجا.

* وسط بولينيزيا : وتضم سوسيتي وهاواي وكوك وإيستر.

* حافات بولينيزيا : ويضم ماركيز وإيستر بيتكرن ونيوزيلند.

٢ - مجموعة جزر ميلانيزيا : وأغلبها تقع إلى الجنوب من خط الاستواء فيما بين خطى طول 150° شرقاً إلى 175° غرباً وتضم عدة جزر مثل جوادالكانال، وبوجينفيل وموندا وتقع تحت السيطرة الأمريكية.

وجزر فيجي ومجموعة جزر لوزياد وجزر سانتا كروز وجزر سولومون « بريطانية » وجزر نيوكاليدونيا وجزر لوباليتي وجزر بسمارك ونيوهيرديز وكلها تحت السيطرة الفرنسية.

٣ - مجموعة جزر ميكرونيزيا : واسمها مرتبط بصغر حجم هذه الجزر

وهي جزر دبوسية في وسط المحيط. ورغم صغر حجمها إلا أن لها أهمية استراتيجية كبيرة. وتقع إلى الشمال من ميلانيزيا وخط الاستواء إلى الشرق من جزر الفلبين وإلى الجنوب الشرقي من جزر الياباب وأهم جزر هذه المجموعة جزر بالو Palu وجزر كارولين ، ومريانا، وبونين، وجزر جوام وجزر مارشال، وياب.

جدول رقم (٦ - ٨) الملامح الجغرافية لدول جزر المحيط الهادى عام ١٩٩٩

الدولة	العاصمة	المساحة الف كم ^٢	عدد السكان بالألف نسمة	متوسط نصيب الفرد بالدولار
إتحاد ميكرونيزيا	باليكير	٧	١٠٠	١٩٢٠
فيجي	سوقا	١٨	٨٠٠	٢٤٦٠
بولينزيا الفرنسية	بايتى	٤	٢٠٠	—
جوام	آجانا	٥	٢٠٠	—
جزر مارشال	ماجيرو	٢	١٠٠	١٦١٠
نيوكاليدونيا	نوميا	١٨	٢٠٠	—
نيوزيلندا	ويلنجتون	١٨٤	٣.٨٠٠	١٦٠٠٠
بالاو	كورو	٥	٢٠	—
بابو ونيوغيئا	بورت موريسى	٤٨٨	٤.٨٠٠	٩٣٠
جزر سولومون	هونيارا	٢٩	٤٠٠	٨٧٠
فانيتو	بورت فيلا	١٢	٢٠٠	١٣٤٠
ساموا الغربية	آبيا	٣	٢٠٠	١١٤٠

الجدول من إعداد المؤلف.

والتركيب السياسى لهذه الدول يبرز أن عدد دول جزر المحيط الهادى يصل إلى ١٢ دولة. منها دول تشغل جزيرة كبيرة. والآخر يضم مجموعة

من الجزر «أرخبيل». ويمكن إيجاز أهم سمات جزر المحيط الهادى فيما يلى:

* باستثناء دولة بابوا ونيوغيانيا (٤٨٨)، ونيوزيلندا (١٨٤)، فإن كل الدول لاتزيد مساحة كل منها عن ٣٠ ألف كيلومتر مربع.

* كل دول هذا الإقليم أيضاً تتسم بقلة عدد سكانها والذى يتراوح بين ٢٠ ألف نسمة، ٢٠٠ ألف نسمة. أما الدول ذات العدد الكبير والذى تزيد عن مليون نسمة فهى كل من نيوزيلندا (حوالى ٤ مليون)، وبابوا ونيوغيانيا (حوالى ٥ مليون نسمة).

* كل دول المنطقة باستثناء نيوزيلندا (والتي يبلغ متوسط نصيب الفرد فيها ١٦ ألف دولار سنوياً) دول فقيرة ولايزيد متوسط نصيب الفرد من الدخل عن ١٥٠٠ دولار سنوياً.

* تتفاوت خصائص الدول طبيعياً وبشراً لاتساع المسافات بين هذه الجزر واختلاف مواردها المعدنية والزراعية. وإختلاف قيمة موقعها الجغرافى ونوع السيطرة الأجنبية التى سيطرت عليها.

* أكبر وأهم جزر عالم المحيط الهادى هى جزيرتى نيوزيلندا، وبابوا ونيوغيانيا. وإن كانت الأولى تمثل مركز ثقل سياسى واقتصادى أفضل.

مراجع الفصل السادس

- (1) World Population Data Sheet, 1999.
- (2) The Reader Digest, Great World Atlas.
- (3) Hoffman, G., Europe in 1990's, Willey, London, 1986.
- (4) Magas, B., The Destruction of Yugoslavia, Verso, London, 1993.
- (5) Taylor, P., Political Geography, Willey, London, 1994.
- (6) William, C., The Political Geograpy of the New World Order, Halessted, New York, 1993.

مراجع باللغة العربية

- (١) فايز محمد العيسوى - أسس الجغرافيا البشرية - دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨.
- (٢) فتحى محمد أبو عيانة - الجغرافية السياسية - دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.
- (٣) محمد عبد الغنى سعودى - الجغرافية السياسية المعاصرة - الأجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧.
- (٤) محمد مرسى الحريرى - دراسات فى الجغرافيا السياسية - دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨.
- (٥) محمد متولى - محمود أبو العلا - الجغرافية السياسية - منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦.
- (٦) محمد فاتح عقيل - مشكلات الحدود السياسية - منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٦٧.
- (٧) محمد عبد المجيد عامر - أسس الجغرافية السياسية والأوضاع السياسية الجديدة - دار الدعوة للطبع والنشر - الإسكندرية، ١٩٩٤.

الفصل السابع

آراء استراتيجية في الجغرافية السياسية

* مقدمة عن أهم الآراء

أولاً: ماهان وأهمية الموقع البحري.

ثانياً: ماكيندر ونظرية قلب العالم (الهارتلاند).

ثالثاً: سبيكمان ونظرية النطاق الهامشي «الرملاندي»

* مينيغ والمعايير الوظيفية للهارتلاند والرملاندي

* الاستراتيجية العالمية في عصر الطيران الحديث

* الاستراتيجية في عصر البحرية الحديثة

* مراجع الفصل السابع.

آراء استراتيجية في الجغرافية السياسية

مقدمة :

كانت العلاقات الجغرافية في السياسة مجال اهتمام مستمر للدارسين منذ أيام الإغريق. واتسمت الدراسات في فترة ما قبل القرن التاسع عشر بالنظرة الإقليمية والمحلية، حيث إن معرفة كل الأمور الخاصة بسطح الأرض كانت غير كاملة لتخلف وسائل التنقل والاتصالات مما جعل المسافة بين الأماكن المختلفة من الصعب إجتيازها. ولم تكن النظرة إلى العالم على أنه وحدة واحدة ترد في حساب أفضل المتفائلين. ومن ثم فإن المفاهيم الجغرافية الاستراتيجية كانت مقصورة على أثر البيئة الطبيعية على المناورات السياسية العسكرية. ومع بزوع عصر كولومبوس بدأت بعض الدول البحرية في تأسيس مستعمرات لها. ومع التحسن في وسائل النقل بدأ العالم ينكمش إلى عائلة واحدة ذات دول مختلفة. من هنا بدأ المنظور الجغرافي في الاستراتيجية يتغير مع بداية ظهور علماء مثل ريتزر Ritter وهمبولت Humboldt. هذا التغير في المنظور الجغرافي بدأ يتضح في الكتابات الإستراتيجية في نهاية القرن التاسع عشر - خاصة كتابات كل من ماهان Mahan والجغرافي هارولد ماكيندر H. Mackinder .

وجدير بالذكر أنه في الفترة التي ظهر فيها العالمان ماهان وماكيندر كان معظم سطح الأرض قد اكتشف ورسمت له خرائط. وأصبحت العلاقة بين التاريخ السياسي والنموذج المساحي العالمي لتوزيع القارات والمسطحات المائية على سطح الأرض علاقة واضحة ومستمرة. وقد حاول كل من ماهان وماكيندر أن يفسرا النماذج السياسية العالمية من خلال النماذج المساحية للقوة في العالم على أساس أسباب رئيسية مرتبطة بالتاريخ والجغرافية، وقد اختلفا عن سبقهما حيث إنهما حاولا تفسير المسرح العالمي المعاصر مع

الأخذ في الاعتبار الاستمرارية التاريخية والتغيرات الجغرافية في توازن القوى العالمية والثورات التكنولوجية العالمية.

ويمكن حصر أهم كتابات الجغرافيا السياسية التي أبرزت أهمية الموقع الاستراتيجي فيما يلي:

١- ماهان والقوة البحرية.

٢- ماكيندر والقوة البرية.

٣- سبيكمان والقوة البرية والبحرية.

وفيما يلي عرض لكل من هذه الآراء وأثرها في توجيه القوى العظمى نحو بعض أقاليم العالم الهامة لفرض سيطرتها وهيمنتها عليها.

أولاً: أفكار ماهان في الاستراتيجية (الموقع البحري):

يمكن القول بأنه لم يكتب أحد في توضيح أهمية الاستراتيجية للموقع البحري من وجهة النظر الجغرافية قبل الحرب العالمية مثل ألفريد ثاير ماهان Alfred Thayer Mahan (١٨٤٠ - ١٩١٤) الذي «شارك في إرشاد وتوجيه السياسة البحرية الأمريكية. حيث إن كتاباته أثرت في نهج الفكر البحري في كل من فرنسا وروسيا واليابان وغيرها من الدول البحرية.

ومن خلال علاقاته المباشرة وبمساهمة أصدقائه السياسيين مثل ثيودور روزفلت وهنري كابتوت لدج، لعب ماهان دوراً رئيسياً في إقناع الولايات المتحدة بتوجيه اهتماماتها نحو البحار خلال السنوات الأولى من القرن العشرين .

ولد ماهان عام ١٨٤٠ وتخرج من الاكاديمية البحرية الأمريكية سنة ١٨٥٩، وأمضى أربعين عاماً في الأسطول البحري الأمريكي ثم تقاعد عام ١٩٠٦ برتبة أدميرال. عندما بلغ أربعة وأربعين عاماً انضم إلى الكلية البحرية

فى نيوبورت، والتي تولى رئاستها عام ١٨٨٦، ثم انتخب رئيساً للجمعية التاريخية الأمريكية عام ١٩٠٢-١٩٠٣ نظراً لمساهماته فى التاريخ البحرى.

وأفكار ماهان فيما يتعلق بالاستراتيجية العالمية لا يمكن رصدها من كتاب أو مقالة واحدة، وإنما يمكن الحصول عليها وتجميعها من كتاباته المتعددة. وأكبر إسهاماته العلمية ثلاثيته الشهيرة: أثر القوة البحرية على التاريخ (١٦٦٠-١٧٨٣) *The Influence of Sea Power on History*. أثر القوه البحرية على الثورة والإمبراطورية الفرنسية (١٧٩٣ - ١٨٣٢) وكتابه الثالث كان عن حياة نلسون (١٨٩٧) *The Life of Nelson*. وكل كتاباته كان لها محور واحد، وهو إبراز أن الشرط الأساسى للقوة العالمية هو التحكم فى البحر. فلقد كان مقتنعاً بأن القوة البحرية فى المحيطات لها اليد العليا فى ترجيح الصراع فى أى مشكلة عالمية، وقد وضع ماهان أربعة مفاهيم أساسية حول دور القوة البحرية فى العالم وهى:

- ١- أن البحار والمحيطات تمثل نظاماً للربط والاتصال بين أرجاء العالم.
- ٢- تمثل الإمبراطورية الروسية صورة للدول الحبيسة القارية.
- ٣- يحيط بالإمبراطورية الروسية عدد من الدول البحرية الأوربية والآسيوية.
- ٤- هناك ثلاث دول جزرية قوية تقع خارج الكتلة الأوراسية، وهى بريطانيا واليابان والولايات المتحدة.

ويرى ماهان أن البحر هو الطريق (أو المعبر) العظيم بين الدول فهو متسع ومشارك بحيث يسمح للإنسان بالتنقل فى جميع الاتجاهات، وأن له ممرات معروفة توضح أنه لأسباب تحكمية يختار الإنسان طريقاً ما دون الآخر. وفى عالم تسود فيه التجارة العالمية، فإن الموقع البحرى المناسب أعطى ميزة سياسية اقتصادية بعيدة المدى، ومن ثم فإن الموقع الحبيس يشكل عيباً نسبياً. وكتب ماهان أن «السفن التى تتحرك بصفة مستمرة فى البحر فى حاجة إلى موانئ آمنة تعود إليها وأيضاً إلى حماية إلى أبعد حد خلال رحلاتها».

ويحدد كل من الإنتاج، وهو ضروري في عمليات التبادل التجاري للبضائع في النقل البحري، والذي عن طريقه تتم عملية التبادل ثم المستعمرات التي تسهل عمليات النقل البحري وتضخمها. وتوفر الحماية من خلال مضاعفة النقط (المواقع) الآمنة - تحدد هذه العوامل الثلاثة تاريخ وسياسة الدول الواقعة على البحر.

أوضح ماهان أن الإمبراطورية الروسية تشكل مثلاً واضحاً لنقط الضعف والقوة في القوة الأرضية Land Power. فالعوائق الجغرافية حدّت بشكل كبير تحركات الإمبراطورية الروسية. فمساحتها الكبيرة وعدم كفاية وسائل التنقل والاتصال أثرت بشكل كبير على التماسك الداخلي للدولة. وذلك بالإضافة إلى موقعها الحبيس الذي جعل الإمبراطورية الروسية مغلقة. وبسبب هذه الظروف الجغرافية الصعبة فالإمبراطورية الروسية لا يمكن تحطيمها إلا أنه من السهل احتوائها.

وعلى النقيض تماماً من روسيا، فالموقع الجغرافي لبريطانيا (رغم صغر مساحتها) مكّنها من تأسيس إمبراطورية مستفيدة من ميزة التفوق البحري، والذي جعل منها أقوى قوة بحرية في العالم، وعليه أصبحت بريطانيا قوة عالمية. وبغض النظر عن مساحة روسيا العملاقة الممتدة في أوراسيا؛ فإن الأسطول البحري البريطاني يمكنه بسهولة احتوائها بما له من قواعد بحرية متعددة ومنتشرة على مستوى العالم.

وقام ماهان بدراسة الخصائص والملامح الأساسية للقوة البحرية العالمية البريطانية، وقد وجد أن بريطانيا هي الدول الوحيدة الجزرية في أوروبا، وبسبب حالتها الجزيرية فلقد كانت آمنة من أي هجوم خارجي، وبالتالي فإنها لم تكن في حاجة إلى تجهيزات دفاعية، مما جعلها تستغل المال والأفراد للاستثمار في الأسطول البحري. وأعطى موقع بريطانيا الجغرافي لها ميزة التحكم في الطرق التجارية عبر القناة الإنجليزية وطرق التجارة عبر المحيط الأطلنطي، ومن ثم فإن الأسطول البحري الإنجليزي يمكنه أن يعيق التجارة الأوروبية في البحار المفتوحة. ونجحت بريطانيا بفضل موقعها في التحكم في

جميع طرق التجارة العالمية. ويفضل تحكمها فى النقاط الاستراتيجية البحرية مثل: مضيق جبل طارق، وقناة السويس، ورأس الرجال الصالح، وسنغافورة، وهونج كونج، وغيرها أعطى بريطانيا مركزاً قيادياً وريادياً فى أوروبا وآسيا والمحيط الهادى.

وانطلاقاً من نوفاسكوتشيا Nova Scotia استطاع الأسطول البحرى البريطانى أن يتحكم فى المنطقة من الشرق الأقصى إلى الولايات المتحدة، فى حين أفاد سيطرتها على بعض جزر الكاريبى إمكانية تحكمها فى التجارة التى تمر عبر قناة بنما.

ورأى ماهان أن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى يمكن أن يضاهى موقعها الجغرافى موقع بريطانيا. فهى ليست لها أعداء أقوياء على حدودها (ومثل بريطانيا يمكن اعتبارها دولة جزيرية)، وبالتالى تتوفر لديها جميع مميزات الأمن والدفاع. وبالرغم من أنها ليست لها مستعمرات، فقد حباها الله بموارد اقتصادية عديدة وضحمة، بالإضافة إلى موقعها المتوسط ما بين المحيط الأطلنطى والمحيط الهادى الذى منحها مميزات أكبر للقوة البحرية. ولقد كان ماهان من أكثر مؤيدى فتح قناة بنما للربط بين المحيط الهادى والأطلنطى. وفى سنواته الأخيرة كان ماهان على اقتناع كامل بأن هذه الأمة العظيمة (أى الولايات المتحدة) يمكن أن تحل محل بريطانيا باعتبارها قوة بحرية.

محددات القوة البحرية

من خلال تحليل القوة البحرية البريطانية ومن دراسة التاريخ البحرى للعالم تمكن ماهان من تقديم ستة عوامل اعتقد أنها تحدد القوة البحرية:

١- الموقع الجغرافى للدولة:

هناك عدة مفاهيم هامة تحدد القوة البحرية مرتبطة بالموقع وهى:

(أ) واجهة أو أكثر على أحد البحار المفتوحة open seas. وتزداد القوة البحرية للدولة، إذا كان هذا الموقع يوفر للدولة المميزات المتعلقة بالتحكم فى

طرق التجارة الهامة عن طريق القنوات الملاحية أو الإشراف على المضائق.
وأيضاً القواعد التي من خلالها يمكن إحتواء العدو أو تهديده.

(ب) مدى الحدود الأرضية، فالموقع الذى يفرض حدوداً أرضية طويلة اعتبره ماهان موقفاً أقل أهمية فى حين أن الموقع الجزيرى بالنسبة له يعتبر ذا قيمة عظيمة.

٢- الشكل الطبيعى للدولة:

يقصد ماهان بذلك شكل الخطوط الساحلية للدولة، وعلى حد قوله: (إن الأراضى الساحلية المطلة على البحر هى حدود للدولة. وكلما كانت هناك سهولة فى الوصول من هذه الحدود إلى البحر، كلما زادت رغبة الأفراد فى الاتصال بباقى العالم عبر البحر). فلنا أن نتخيل أن دولة لها سواحل طويلة، ولكن ليس لها أى موانئ، ولن تكون لها تجارة بحرية أو نقل بحرى أو أسطول على هذه السواحل. والعديد من الموانئ تشكل نقاط قوة وثناء. وتزداد هذه القوة والثناء بوجود ألفة ورؤس بحرية ممتدة داخل البحر، والتي تسهل انشاء موانئ للدولة على تلك الألسنة، ولكن سهولة الوصول إليها يجعلها نقطة ضعف فى حالة الحرب، إذا لم يتم الدفاع عنها بالصورة الصحيحة.

٣- الأمتداد المساحى للدولة: Extent of territory

قصد ماهان بذلك طول الشريط الساحلى للدولة وقدرته الدفاعية ضد الغزو، ومن ضمن العوامل التى اعتبرها هامة هى قوة الدفاع عن الواجهات البحرية الطبيعية للموانئ والمرافئ على السواحل. ويزداد العمق الدفاعى بوجود مساحة متسعة من الدولة «الظهير».

٤- حجم السكان:

يعد حجم السكان بالنسبة لماهان أحد العوامل الهامة المحددة لقوة الدولة بحرياً. حيث إن الدولة ذات الحجم السكانى الكبير تستطيع بناء طاقم الأسطول وتوفيره. ومثل هذه الدول فقط هى التى تستطيع أن تمتلك القواعد

والمستعمرات عبر البحار، والتي تحتاج إلى أعداد كبيرة من الجنود الإداريين.
٥- توجه السكان البحري:

قصد ماهان بذلك مدى استعداد الأفراد للإبحار والتجارة، فإذا لم يكن للأفراد قابلية الحصول على الغذاء من البحر وإقامة معاملات تجارية مع العالم الخارجى، فلن يستطيعوا بناء قوة بحرية. واعتبر ماهان أن التجارة فيما وراء البحار هى الخطوة الأولى فى تطوير القوة البحرية.

٦- توجه الحكومة البحري:

مما لاشك فيه أن الحكومات ذات الإدارة القوية، والتي تتمتع ببعد النظر تلك التي تعطى اهتمامها للبحار المشرفة عليها بنفس قدر اهتمامها بامتدادها على اليابس لأن البحر يمثل مصدر رخاء واستقرار ودفاع وأمن للدولة. وقد فسر ماهان ذلك فى مدى حرص روسيا فى القرن التاسع عشر للوصول إلى المياه الدفيئة (البحار المفتوحة) فى اتجاه الشرق. أو من إثارة القلاقل فى أفغانستان وإيران لتتمكن من الوصول إلى المحيط الهندى جنوباً. وهذا ما فسره حرص الإتحاد السوفيتى لاحقاً (بعد الحرب العالمية الثانية) على توطيد علاقاته بكثير من الدول ذات المواقع البحرية الاستراتيجية المسيطرة على الملاحة البحرية العالمية مثل: كوبا فى البحر الكاريبى. ومصر المتحكمة فى قناة السويس. واليمن المتحكمة فى مدخل البحر الأحمر. وأثيوبيا وأنجولا باعتبارهما نقاط استراتيجية فى القارة الأفريقية. بالإضافة إلى سيطرتها على جزر حيوية فى المحيط الهادى مثل: جزر كوريل.

ويرى ماهان أن السبيل الوحيد لوقف التوجه البحري لروسيا هو تقوية الدفاعات العسكرية على أطراف حدودها. حيث إن الموقع الجغرافى للإمبراطورية الروسية يجعل منها قلعة حصينة. وأن قلب الإمبراطورية لا يمكن اختراقه، ومن ثم فإن الطرق من المركز يجب إعاقته، وأن السبيل الوحيد للصراع ضد العملاق الروسى ينحصر بصفة رئيسية على الحدود الشرقية والجنوبية لآسيا.

وبدراسة التحليل الجغرافى المعاصر لفكر ماهان يمكن القول إن أول من

توقع مفهوم قلب العالم الأوراسي. وأنه وضع استراتيجية مواجهة الإمبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر، والتي أصبحت أساس إستراتيجية احتواء الإتحاد السوفيتي التي اتبعتها الولايات المتحدة خلال الأربعينيات، أي بعد نصف قرن تقريباً من وفاة ماهان عام ١٩١٤.

وجدير بالذكر أن آراء ماهان الاستراتيجية كانت تتناسب مع زمنها، حين كانت أساطيل بريطانيا العظمى في عهد الملكة فيكتوريا (١٨٣٧-١٩٠١) تفرض سيطرتها على بحار العالم. أما في الوقت الحاضر ومع التقدم التكنولوجي في وسائل النقل والحرب. فإن القوات الجوية حلت محل القوات البحرية باعتبارها قوى مهيمنة على الرغم من ذلك. وقد ساهمت كتابات ماهان ساهمت بشكل كبير في تشكيل فكر الجغرافيين الأمريكيين. وربما تعود الحياة لكتابات ماهان وآرائه إلى العصر المحيطي الجديد الذي تسود فيه السفن النووية وحاملات الطائرات العملاقة.

ثانياً: نظرية ماكيندر عن قلب العالم: (القوة البرية):

يعد السير هارولد ماكيندر H. Mackinder (١٨٦١-١٩٤٧) أشهر الجغرافيين في الدوائر غير الجغرافية، فهو صاحب أفضل نظرية استراتيجية عالمية في الوقت المعاصر. ولكن أفكاره ومعتقداته لم تكن على الإطلاق الأفضل، حيث يرى البعض أنه من الصعب أن نجد مقالة في مثل طول مقالات ماكيندر وشهرتها، والتي من الصعب تفسير أفكارها ومصطلحاتها الفنية.

وقد ولد ماكيندر في اسكتلندا، وأصبح أستاذاً للجغرافيا في جامعة لندن ومديراً بكلية الاقتصاد في لندن، وعضواً في البرلمان البريطاني.

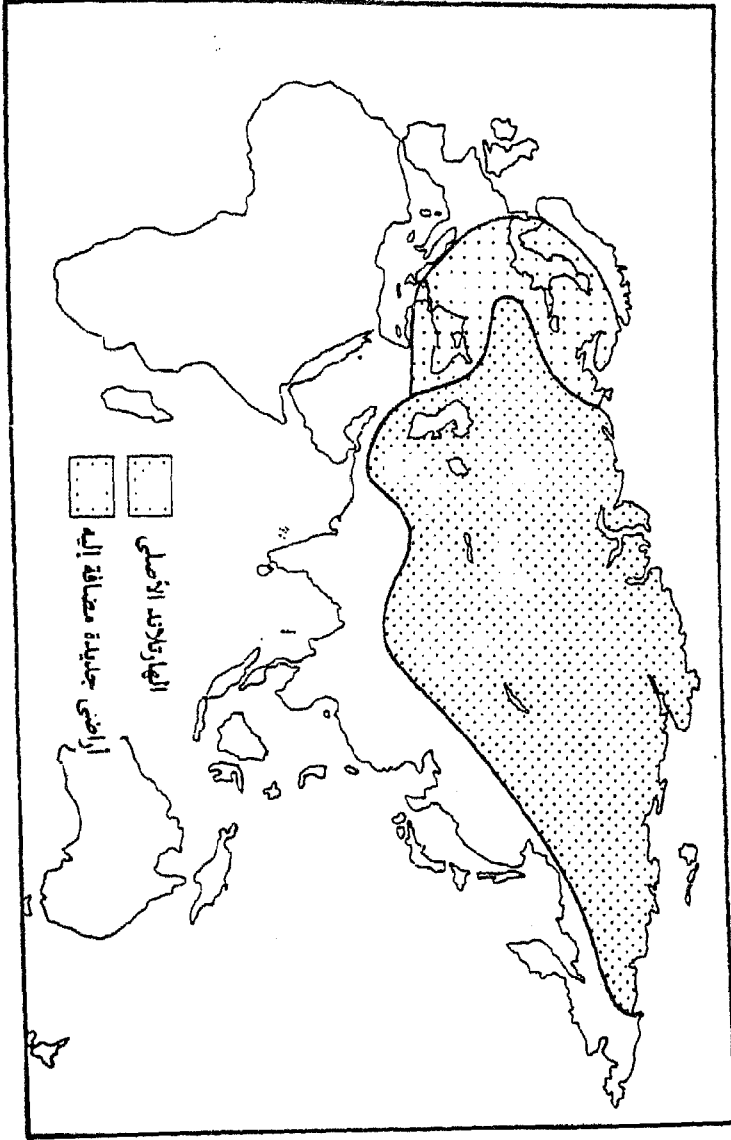
وقد قدم ماكيندر منظوراً سياسياً عن أهمية التوزيعات الجغرافية للأراضي والمسطحات المائية على سطح الأرض بأسلوب أكثر تنظيماً من ماهان.

وجدير بالذكر أن مفاهيم كل من ماهان وماكيندر وفرضياتهما ونظريتهما حول القوة الأرضية والبحرية تختلف تماماً عن بعضها البعض في الوقت الذي تتشابه فيه تصوراتهما عن الاستراتيجية، مما يؤدي إلى استنتاج أن ماهان وماكيندر قرأ كل منهما كتابات ومقالات الآخر، إلا أن ماكيندر أوضح النظريات والفرضيات بصورة منهجية، وهو من فسر التاريخ بأسلوب استراتيجي ومازالت أفكاره الجغرافية تستهوى العديد من الدارسين.

أساسيات نظرية قلب العالم «الهارتلاند»:

في عام ١٩٠٤ قدم ماكيندر أمام الجمعية الملكية الجغرافية في لندن مقالته الرائدة تحت عنوان «المحور الجغرافي للتاريخ» Geographical Pivot of History، وقدم في المقالة الأفكار الأساسية لمنطقة قلب العالم Heart land لأول مرة. أوضح ماكيندر أن في العقد الأول من القرن العشرين، فإنه لأول مرة نستطيع أن نحاول بدرجة ما إيجاد علاقة متبادلة بين تعميمات جغرافية وتعميمات أخرى تاريخية أكبر، ومن ثم نستطيع إيجاد معادلة «للمسبات الجغرافية في التاريخ العالمي» من خلال دراسته لخريطة العالم الطبيعية حيث وجد ماكيندر أن سطح الأرض مكون من كتلة يابس ضخمة تضم كلاً من أوروبا وآسيا وأفريقيا وبعض الجزر المعزولة أي: تضم الأمريكتين وأستراليا واليابان وبريطانيا، ولقد سمي كتلة اليابس بأوروبا وأفريقيا وآسيا «بجزيرة العالم».

وفي مقاله الأصلي عام ١٩٠٤ تكلم ماكيندر عن حدود العالم القديم المكون من أوروبا وآسيا وأفريقيا (شمال الصحراء الكبرى)، ولكن في مقاله عام ١٩١٩ ادخل أفريقيا كلها في جزيرة العالم. ولاحظ ماكيندر أن سطح الأرض مكون من ثلاثة أرباع ماء وربع أرض، وثلثي هذا الربع يشكل جزيرة العالم، والثلث الباقي يشكل القارات الأخرى أيضاً، كما أن جزيرة العالم تشتمل على سبعة أثمان سكان العالم. ولقد رأى أن أرض العالم مرتبة على



شكل رقم (٧-١)
منطقة الهاترلاند كما حددها ماكيندر في عامي ١٩٠٤، ١٩١٩

شكل ثلاث طبقات. توجد بالطبقة الأولى مساحة كبيرة من الأحواض النهرية Drainage الداخلية أو المتجهة صوب القطب الشمالي في أوراسيا Eurasia، وهي محاطة بالجبال من ثلاث جهات. والمحيط المتجمد الشمالي من الجهة الرابعة، وتلك هي «المنطقة المحورية» Pivot area، والتي أطلق عليها بعد ذلك قلب العالم Heart land، وهي المنطقة الممتدة من نهر الفولجا volga غرباً إلى سيبيريا الشرقية في الشرق، ومن جبال الهيمالايا في الجنوب إلى منطقة القطب الشمالي في الشمال.

وأشار ماكيندر أن الملامح المميزة لقلب العالم كونها منطقة محاطة من ثلاث جهات بجبال ويحدها المحيط المتجمد في الجهة الرابعة، مما جعل منها حصناً طبيعياً من الصعب الوصول إليه، ومن ثم فهو مكان آمن. وأن المنطقة يمكن اختراقها فقط من الجهة الجنوبية الغربية عن طريق أوروبا الشرقية وبين جبال الأورال Ural وبحر قزوين Caspian sea، حيث تغطي تلك المنطقة سهول خضراء واسعة تسهل عملية التحرك والانتقال.

والمنطقة المحورية أو منطقة قلب العالم Heart land، كما صورها ماكيندر محاطة بنطاق (إقليم) هامشي يضم كل أراضي أوراسيا الموجودة خارج منطقة قلب العالم، ويتضمن أوروبا غرب الأورال وجنوب غرب آسيا خارج الأراضي الإيرانية والهند وجنوب شرق آسيا ومعظم الصين، كما يتضح من دراسة الشكل وخارج أراضي هذا النطاق الحدى أو الهامشي، يقع النطاق الثالث الذى أطلق عليه الهلال الخارجى، ومن ثم فإن قارتى أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى والجزر البريطانية واليابانية اعتبرها كلها مناطق خارجية.

ومن خلال دراسته للتاريخ الأوراسى، بالإضافة إلى الخريطة السياسية للعالم فى ذلك الوقت اقتنع ماكيندر بالأهمية الاستراتيجية الكبيرة للمنطقة الأوراسية الداخلية وتأثيرها فى علاقات العالم القديم. وتتكون الأجزاء

الشمالية و الغربية لقلب العالم من أراضٍ منخفضة واسعة فيما عدا جبال الأورال، وتتصل بباقي سهول أوروبا الشرقية من خلال ثغرة أوروبا الشرقية ويصعب إختراقها من الشمال والغرب.

وأبرز ماكيندر دور معالم السطح وتضاريسه بقارة أوروبا وتأثيره البالغ على تاريخها السياسي. وفسر ماكيندر التاريخ الأوروبي على أنه صراع دائم ضد الغزو القادم من داخل آسيا.

وقد أثرت نظرية ماكيندر عن قلب العالم على أفكار علماء الجيوبوليتكا الألمان أمثال: هاوسهوفر. بل وامتد تأثيرها على مفهوم الاستراتيجية الألمانية في عهد هتلر.

وفي عام ١٩١٩ نشر ماكيندر نسخة معدلة لمقالته عن قلب العالم في كتاب عنوانه «المثل الديمقراطية والواقع» Democratic Ideals and Reality. وفي هذا الكتاب أوضح أن القوى البحرية فشلت تماماً في السيطرة على منطقة جزيرة العالم.

وتتلخص نظرية قلب العالم لماكيندر في الجمل التالية:

Who rules east Europe, Commands the heartland.

Who rules the hartland, commands the world island.

Who rules the world island, commonds the world.

وتعنى ما يلى:

* من يحكم شرق أوروبا؛ يسيطر على منطقة قلب العالم.

* ومن يحكم قلب العالم؛ يسيطر على جزيرة العالم.

* ومن يحكم جزيرة العالم؛ يسيطر على العالم بأسره.

وقد أوضح ماكيندر أن من يتحكم في منطقة قلب العالم هي قوة أقوى بكثير من أي دولة بمفردها. لأن أي قوة تتحكم في منطقة جزيرة العالم فإنها تتحكم في ثلثي مساحة العالم وسبعة أثمان سكانه، ومن ثم فهناك شك في قدرة أية قوة تستطيع أن تتحكم في إمبراطورية عالمية.

منطقة قلب العالم المعدلة سنة ١٩٤٣ :

ركز ماكيندر اهتماماته على منطقة أوراسيا حتى عام ١٩١٩ على أساس أنها منطقة الهيمنة العالمية، ولكن مع منتصف العشرينيات انتبه إلى أن غرب أوروبا وامتداده في الولايات المتحدة يشكلان مجتمعاً وأمة واحدة، وبهما مناطق ذات أقطار وفيرة وأغنى حقول الفحم ومنطقة تركز صناعى عالمى، وبها منطقتا تكديس سكانى. وأشار إلى أن غرب أوروبا وشرق الولايات المتحدة الأمريكية مكملان لبعضهما البعض.

هذا التغيير فى مدى إدراكه للحقيقة الجغرافية السياسية يعكس تعديلاً آخر فى آرائه الاستراتيجية العالمية عن مولد قوة سياسية جديدة جاء ذلك فى مقاله الشهير بعنوان (العلاقات الخارجية) فى عام ١٩٤٣ وفى هذه المقالة ذكر ماكيندر تحت عنوان «العالم الدائرى وانتصار السلام» The round world and the winning of peace أنه فى الوقت الذى كانت فيه ألمانيا على حافة الانهيار، فلم يعد ماكيندر يحبذ أن من يحكم قلب العالم يحكم جزيرة العالم، وأن من يحكم جزيرة العالم يحكم العالم» وذلك لأن جانبى الأطلنطى أصبحا مرتبطين من خلال الأساطيل البحرية والاتصالات الجوية وأن القوة الصناعية و الحربية للولايات المتحدة وغرب أوروبا لا يمكن إغفالها.

وصف ماكيندر المنطقة الجغرافية الاستراتيجية، والتي تتكون من شرق الولايات المتحدة وغرب أوروبا بأنها «حوض الأرض الوسطى» Midland Basin .

ولقد اعتبر هذه المنطقة أرض التوازن المضاد للقوة السياسية لقلب العالم الأوراسية (والتي ألقى منها جزءاً من الإتحاد السوفيتى الذى يقع شرق نهر ينسى Yenisei، والتي أطلق عليها Lenaland، بسبب قيمتها الاستراتيجية والإقتصادية الضئيلة نظراً لمظهرها الطبوغرافى القاسى

حيث إنها منطقة مغطاة بالغابات والغطاءات الجليدية والمستنقعات.

ولاحظ ماكيندر أن من نتائج الحرب العالمية الثانية تغير الصورة الجغرافية السياسية للعالم بشكل كبير. فكتب «إذا خرج الإتحاد السوفيتي منتصراً في حربه مع ألمانيا (وهو الذى حدث بالفعل)، فإنها سوف تكون أقوى قوة على وجه الأرض، بالإضافة إلى أنها تعتبر أقوى موقع دفاع استراتيجي. فمنطقة قلب العالم هي أقوى حصن على وجه الأرض. ولأول مرة في التاريخ يتم تزويدها بالقوة العسكرية الكافية من حيث العدد والكفاءة».

ما قصده ماكيندر أنه بعد الحرب والهزيمة الثقيلة لألمانيا تحولت منطقة قلب العالم من منطقة خاوية من القوة إلى مركز للقوة.

ولكن هل استمر صدق نبوءة ماكيندر في نهاية القرن العشرين؟

فالتطورات السريعة التي انتابت الإتحاد السوفيتي وتفتته أوضحت أن هناك خطأ في تقدير قوة هذه الدولة، كما أن سهوله اختراق المناطق القطبية الشمالية بواسطة الطيران قللت الأهمية الاستراتيجية للسواحل الشمالية له. مما جعل من الصعب على الإتحاد السوفيتي حماية مطاراته وقواعده العسكرية الحصينة سابقا في سيبيريا وأصبحت مساحته الأرضية الشاسعة في حاجة إلى شبكة جيدة من الربط حتى لا يزداد تفتته، ويجب أن يوضع في الاعتبار مدى عدم التجانس البشرى في هذه الرقعة الأرضية الممتدة، مما أدى إلى نفور كثير من القوميات وبالتالي مطالبته بالاستقلال عن الإتحاد السوفيتي في صورة جمهوريات «آسيا الوسطى» مثل: كازاخستان وقرغيزستان وأوزباكستان وأرمينيا وأذربيجان، وغيرها، واستقلت جمهوريات عدة عن الإتحاد السوفيتي. وأصبحت جمهورية روسيا الوريث الشرعي لهذه القوة البرية السابقة ولكنها ورثت عبئاً إقتصاديا وتدهورا في كثير من أمور الحياه، مما جعل روسيا من أكبر الدول المدانة في العالم، وتنتظر مساعدات الغرب

لكى تقف ثانية على أرض صلبة. وزاد من سوء الأمور أن كثيراً من القوميات التي تشارك روسيا في تكوين جمهورية روسيا الاتحادية بدأت هي الأخرى بالمطالبة بالاستقلال مثل: الشيشان وداغستان، مما أدى إلى استنزاف موارد هذه الدولة وسيزداد الاستنزاف حين تنجح هذه الجمهوريات في الاستقلال . وهذا يعنى فقدان روسيا موارد معدنية وبتترول وغاز ضخمة في نطاق القوقاز الحيوى.

ولم يعد لهذه القوى العظمى - سابقا - سوى أسلحتها النووية. التي ترعب العالم بأكمله. ولولا ذلك لا نحدثت روسيا من دولة تمثل إحدى القوى العظمى إلى دولة من دول العالم الثالث الفقير.

ثالثا: سبيكمان ونظرية النطاق الهامشى "Rimland"

فى عام ١٩٤٢ نشرت النسخة الأصلية من كتاب ماكيندر السابق ذكرها تحت عنوان Democratic Ideals and Reality «المثل الديمقراطية والواقع» بمقدمة قوية للدارس الأمريكى إيرلى E.Earle، والذي كتب فيها أنه لا توجد بيانات أفضل عن الحقائق الجغرافية التي تحدد مصير عالمنا المعاصر عن تلك التي أوضحها ماكيندر فى نظرية قلب العالم. وأضاف أن كتاب ماكيندر مادة ضرورية لقراءة الاستراتيجيات وفهم الصراعات الدولية».

هذا التقديم المتحمس لكتاب ماكيندر الذى ألفه فى عام ١٩١٩ دون أن يلقى كلمة نقد واحدة أثارت حماس نيكولاس سبيكمان N. Spykman (١٨٩٣-١٩٤٣) فى جامعة يال Yale على تقديم رد فعل لهذه النظرية فى كتاب نشر عام ١٩٤٤ بعد وفاته تحت إسم «جغرافية السلام- Geogra-phy of peace» وفى كتابه أبرز أن تحقيق الأمن والسلام العالميين لن يتأتى إلا بمساهمة كل العالم فى صنع السلام، وعن طريق قوة مسلحة عالمية تحافظ على فرض السلام. وهذا ما حدث بالفعل فى الكويت والبوسنة وكوسوفا وجزر تيمور الشرقية. وتناول المحور الثانى فى كتابه بالنقد

نظرية ماكيندر ومن ، وجهة نظر أمريكية قدم سبيكمان تفسيراً مختلفاً للأهمية النسبية لمنطقة قلب العالم والنطاق المحيط بها سواء أكان قارياً أم بحرياً، والتي أطلق عليها سبيكمان اسم النطاق الهامشى أو الرملاند Rim-land .

وقد جذب سبيكمان الانتباه والاهتمام إلى حركة القوات البحرية وأثرها في فرض القوة. حيث إن القوى البحرية تتحكم في التكتلات الأرضية. فالقوة البحرية من وجهة نظره هي العامل المؤثر في الاستراتيجية العالمية. وأوضح أن الأهمية التي ربطها ماكيندر بمنطقة قلب العالم «الهارتلاند» تعتمد على أساسين:

الأول: اعتقاد ماكيندر أن المميزات الاستراتيجية الهائلة للمساحة التي تشغل منطقة قلب العالم سوف يتم تقويتها بخطوط اتصال ونقل برى قوى، مما سوف يؤدي إلى تدعيم وحدتها وقوتها.

الثانى: اعتقاد ماكيندر أن أراضي السهول الواسعة الداخلية «الاستبس» والتي تمثل منطقة إمكانات اقتصادية قليلة سوف تتحول إلى منطقة تقدم اقتصادى هائل.

من هذا المنطلق أدحض سبيكمان الأساس الذى قامت عليه تلك الفرضيات التى وضعها ماكيندر وأثبت عدم صحتها. فمن وجهة نظره أن الحقائق المرتبطة بجغرافية روسيا واقتصادياتها لا تعطى أساساً للافتراض بأن منطقة قلب العالم سوف تصبح فى المستقبل القريب مركزاً للاتصالات أو التنقل وتزداد إمكاناتها الاقتصادية واعتقد أن العديد من الأدلة تؤيد رأيه وهى:

١- أن ظروف المناخ التى تحيط بالمنطقة جعلت من المؤكد إن لم تظهر تغيرات ثورية رخيصة فى تكنولوجيا إنتاج الغذاء والزراعة. فإن الإنتاج الزراعى السوفيتى سوف يظل محوراً فى منطقة غرب روسيا ومناطق

محدودة من شرق الأورال. على ذلك فإن الجزء الصالح للزراعة يمثل جزءاً صغيراً جداً من جملة المساحة. وبالمثل فإن مقومات التصنيع تتوافر بصورة أساسية في منطقة غرب الأورال.

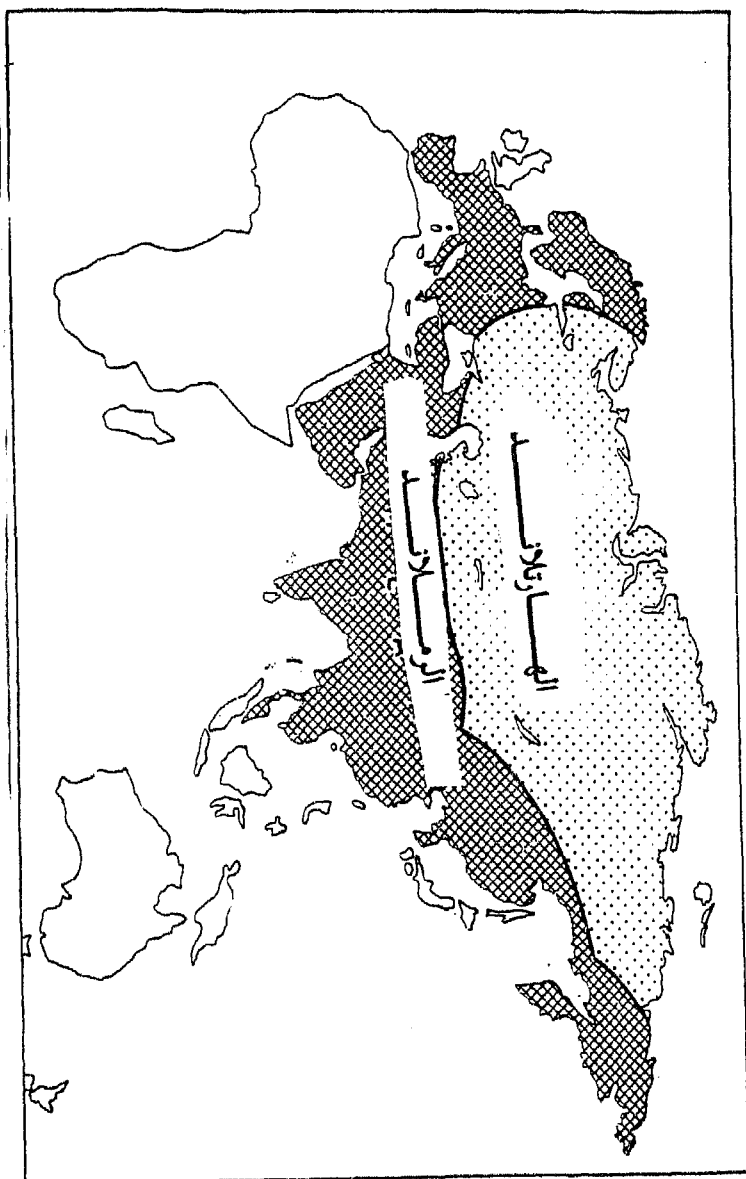
ورغم أن سبيكمان قد أكد أنه قد تحدث بعض التغيرات الطفيفة إلا أنه كان مقتنعاً إلى حد كبير بأن منطقة قلب العالم لا يمكن أن تستقطب عدداً كبيراً من السكان اعتماداً على إمكاناتها الأرضية.

٢- على الرغم من زيادة الحركة نسبياً في هذه المنطقة باستحداث خط للسكة الحديدية، وطرق للسيارات، والنقل الجوي، إلا أن هذا لا ينفى أنها حركة محدودة. وأن منطقة قلب العالم محاطة من الشمال والشرق والجنوب والجنوب الغربي بالعديد من العوائق الكبيرة التي تعيق حرية التنقل وربطها بالعالم. متمثلة في البرودة القارسة معظم فترات العام والجبال الشاهقة الارتفاع المحيطة بها.

وأخذ سبيكمان على ماكيندر تحيزه الكبير للإمكانات الزائدة لمنطقة قلب العالم «الهارتلاند» حيث أوضح أن مساحات كبيرة من هذه المناطق التي تقع بين بولنده ونهر ينسي قاحلة وأن القوة الحقيقية تكمن في تلك الأراضي التي تحيط بنطاق قلب العالم، والذي أطلق عليه اسم النطاق الهامشي أو الرملاند Rimland. حيث يضم بين جنباته معظم سكان العالم وتتركز به موارد زراعية هائلة وزادت قيمته باكتشاف موارد بترولية ضخمة به. لذا فإن النطاق الهامشي يمثل منطقة حاضرة للقلب، ولكنها غنية بالموارد بالسكان، ومن هنا فإن منطقة قلب العالم أقل أهمية من منطقة الرملاند. لذلك نادى سبيكمان بتغيير وجهة نظر ماكيندر وأن من ينبغي السيطرة والقوة العالمية فإنه يجب أن يضع في الاعتبار ما يلي:

Who controls the rimland rules Eurasia;

Who rules Eurasia controls the destinies of the world.



شكل رقم (٧-٢)

تصور سييمان عن منطقة الرملاند «الأراضي الهامشية»

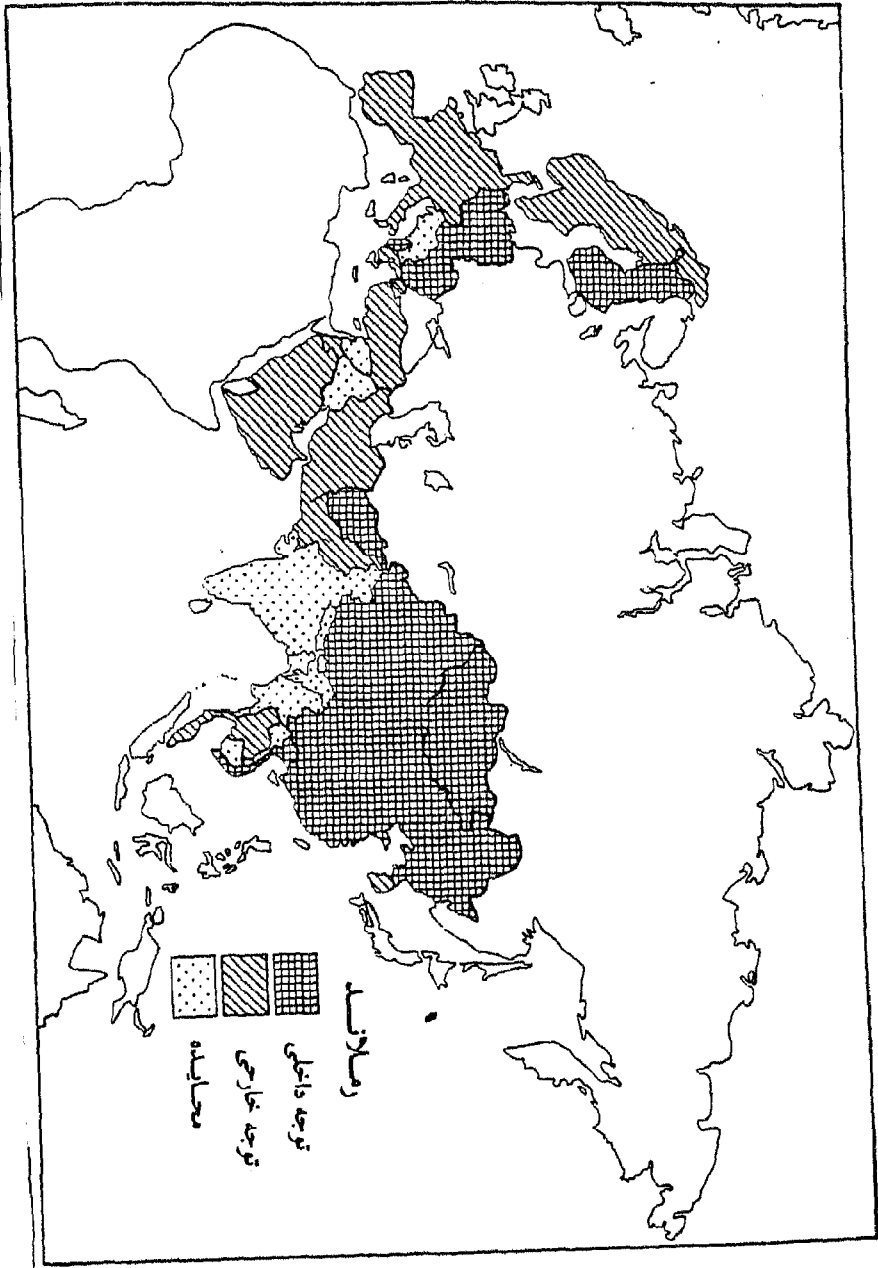
* أى من يسيطر على الأراضى الهامشية يتحكم فى أوراسيا
* ومن يحكم أوراسيا يتحكم فى مصائر العالم.

وأضاف سبيكمان أن الصراع بين القوى العظمى سوف تكون على السيطرة على أرض الرملاند. وكان من رأيه أن تتجه السياسة الأمريكية إلى فرض سيطرتها على دول هذا النطاق. وبما أن سبيكمان كتب مؤلفه فى الوقت الذى كانت فيه ربحى الحرب العالمية الثانية مازالت دائرة. فقد رأى أن القوات المتحالفة (الحلفاء) يجب عليها أن توظف سياستها المستقبلية على منع دمج أرض الرملاند وألمانيا.

ومع ظهور الإتحاد السوفيتى بصفته المسيطر الأوحى على قلب العالم (الهارتلاندى) أصبحت آراء سبيكمان أساس السياسة الأمريكية فى احتواء المد الشيوعى بشرق أوروبا. ونجحت فى إنشاء حلف شمال الأطلنطى لمد نفوذها على الجانب الغربى من الرملاند، ونجحت فى كسر تحالف دول شرق أوروبا مع الإتحاد السوفيتى. بل أنها تلعب دوراً فى تقليص الدور الروسى بشرق آسيا، وذلك بزيادة نفوذها العسكرى فى الفلبين وكوريا. وإنشاء عدة تحالفات عسكرية استراتيجية مع دول آسيا باعتبارها جزءاً من سياستها لاحتواء منطقة الرملاند.

مينيج والمعايير الوظيفية لمنطقتى الهارتلاندى والرملاند:

كان للجدل المثار حول كل من نظرية قلب العالم «الهارتلاندى» والأرض الهامشية «الرملاند» أثره فى جذب انتباه العديد من المتخصصين بالجغرافيا السياسية (أمثال إيست East سنة ١٩٥٠، وهول Hall سنة ١٩٥٥، وميلز Mills سنة ١٩٥٦). ولكن البحث الذى قدمه دونالد مينيج Donald Meinig فى جامعة سيراكيوز Syracuse والذى نشره فى عام ١٩٥٦ لفت الإنتباه إلى المنظور الديناميكى والوظيفى للعلاقة بين منطقتى قلب العالم ومنطقة الرملاند.



شكل رقم (٧-٣)
تصور مينيج عن توجه دول اطراف الهامش «الرملاند»

وقد أوضح مينيج أن المشكلة في كتابات ماكيندر وماهان أنهما كتبنا آراءهما من خلال منظور محدد للقوى المعاصرة حينئذ، مما أدى إلى عدم مرونة مفاهيمها الاستراتيجية. وأصبحت آراؤهما لا تصلح للعمل بهما في حال تغير الظروف السياسية وتغير القوى في العالم. وأكد مينيج أنه لكي يجعل مفاهيم قلب العالم والأرض الهامشية صالحة وبعيدة النظر في المدلول الاستراتيجي فإن تحديدهما يجب أن يتغير ليساير الوضع السياسي الدولي المتغير. لهذا السبب أوضح أن تعريف قلب العالم والأرض الهامشية (الرملانند) يجب أن يكون على أساس معايير وظيفية وثقافية.

ودعا مينيج إلى تعريف وظيفي لمنطقة قلب العالم على أساس التشابه في الظروف والملامح الطبيعية للأرض والخصائص الحضارية للبشر، وأن يكون في منطقتي داخلية يرتبط أو يشرف على شبكة الطرق الحيوية التي تربط مختلف الأقاليم الحضارية على أطراف أوراسيا. وهذا التعريف يتعارض مع التعريف الذي حدده ماكيندر لمنطقة قلب العالم.

كما أن توجه دول مناطق أطراف الهامش والتي تتصارع عليها القوى العظمى يتغير بتغير موازين القوى. أي أن استراتيجيتها متأرجحة بين القوى البرية «الاتحاد السوفيتي حينئذ»، والقوى البحرية «الولايات المتحدة». ففي حال باكستان على سبيل المثال كان توجهها إلى الولايات المتحدة، ثم تغيرت لتصبح دولة محايدة. ويوغوسلافيا، والتي كانت في أحضان الإتحاد السوفيتي باعتبارها راعية للدول الاشتراكية هي أيضا دولة محايدة، ومن هذا المنطلق اقترح مينيج أنه على أساس الوظيفة والتوجه يمكن أن نقسم الدول المحيطة بمنطقة هامش قلب العالم إلى قسمين:

أحدهما دول ذات توجه داخلي إلى قلب العالم. والثانية ذات توجه خارجي صوب الرملاند. وأطلق على الحالة الأولى اسم الأرض الهامشية

القارية Continental Rimland . والثانيا الأرض الهامشية ذات التوجه البحرى Maritime Rimland وهذا ما تلاحظه حالياً فى توجيه بعض دول آسيا الوسطى ناحية القلب. وتوجه بعض الدول الهامشية ناحية البحر^(٤). كما يتضح من دراسة الشكل رقم (٧-٣).

الاستراتيجية العالمية فى عصر الطيران:

وأوضح كل من ماهان وماكيندر وسبيكمان نظرتهم عن الاستراتيجية العالمية فى ضوء الصراع بين القوات البرية والقوات البحرية، ومن هذا المنطق فإن منطقة قلب العالم ظلت بمثابة قلعة حصينة بغض النظر عن القوة الأرضية أو القوة البحرية. ولكن بعد الحرب العالمية الأولى ظهرت القدرة التدميرية للقصف الجوى، ومن ثم فإن الحديث عن الاستراتيجيات العالمية دون وضع القوة الجوية فى الاعتبار يكون مدعاة للسخرية.

أوضح ماكيندر فى عام ١٩٤٣ أن البعض يحلم بوجود قوة جوية عالمية تقوم بتصفية الجيوش والأساطيل. ولم يرد فى باله يوماً أن القوة الجوية سوف يكون لها دور مؤثر فى قلب موازين القوى العسكرية وتغيير الأبعاد الاستراتيجية للعالم فى الدفاع والهجوم.

وفى نفس العام ١٩٤٣ تنبأ أحد الجغرافيين، وهو إدوارد وارنر Edward Warner بأهمية الطيران حين قال: إن المبدأ الرئيسى فى تفوق القوة الجوية هو أن الطائرات تمتلك القدرة على الوجود فى كل مكان، ولها ميزة السرعة والارتفاع التى تؤهلها لتدمير كل المنشآت السطحية على الشواطئ أو البحار أو فى الأعماق البرية، فى حين أنها تكون آمنة من أى ردود فعل أرضية. وأضاف وارنر «إذا تم إثبات هذا المبدأ، فإن سيادة القوات الجوية فى الأمور الحربية سوف تكون هى المرجح للانتصار العسكرى.

وأيد كل من الجنرال جوليو دوهت Giulio Douhet الإيطالي والجنرال ويليام ميتشل William Mitchel ضرورة التفوق في القوة الجوية - في أوائل العشرينيات- في ضوء بزوغ فجر عصر «الحرب الشاملة» Total war التي أعطت خاصية الشمولية القومية أى أن: كل السكان وكل الموارد تمتصها معدة الحرب، وأضاف دوهت «أن الحروب المستقبلية سوف تأخذ خاصية الشمولية شكلاً وموضوعاً»^(٦).

أما وليام ميتشل، وهو أحد العلماء في الاستراتيجية البحرية كتب يقول «إن الحروب المستقبلية سوف يتم التحكم فيها بواسطة القوات الجوية».

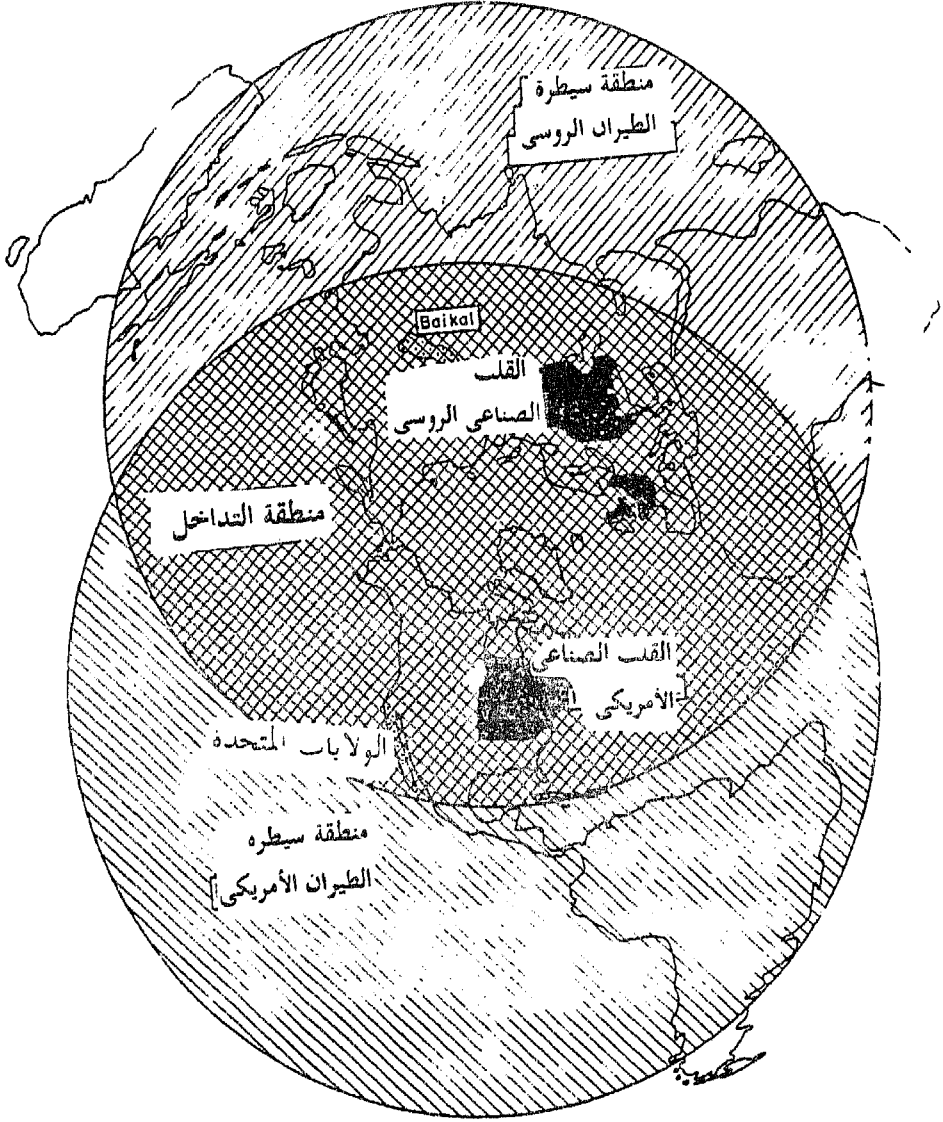
مرة أخرى لن يتم استدعاء كل السكان في حالة الحرب، ولكن سوف يتم استدعاء العدد الكافي للعمل على الأسلحة الدفاعية فقط. واعتقد أنه للحصول على انتصار دائم في الحرب، فإن قدرة الدولة المعادية على صنع الحرب يجب تدميرها. وهذا يعنى المصانع، ووسائل الاتصال، ومنتجى الغذاء، والمزارع، ومصادر الوقود والزيت، والأماكن التي يمارس فيها الأفراد حياتهم اليومية^(٧). ويضيف ميتشل أنه. «بحلول عصر القوة الجوية، والذي يستطيع فيه الطيران الوصول إلى المراكز الحيوية وتدميرها أو تأمينها هذا الأمر سوف يضىء شكلاً جديداً على النظام القديم في صناعة الحرب قصف. والآن لم يعد مراكز الجيش الرئيسية هو الهدف الرئيسى، بل أن الهدف الحقيقي هو قصف وتدمير المراكز والمرافق الحيوية. وهذا ما حدث بالفعل في حرب الأطلنطى ضد الصرب فى أبريل عام ١٩٩٩.

وأوضح الكسندر دى سيفرسكى A.De Seversky^(٨) الدور الخطير للقوة الجوية فى الاستراتيجية الدولية. ورغم أن سيفرسكى قد تأثر بميتشل وأهدى له كتابه الأول « السفر من خلال القوة الجوية Victory through Air Power (١٩٤٢) إلا أن هناك سميتين فى كتابات سيفرسكى ميزته عن دوهت وميتشل.

إحدهما: أنه أصر على إبراز الأهمية الحيوية واسعة النطاق للطيران الأخرى: أنه «حرر» القوة الجوية من دائرة الارتباط بالقواعد الأرضية (والذى اعتبره دوهت ومنتشل ضرورياً) وحررها أيضاً من الجزر الواقعة فى الطرق والبحرية فى المتجمد الشمالى أو فى الأطلنطى والمحيط الهندى التى إعتبرها منتشل ودوهت ذات أهمية بالغة. بينما يرى سيفرسكى إن بناء قواعد جوية بدلاً من الهجوم المباشر على العدو مجرد إسراف، ولقد اقتنع بأن «الحرب الجوية سوف تشن من الأوطان، بعد أن تصبح الطائرات قادرة على الطيران لمسافات كبيرة دون التزود بالوقود.

وقد ظهرت أفكار سيفرسكى عام ١٩٥٠ من خلال كتابه (القوة الجوية: مفتاح البقاء (Air power: Key to survival)، وتمشياً مع أفكاره السابقة، رأى أن تكون للولايات المتحدة قوة جوية كبيرة باعتبارها هدفاً دفاعياً وعسكرياً رئيسياً. فعلى القوات الجوية الأمريكية أن تكون بالقدر الذى لا يسمح لأى قوة أخرى أن تقوم بمغامرات ضدها خوفاً من قوة الردع التدميرية للقوات الجوية. وأصر أن القواعد الجوية نوع من أنواع الرفاهية الزائدة، وليس لها أى نفع هجومى أو دفاعى، وأن سياسة الاحتواء أصبحت بالية فى مواجهة التغيرات الثورية فى فنون الحرب. ومن ثم نصح سيفرسكى صناع السياسة الأمريكيين بعدم الدخول فى حروب صغيرة على الأطراف الخارجية لروسيا (مثل: فيتنام)، مما يؤدى إلى إسراف لا فائدة منه فى الموارد القيمة والطاقة، دون إحداث ضرر فعلى للعدو (أى: الإتحاد السوفيتى).

على عكس ماكيندر وسبايكمان اللذين عرضا فكرهما من خلال خرائط رسمت بمسقط ميركيتور Mercator Map - وعليه فقد ظهرت كل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى على أنهما منفصلتان عن بعضهما البعض، فى حين نظر دى سيفرسكى إلى العالم من خلال خرائط الإسقاط



شكل رقم (٧-٤)

السيادة الجوية كما تخيلها دي سيفرسكي في عام ١٩٥٢

السمتى الأحادى المسافات Azimuthal Equidistant Projection، والتي يكون مركزها القلب الشمالى، وعلى ذلك يقف المتنافسون الرئيسيون وجهاً لوجه عبر المحيط المتجمد الشمالى، والذي تعر من خلاله أقصر الطرق الجوية بين قلب العالم وشمال أمريكا.

وخريطة سيفرسكى العالمية التى رسمت بهذا المسقط القطبى جعلته يرى أن لكل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى السيادة الجوية على مساحات واسعة تقع فى فلك كل منهما ويتضح من دراسة الشكل رقم ٧-٤. أن الدوائر التى تحدد نطاق سلطاتهما تمتد على مساحات واسعة فى شمالى أمريكا وأوراسيا، وأن هذه المنطقة، كما أشار سيفرسكى، تمثل منطقة حيوية فى الصراع على السيادة الدولية بين المتنافسين، ولقد أطلق عليها اسم «منطقة القرار» "Area of decision" واعتقد سيفرسكى أنه لكى تضمن الولايات المتحدة البقاء إذا ما حدثت حرب شاملة؛ فيجب أن تكون لها السيادة العسكرية الكاملة على تلك المنطقة، حيث إنها قد تشهد الصراع المصيرى فى المستقبل.

و لم تصمد تعميمات سيفرسكى للاستراتيجية الدولية، أمام اختبار الزمن فمن وجهة نظر الحاضر فإن آرائه لم تعد صحيحة تماماً فى ضوء التغيرات الثورية فى تكنولوجيا النقل وظهور الصواريخ العابرة للقارات، والغواصات النووية والأقمار الصناعية التى تدور حول العالم. فى ضوء هذه التغيرات الضخمة أصبحت آراء سيفرسكى حول السيادة الجوية على منطقة البحر المتوسط القطبى قديمة وغير واقعية. وهناك خطأ آخر فى أفكار سيفرسكى حيث إنه قيم الاستراتيجية الدولية من خلال متنافسين اثنين فقط، أى الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى. فعالم السياسة عالم متغير.

فالسياسة الدولية ليست لعبة يتصارع فيها طرفان اثنان فقط من خلال السيادة العسكرية. وفى الواقع فالاستراتيجية لعبة هدفها توسيع دائرة الدول

الصديقة - عن طريق تبادل المنافع الاقتصادية والثقافية وزيادة قدرة الدولة في الوقوف بشكل فعال بجانب الدول الصديقة في حالة الحروب. لذلك فإن الاستراتيجية الدولية للولايات المتحدة لا يمكن أن تكون من خلال القوة العسكرية الهائلة فقط.

وكما قال كلوزويتز Clausewitz إن هدف الحرب هو السعي وراء السلطة والنفوذ السياسي. وهذا الهدف لا يمكن الوصول إليه من خلال استراتيجية سفسكي حيث إن «الحرب النووية لا يمكن أن تكون امتدادا للسياسة».

وجدير بالذكر أن الأسلحة النووية مصاحبة لاستراتيجية القوة الجوية لأن «القاذفات بعيدة المدى تكون سلاحاً غير فعال للسيطرة على قلب العالم، إلا إذا كانت مدعمة بالقنابل الكيميائية، حيث إن سفرها مسافة طويلة تخفيض من وزن القنبلة، ذلك بالإضافة إلى أن فعالية الغارات الجوية خلال الحرب العالمية الثانية لم تختبر. والآن تعتبر القوة الجوية بمثابة ناقلات للأسلحة النووية، فالمنظور الفعلي ليس القوة الجوية ذاتها، ولكن الأسلحة النووية التي تحملها»^(٩).

الاستراتيجية في عصر البحرية الحديثة:

لقد أوضح الباحثون أن نظرية قلب العالم لماكيندر (الهارتلاند) كانت القاعدة الأساسية للمفهوم الغربي عن الردع النووي Nuuclear Deterrents فالأسلحة النووية أصبحت ضرورية لإعادة ميزان القوة للغرب حيث إن الإتحاد السوفيتي يتمتع بالزايا الاستراتيجية في نظرية ماكيندر ونظراً لأن الحرب الشاملة لا يمكن أن تكون أداة للسياسة، فالتأكيد الزائد على القوة الجوية والأسلحة النووية في الاستراتيجية الغربية شوه ثقلها العسكري، مما كان له عواقب وخيمة على السياسة القومية والخارجية وتحت تأثير الحملة المتكررة «عصر الجو»، فإن المفكرين المعاصرين للاستراتيجية أهملوا دور البحر في الاستراتيجية الدولية، وخاصة حقيقة الحثيات الجديدة للقوة البحرية والتي ظهرت مع استخدام الطاقة النووية في تطوير نوع جديد من السفن - الغواصات - حتى أن دور كل من الطائرات والسفن قد يتم تبديله كما أشار السير آرثر هزلت Arthur Hezlet:

وجدير بالذكر أن تفوق قوة الطائرات على الغواصات قد تناقص حيث إنه تم تطوير الأخيرة لتصبح غواصات «حقيقية»، وهي مجرد مسألة وقت حتى يتم تزويد الغواصات بالأسلحة الموجهة (أرض - جو) وتصبح لديها القدرة على إصابة الطائرات (موجود حالياً) فالطائرات أو الطوافات المضادة للغواصات قد تكون عرضة للصواريخ قصيرة المدى التي يتم إطلاقها من الغواصات في المستقبل، ومن ثم قياد خوف الغواصات من الطائرات قد ينعكس، بحيث تصبح الطائرات غير متأكدة من أن هناك صاروخاً موجهاً على وشك أن ينطلق عليها من غواصة غير مرصودة^(١٠).

وكان لتطوير الأقمار الاستطلاعية أو الاستكشافية أكبر الأثر في جعل السفن الطافية على السطح - سواء أكانت نووية أم تقليدية أداة غير فعالة في الحرب حيث جعلت سطح البحر مثل الكتاب المفتوح: وكان تطوير الرصد.

سخت الماء قد تأخر كثيراً عن تطوير الغواصات، وما زال، وأن مدى الرصد يقاس بالألف باردة. ويرجع ذلك إلى التغيرات في الملوحة، ووجود الأحياء البحرية، واختلاف شكل القاع. كما أن طبقات المياه ذات درجات الحرارة المختلفة تؤدي إلى تكسر الموجات الصوتية وتقلل من مدى الرصد، بل وتجعل أداء أجهزة الرصد مضلل ولا يعتمد عليها. بالإضافة إلى أن الغواصات الحديثة قادرة على تضليل تلك الأجهزة بحيث تجعل مهمة الصياد أصعب ما يمكن^(١١).

وكما لاحظ والترز Walters أن سلاح الغواصات دمرت ركنين أساسيين في نظرية ماكيندر أحدهما. الغواصة التقليدية، والتي كانت تعتبر ذاكرة للقوة البحرية تراجعت بشدة، وبدلاً من أن يشهد العالم نهاية للقوة البحرية فإن العالم ينتقل إلى فترة تطوير هائل في القوة البحرية. والآخر فإن نجاح الغواصة في اختراق المحيط المتجمد الشمالي وجعله صالح للملاحة دمرت أسطورة عدم قابلية قهر منطقة قلب العالم (الهارتلاند). وهو الأمر الذي يجعل جزيرة العالم جزيرة يمكن الملاحة حولها، إن فتح المحيط المتجمد الشمالي للملاحة أعطى منظوراً جديداً لمستقبل الاستراتيجية.

وأشار كلوزويتز، أن «الحروب هي في الواقع تظاهره سياسية»، فالسياسة هي «السلطة الذكية» والقوة الموجهة، والحروب مجرد أداة للسياسة. وإن هدف الحرب هو الهيكل السياسي، وأن أهداف الحرب تتضمن الحالة بعد الحرب. وإذا كانت الحرب أداة في يد السياسة، ووسيلة لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية، فإن التحرك السلمى أهم بكثير من التدمير.

من هذا المنطلق فإن المحركات النووية أكثر قدرة على التحرك حيث إنها أحدث أنواع الدفع. والغواصة ذات المحرك النووي أصبحت، كما وصفها روسكيل Rdskill «السفينة الرئيسية في العصر النووي»^(١٢). وكما قال روسكيل «إن إحلال وظائف السفن والطائرات بالغواصات محدد بتكلفة إنتاج الغواصة فقط. وفي الواقع إن التحكم في سطح البحر والذي تسعى

القوة البحرية من خلاله لتأمين طرق نقل الأساطيل التجارية والعسكرية. يعتمد على التحكم فى الأعماق على ذلك، فإنه من المنطقي أن نستنتج أن «من يتحكم فى الأعماق يتحكم فى سطح البحر»، ولعله من غير الواضح «أن الغواصات هى مبدأ استراتيجى بديل للردع النووى» وفى المستقبل، حينما تصبح الغواصة سفينة تجارية، فإن المحيط المتجمد الشمالى سوف يصبح بحراً استراتيجياً ذا مميزات جغرافية خاصة. وهذا ما أوضحه والتر Wal-ters حين قال: إن المحيط المتجمد الشمالى سوف يصبح فى المستقبل جزءاً من المعابر الضيقة Narrow waters،، تماماً كما كانت القناة الإنجليزية مثلاً للمياه الضيقة فى العصور الوسطى.

وجدير بالذكر أن أهمية البحار قد زادت فى الآونة الأخيرة، وأن أكثر أنواع الأنشطة الاقتصادية نمواً ارتبط بمدى قربها من البحار التى تجلب لها المواد الخام أو تأخذ إنتاجها لسوق فى الخارج.

«وكانت الأساطيل فى الماضى تستفيد من سطح البحر فقط. ولكن الاستفادة من البحر تغيرت حالياً. فالدول دخلت إلى الأعماق سعياً وراء الثراء، فهناك وتحت الأعماق توجد ثروات عظيمة». فعلى أرض البحر توجد كميات من المواد الخام من الدرجة الأولى، وهذه المعادن تكوّنت من خلال عملية طبيعية مستمرة من التراكمات، وتعتبر الإمدادات منها غير متناهية حيث إنها موارد تجدد نفسها، وأنها تتراكم بسرعة أكبر من معدلات الاستهلاك الحالية للعالم. بالإضافة «إلى أن التنقيب البحرى له مميزات عديدة، والتى لا يمكن أن نجد لها مثيلاً فى حال التنقيب الأرضى التقليدى. فالمواد البحرية يمكن الوصول إليها بدون إزالة طبقة أخرى فوقها، وبدون استخدام المتفجرات وبدون استخدام ثاقبات drillers مكلفة للحصول على عينات. ويمكن باستخدام الكاميرات، تحديد أماكن الترسبات قبل عملية التنقيب - كما يمكن حساب كل طن من المواد الخام قبل بدء عملية التنقيب.

والبحر سوف يكون مصدراً هاماً للغذاء في المستقبل. فنقص الطعام، وزيادة السكان، وتناقص مساحات الأرض الزراعية وزيادة التلوث سوف يكون من العوامل التي تدفع البشر إلى زيادة إستغلال إمكانات البحر باعتبارها مصدراً للغذاء.

وستخلص من ذلك أن « كل الاستخدامات الاقتصادية للبحار، ومع التوسع في نقل البضائع عبر البحر سوف يكون لها أثر بالغ على الجغرافيا في المستقبل، كما سوف تؤثر على العلاقات بين الدول، ومن ثم فإن توازن القوة الاقتصادية والسياسية سوف تتغير.

وإذا كانت أحد النقاط الرئيسية في نظرية الهارتلاند لماكيندر هي أن القوة البحرية يجب أن تستند بالضرورة إلى قاعدة أرضية آمنة. فإنه في المستقبل غير البعيد حينما يحصل الإنسان على الطعام من البحر، والمعادن من أرض البحر والغاز الطبيعي والبتترول من قشرته القارية (الأرضية) من هنا فإن المفهوم الكلي للاستراتيجية سوف يتغير تغيراً جذرياً لصالح البحار مما سوف يكون له أكبر الأثر في تغيير العلاقات الدولية، وسوف يؤثر على نظرتنا لطبيعة ومفهوم القوة البحرية، وهو الأمر الذي سوف يجعل الدول أكثر سياسة الردع النووي غير واردة، ويبدأ عصر جديد من الاستعمار والإمبرالية. هذا الوضع يجعل الدول الأكثر تقدماً تكنولوجياً والأكثر ثراءً هي الوحيدة القادرة على اكتشاف ثروات ما تحت البحار واستغلالها. هذا من شأنه يغير التلميحات الاستراتيجية لأفكار ماهان، وماكيندر، وسبيكمان، ومتبني الاستراتيجية الجوية. ولكن لن تلغيها أو تجعلها غير ذات أهمية. فالإنسان سوف يظل يحتل سطح الأرض على نفس المنوال الذي يحدث اليوم، وعلى ذلك فإن استراتيجية السطح تظل ذات أهمية ودلالة.

مراجع الفصل السابع

- 1- Mahan, A.T. (1890): **The Influence of the Sea Power Upon History**, Boston, 18
- 2- Sprout. H., (1964): **Foundations of Internaitonal Policies**, New Delhi, Affiliated East Press.
- 3- Marlin, J. (1959): **The Contriving Brain as the Pivot of History, Issues and Conflicts**, University of Kansas Press.
- 4- Dikshit. R., **Political Geogrphy**, Tata Mcgraw, New Delhi, 1982.
- 5- Warner, E., (1943): Douhet, Mitchel, Seversky, Theories of Air WWarfare, in: E.M. Earle (ed.) **Makers of Modern Strategy**, Princeton University Press.
- 6- Douhet, G., (1942): **The Command of the Air**, New York, Coward. Mc Cann.
- 7- Mitchel, W., (1930): **Skyways**, Philadelphia, J. Lippincot.
- 8- De Seversky, A., (1950): **Air Power, Key to Survival** New York, Simon & Schuster.
- 9- Walters, R. (1974): **The Nuclear Trap**, Penguin.
- 10- Hazlet, A., (1967): **the Submarine and the sea Power**, London, Peter Davies.
- 11- Martin, L. W., (1967): **The Sea in Modern Strategy**, London, Chatto & Windus.

- 12- Roskill, S., (1970): In **Encyclopedia Britannica**. Vol. 21. p. 343.
- 13- Mero, J., (1965): **Mineral Resources of the Sea**. New York, Elsevier

	العنوان	
٦٧	الإمبراطورية اليابانية وبريطانيا العظمى فى أوج اتساعهما	١-٢
٧٠	الدول الحبيسة	٢-٢
٧٢	مثال للدول التى تشمل أكثر من ثمانية جيران	٣-٢
٧٦	أهمية قناتى السويس وبنا فى أختصار المسافات	٤-٢
٨٤	أشكال الدول	٥-٢
٨٨	الجيوب السياسية	٦-٢
٩٠	قطاع واخان وأصبح كاهريقى	٧-٢
١٠١	الأشكال المختلفة لأهرام السكان	٨-٢
١٠٤	التقسيم اللغوى فى سويسرا	٩-٢
١٠٧	الأقليات السكانية فى أوروبا	١٠-٢
١١٠	نسبة المهاجرين الأتراك فى دول أوروبا	١١-٢
١٢٢	نموذج عن تحليل مقومات قوة الدولة	١١-٢
١٣٩	منطقة النواة فى فرنسا	١-٣
١٤٠	منطقة النواة فى سويسرا	٢-٣
١٤١	منطقة النواة فى بريطانيا	٣-٣
١٤٣	منطقة النواة فى الصين	٤-٣
١٤٦	منطقة النواة بقارات العالم الجديد	٥-٣
١٧٩	نهر ريوجراند كمثال لاستخدام الأنهار فى الحدود الدولية	١-٤
١٨١	الحدود النهرية بين العراق وإيران فى شط العرب	٢-٤
١٨٣	مثال للحدود السياسية فى البحيرات	٣-٤
١٨٥	حدود غمبيا كمثال للحدود الهندسية على أساس أقواس	٤-٤
١٨٧	أمثلة من الحدود الهندسية	٥-٤

- ٢٠٧ ١-٥ دول ذات واجهة بحرية ضيقة لا تتناسب ومساحتها
- ٢١٠ ٢-٥ منطقة المياه الإقليمية والمنطقة الاقتصادية الخالصة
- ٢١٢ ٣-٥ خط الأساس لحساب عرضي المياه الإقليمية
- ٢١٤ ٤-٥ خليج العقبة ومضيق تيران
- ٢١٦ ٥-٥ نطاقات المياه البحرية
- ٢١٨ ٦-٥ حدود المياه الإقليمية والرصيف القارئ في بحر الشمال
- ٢٢٢ ٧-٥ أهم المضائق البحرية
- ٢٣٤ ١-٦ خريطة السياسية لأوروبا في عام ١٩٠٠
- ٢٣٧ ٢-٦ خريطة أوروبا السياسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى
- ٢٤٠ ٣-٦ خريطة أوروبا الحديثة عام ١٩٩٩
- ٢٤٥ ٤-٦ إيرلندا بين التقسيم والتفتت العقائدي
- ٢٥٠ ٥-٦ مناطق النفوذ الاستعماري في قارة أفريقيا
- ٢٥٥ ٦-٦ خريطة السياسية الحديثة لأفريقيا عام ١٩٩٩
- ٢٥٩ ٧-٦ شعب الإيقي المشتت بين كل من غانا وتوجو
- ٢٦٨ ٨-٦ خريطة آسيا السياسية عام ١٩٩٩
- ٢٧١ ٩-٦ التاميل بسرى لانكا
- ٢٧٦ ١٠-٦ الأكراد بإقليم كردستان
- ٢٨٢ ١١-٦ خريطة السياسية الحديثة لأمريكا الشمالية
- ٢٨٦ ١٢-٦ خريطة السياسية الحديثة لأمريكا الوسطى ودول البحر الكاريبي
- ٢٨٩ ١٣-٦ / خريطة السياسية الحديثة لأمريكا الجنوبية
- ٣٠٨ ١-٧ منطقة الهارتلاند كما حددها ماكيندر في عامي ١٩٠٤، ١٩١٩
- ٣١٦ ٢-٧ تصور سيكمان عند منطقة الرملا ند
- ٣١٨ ٣-٧ تصور مينيج عن توجه دول الرملا ند
- ٣٢٣ ٤-٧ السيادة الجوية كما تخيلها دي سيفرسكي

المحتويات

٩ المقدمة
١٣ الفصل الأول. الجغرافيا السياسية: معناها وتطور مفهومها
١٥ مقدمة
١٨ أولاً: تاريخ الجغرافيا السياسية وتطورها
١٨ - الجغرافيا السياسية في العصرين اليوناني والروماني
٢٠ - الجغرافيا السياسية في العصور الوسطى
٢٢ - الجغرافيا السياسية في عصر النهضة
٢٣ - الجغرافيا السياسية في القرن التاسع عشر
٢٤ - راتزل وإسهاماته
٣٦ ثانياً طبيعة الجغرافيا السياسية
٣٦ ١- تدهور الجغرافيا السياسية
٣٨ ٢- تحويل الجغرافيا السياسية إلى الجيوبوليتيكا
٤٣ ثالثاً: مجال الدراسة و الجغرافيا السياسية المعاصرة
٤٧ رابعاً: مناهج البحث في الجغرافيا السياسية
٥٣ مراجع الفصل الأول
٥٧ الفصل الثاني. الدولة كظاهرة في الجغرافيا السياسية
٥٩ مقدمة
٦٢ أولاً: رقعة الدولة وأمتدادها الجغرافي
٦٣ ١- الموقع (الفلكى - البحري - بالنسبة للدول - الأستراتيجى)
٧٧ ٢- المساحة
٨٣ ٣- الشكل (تصنيفات الشكل - تحليل - شكل الدولة)
٩٣ ثانياً: النظام الإدارى
٩٧ ثالثاً: سكان الدولة كعامل مؤثر في جغرافيتها السياسية
٩٧ ١- حجم السكان

٩٩	٢- كثافة السكان وتوزعهما
١٠٠	٣- خصائص السكان النوعية
١٠٣	٤- التنوع السلالي
١٠٨	٥- الهجرة
١١٥	رابعاً: التركيب الأقتصادي للدولة
١١٨	خامساً: تحليل قوة الدولة.
١٢٩	مراجع الفصل الثاني
١٣١	الفصل الثالث: مناطق النواة وعواصم الدول
١٣٣	أولاً: منطقة النواة
١٣٦	١- مفهوم منطقة النواة
١٣٧	٢- بعض حالات الدراسة لنواة الدولة
١٤٧	ثانياً: العواصم
١٤٨	١- أنواع العواصم (الطبيعية والصناعية)
١٤٩	- التصنيف المورفولوجي للعواصم
١٥١	٢- العوامل المؤثرة في تطور العاصمة
١٥٧	٣- العواصم الفيدرالية
١٦٥	مراجع الفصل الثالث
١٦٧	الفصل الرابع: الحدود السياسية «جغرافياً»
١٦٩	مقدمة
١٧١	- التخوم والحدود
١٧٢	- تصنيف الحدود السياسية
١٧٢	أولاً: التصنيف التكويني أو الوظيفي
١٧٤	ثانياً: التصنيف المورفولوجي أو الوصفي
١٩٠	- الأهمية المتغيرة للحدود الدولية
٢٠٠	مراجع الفصل الرابع

٢٠٣	الفصل الخامس: الجغرافيا السياسية للبحار
٢٠٥	مقدمة
٢٠٥	- تحديد المياه الإقليمية
٢٠٩	- كيفية حساب عرض المياه الإقليمية
٢١٥	- نطاقات المياه البحرية
٢٢١	- المضائق البحرية
٢٢٥	مراجع الفصل الخامس
٢٢٧	الفصل السادس: خريطة العالم السياسية
٢٢٩	مقدمة
٢٣٣	أولاً: خريطة أوروبا السياسية
٢٣٣	- في بداية القرن العشرين
٢٣٥	- بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى
٢٣٨	- الخريطة الحالية لأوروبا
٢٤٣	→ المشكلة الأيرلندية (مثال لمشكلات القارة)
٢٤٩	ثانياً: خريطة أفريقيا السياسية
٢٤٩	→ - النفوذ الاستعماري في القارة
٢٥٢	- الخريطة السياسية الحالية
٢٥٨	- مشكلة شعب الإيقي (مثال لمشكلات الحدود بالقارة)
٢٦١	ثالثاً: خريطة آسيا السياسية
٢٦١	- تغير الخريطة السياسية طوال القرن العشرين
٢٦٥	- خريطة آسيا السياسية الحالية
٢٦٩	- مشكلة التاميل (مثال لمشكلات آسيا)
٢٧٤	→ مشكلة الأكراد (مثال لمشكلة ترسيم الحدود)
٢٨٠	رابعاً: خريطة الأمريكتين السياسية
٢٨٠	- خريطة أمريكا الشمالية

٢٨٤	- خريطة أمريكا الوسطى ودول البحر الكاريبي
٢٨٧	- خريطة أمريكا اللاتينية
٢٩١	خامساً: خريطة أستراليا
٢٩٦	مراجع الفصل السادس
٢٩٧	الفصل السابع: آراء استراتيجية في الجغرافية السياسية
٢٩٩	مقدمة
٣٠٠	أولاً: ماهان وأهمية الموقع البحري
٣٠٦	ثانياً: ماكيندر ونظرية قلب العالم «الهارتلاند»
٣١٣	ثالثاً: سبيكمان ونظرية الرملاند
٣١٧	- مينيغ والمعايير في عصر الطيران
٣٢٠	- الاستراتيجية العالمية في عصر الطيران الحديث
٣٢٦	- الاستراتيجية في عصر البحرية
٣٣٠	مراجع الفصل السابع
٣٣٣	فهرس الأشكال
٣٣٥	فهرس المحتويات

